الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العالي

جامعة مصطفى اسطمبولي – معسكر -

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، الطور الثالث (ل م د)

شعبة: الدراسات اللغوية

تخصص: لسانيات عربية

موسومة بـ:

فاعلية النحو العربي في التركيب القرآني من خلال ظاهرة التضام

إعداد الطالبة:

بوزيد أمينة

إشراف:

أ.د. بابا أحمد رضا

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د. بن فطة عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة معسكر
أ.د. بابا أحمد رضا	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة معسكر
أ.د. ولهاصي نجيدة	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة سيدي بلعباس
د. بومدين بوجمعة	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	جامعة معسكر
د. مغدير عبد القادر	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	جامعة معسكر
د. غول شهرزاد	أستاذة محاضرة أ	عضوا مناقشا	جامعة مستغانم

العام الجامعي: 1443-1444هـ/ 2022-2023

شكر وتقدير

من صفات المؤمن وكمال إيمانه أن يتذكّر الإحسان ويردّ عليه بالشكر والعرفان، قال رسول الله ﷺ "لم يشكر الله من لم يشكر النّاس "، فلا يسعني إلا أن أتقدّم بالشكر الجزيل ووافر التقدير للوالدين الكريمين أمدّ الله في عمرهما ولكل من وقف بجانبي في هذه الرسالة، وأخصّ بالذكر الأستاذ المشرف لتفضّله بالإشراف على الرسالة ولتوجيهاته السّديدة ورعايته لها منذ بدايتها حتى نضوجها واكتمالها، فجزاه الله خيرا وأمدّ في عمره.

والشكر موصول لقسم اللغة العربية رئيسا وأساتذة وأعضاء اللجنة العلمية كل باسمه ووسمه لمساندتهم الدائمة، وأخص بالذكر هنا الأستاذ الدكتور بن فطة عبد القادر لما أبداه من نصائح وإرشاد للمصادر، والشكر الخالص لكل من تتلمذت على يدهم خلال المسار الدراسي لما أولوه من رعاية واهتمام وتشجيع على السعي والمثابرة والمضي قدما في الدراسة.

كما أتقدّم بالشكر الجزيل لجميع الزملاء وأخصّ بالذكر الدكتورة الشويشي مريم التي لم تتوان بالتشجيع والمساندة والتي وجدتها كلما تعثرت دعما لي، ولكل من قدّم المشورة والنصح وأفادني ولو بكلمة، جزاهم الله عنّي خير الجزاء، ووفّقهم لما فيه الخير والصلاح.

طالبة الدكتوراه: بوزيد أمينة

إهداء

إلى من كانت دعواتهما صدى في أذني ونبراسا في حياتي

التي غمرتني بحنانها طول حياتي وتعبت من أجلي وكرّست حياتها، وعلّمتني أنّ المرأة هي الأخلاق والعلم، أمّي الغالية.

إلى من علّمني التضحية والجد والعمل، إلى من جسّد معنى الأبوة حق تجسيد أبي الحنون " حفظهما الله "

إلى من ترعرعت معهم وكانوا خير الرفاق إخوتي .

إلى من أراه بقلبي قبل عيناي إلى من كانت نظراتي إليه فرحتي أخي الصغير "محمد الشريف".

إلى روح جدتي الغالية وصديقتي صليحة رحمهما الله وطيّب ثراهما.

إلى كلّ الذين كانوا سندا ودعما لي طيلة مسار البحث.

إلى أحبّتي دون استثناء ... مادامت الحياة صفحات دربها الإخلاص والوفاء والحب.

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، اهتم المفسرون لكتاب الله عزّ وجل بعلم النحو لكونه يساعدهم على فهم النص القرآني، حيث يجب على الناظر في كتاب الله الكاشف عن أسراره النظر في الكلمة وصيغتها ومحلها، كونها مبتدأ أو خبرا أو فاعلا أو مفعولا، ولكن سرعان ما تطورت هذه الدراسات لتشمل مجالات لغوية نحوية انفردت بها الدراسات العربية عن غيرها؛ فالنظام اللغوي العربي يمتاز بخاصية الترابط والانسجام والتأليف الرائع بين الحروف والكلمات والجمل حتى إذا اتسع المجال خرج هذا التأليف في نسيج لغوي محكم يتناوله موضوع التَضام.

كما اهتم الكثير من الدارسين واللغويين المعاصرين بالدراسات النحوية حيث سعوا إلى صياغتها صياغة جديدة تقوم على عنصري المعنى والمبنى، ونظروا في القرائن النحوية لتوجيه المعاني والدلالات، وتتبعوا مجموع الظواهر اللغوية المسؤولة عن ترابط الكلام واستمرار وحداته وأجزائه، ومن أبرز هؤلاء اللغويين اهتماما بتجديد النحو العربي والنظريات اللغوية الحديثة أحمد المتوكل، وعبد القادر الفاسي الفهري، وتمام حسان.

فالتضام من أبرز موضوعات القرآن الكريم وهي ظاهرة لغوية عرفتها اللغة العربية في نصوصها الشعرية القديمة، وأشير إليها في كتب القدماء خاصة في موروثنا النحوي والبلاغي بمصطلحات متعدّدة: كالنظم عند الجرجاني والتعليق والتأليف والرصف والبناء، وتناولها المحدثون بالشرح والتحليل، حيث اصطبغت جهود تمام حسان النحوية واللغوية بالتجديد في الجهاز المفاهيمي الذي استقرّ في موروثنا العربي كظاهرة التضام التي اعتبرها من أهم القرائن اللفظية في كتابيه "اللغة العربية معناها ومبناها" و"البيان في روائع القرآن".

حيث تسهم في تحديد المعنى النحوي للجملة بالإضافة إلى قرائن أخرى كالرتبة والربط والضمائر والبنية والنغمة وأمن اللبس، مستوى الصواب والخطأ، التماثل الصوتي وغيرها، مما يعين على فهم المعنى دون البحث عن العلامة الإعرابية التي عدّها القدماء أهم قرينة لتحديد المعنى النحوي، فقد كان النحو في نظر الدارسين تحليلا إعرابيا فحسب، وقد

قام تمام حسان بتطبيق نظريته الجديدة في فهم القرآن الكريم وتفسيره في كتابه "البيان في روائع القرآن".

من هنا تظهر أهمية دراسة ظاهرة التضام في القرآن الكريم في كونه يؤثر في نفسية المتلقين، وذلك لتناوله الجانب المادي تعدادا وتوصيفا، كما أنّ له بعدا نحويا يتّصل بالمسائل النحوية، وبعدا بلاغيا يرتبط بعلم المعاني في القرآن الكريم، ولابد من تضافر عدّة قرائن لفظية ومعنوية لفهم النص القرآني ومن أهمّها التضام، لذلك فإنّ البحث في القرآن الكريم من أجلّ وأرقى ما يبحث فيه الباحثون، فهو هدف مقصود ورجاء منشود.

من هنا نطرح الإشكالية الآتية:

- إلى أي مدى يمكن القول إنّ النحو العربي حقّق فاعليته في التركيب القرآني من خلال ظاهرة التضام التي تعدّ من أهم معالم المستوى التركيبي؟

وسعيا للإجابة عن هذه الإشكالية حاولت إثارة الموضوع انطلاقا من بعض التّساؤلات الفرعية وهي:

- هل يمكن اعتبار التضام كقرينة لفظية في الدراسة النحوية مبحثا من مباحث الإعجاز في القرآن الكريم؟

- أين تكمن فاعلية التضام في التراكيب القرآنية؟

- كيف يسهم التضام في اتساق النص القرآني؟

يمكن أن نضع الفرضية الآتية: إذا كان القرآن الكريم الأساس الأوّل والدافع الرئيس لبناء القواعد العربية باعتبار النحو العربي نشأ أساسا ليصون كتاب الله عزّ وجل من اللحن، فاللّغة هي الباب الأوّل الذي يولج من خلاله إلى عالم القرآن الكريم، ولا يتأتّى ذلك إلّا لمن مُلئ قلبه وعقله بالفطنة وأحاط بعلوم جمة من أهمّها النحو وانطلق في هذا كله من لغة القرآن.

من هذا المنطلق سأحاول إثارة بعض جوانب هذا الموضوع الذي تشرفت بتناوله بحثا ودراسة " فاعلية النحو العربي في التركيب القرآني من خلال ظاهرة التضام" والذي يهدف إلى تقصي ظاهرة التضام في التراكيب القرآنية استنادا إلى بعض الأبواب النحوية التي احتضنت التركيب القرآني بالتحليل والاستقراء.

أما ما يخصّ الدوافع التي شجّعتني على اختيار هذا الموضوع فتتمثّل فيما يلي:

- اتّصاله بالدراسات القرآنية وبالتالي خدمة لكتاب الله المعجز الذي يسمو ويرتقي بلفظه وتركيبه وأسلوبه ونظمه، ومحاولة لفهمه وبيان أسراره ووجوه إعجازه.

- تقاطع الموضوع بين علوم القرآن وحقول علم اللغة ومعالجة فروعها في ضوء الدراسات اللغوية.

- أهمية هذه الظاهرة واضح من خلال عناية النّحاة القدامى بمصطلح التضام ونستشفّ ذلك من كتبهم ونصوصهم الصريحة والضمنية، وحديثهم عن تلازم الأجزاء النحوية وتركيبها الذي يجعلها كالكلمة الواحدة.

- تبوؤ هذه الظاهرة موقعا متمكّنا في تراثنا البلاغي والنحوي.

إنَّ طبيعة الموضوع حدّدت منهجا يجمع بين التّنظير والتّطبيق وهو المنهج الوصفي وفق آلية التّحليل، باعتبار الدراسة تخضع إلى مسائل نحوية وتعتمد على عرض النصوص بغرض التطبيق والتحليل، وهو المنهج الأنسب لبيان الأثر الذي أحدثه النحو العربي في التركيب القرآني، حيث حاولت التّعرض إلى ذلك من خلال تناول جملة من النماذج القرآنية بالتحليل ابتداء بالتضام مرورا بعناصره وصولا إلى تضام الافتقار بنوعيه، وذلك دون إهمال المنهج التاريخي الذي استعنت به في المدخل في خضم الحديث عن نشأة الدراسات اللغوية للقرآن الكريم، وكذا المنهج المقارن في بيان سبق التراث اللغوي العربي في الإشارة إلى ظاهرة التضام وإن لم يشيروا إلى تسميتها بهذا المصطلح الذي أسّس له فيما بعد تمام حسان في اللسانيات المعاصرة.

ولمعالجة هذا الموضوع رأيت أن أتبع الخطة الآتية:

مقدمة الأطروحة: ذكرت فيها أهم العناصر المنهجية التي يجب أن تتوفر في البحث العلمي الأكاديمي وفقا لما تقتضيه من تحديد لموضوع الدراسة، وهو علاقة التركيب القرآني بظاهرة التضام ومدى حاجتنا لفهم القرآن الكريم والنحو العربي وذلك بالاستعانة بفروع اللغة لأهميتها في فهم تطبيقات هذه الظاهرة، انطلقت من الإشكالية قصد الإجابة عن بعض التساؤلات، وتطرقت إلى دوافع اختيار الموضوع، والمنهج المتّبع، ثم عرجت على ذكر بعض الصعوبات التي واجهت سير هذا البحث، وصولا إلى أهم المصادر والمراجع المعتمدة وذكرت الخطة المتبعة.

المدخل: تناولت فيه الدراسات اللغوية للقرآن الكريم، وعرجت على نشأة النحو العربي ومفهومه ومدارسه النحوية.

الفصل الأول: وهو بعنوان التركيب القرآني وأهمية النحو فيه قسّمته إلى ثلاثة مباحث، تطرقت في المبحث الأوّل إلى ماهية التركيب والقرآن الكريم، المدلولات اللغوية والاصطلاحية لمفهوم التركيب فوقفت على مفهومه وأنواعه، وتطرقت في المبحث الثاني إلى التركيب القرآني ووقفت على خصائصه وأهميته، أما المبحث الثالث فخصصته لأهمية النحو وخصوصيته في فهم التركيب القرآني.

الفصل الثاني ووسمته بـالتضام أصوله وامتداداته، وقسمته إلى ثلاثة مباحث تطرقت في المبحث الأول إلى المدلول اللغوي والاصطلاحي لمفهوم التضام ووقفت على تعريفه وأقسامه وأنواعه، والمبحث الثاني من هذا الفصل متعلّق بالتّضام بين الدراسات النّحوية والنّصية تناول جهود علماء التراث وحضور المصطلح في كتبهم أذكر على سبيل المثال لا الحصر كتاب المقتصد لعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، وحضوره في الدراسات اللسانية النّصية المتمثّلة في جهود تمام حسان، في حين تضمّن المبحث الأخير من هذا الفصل الحديث عن علاقة التّضام بالإعجاز التركيبي في القرآن الكريم وأثر التضام في اتساق التركيب القرآني.

الفصل الثالث والموسوم بـ " نماذج عن فاعلية التضام في التراكيب القرآنية " وهو دراسة تطبيقية في رحاب القرآن الكريم حاولت أن أقف فيه على تأثير التضام في التراكيب القرآنية من خلال تحليل بعض النماذج.

وأخيرا الخاتمة وهي عصارة ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات، تلتها قائمة مصادر ومراجع.

وبالتالي رافقتني في الدراسة مجموعة من المصادر والمراجع استأنست بها وهي كالآتي: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني (471هـ)، الكشاف للزمخشري (538هـ)، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، والتفسير الكبير في مجالس الذكر الحكيم لابن باديس، وكتب تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها والأصول والخلاصة النحوية والبيان في روائع القرآن واجتهادات لغوية.

الجدير بالذكر أنّه بعد استقصائي لبعض الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع والتحري عنها في مضانّها كـ"التضام في القرآن الكريم في سورتي هود وطه للباحث بوضياف محمد الصالح"، لمست أنها تناولت ظاهرة التضام من وجهة نظر لسانية نصية وبلاغية، وأردت أن أتناول في بحثي فاعلية التضام في التراكيب القرآنية من وجهة نظر نحوية ودلالية حتى أضفي على بحثي نوعا من الجدة.

اعترضتني صعوبات تتمثّل في خصوصية الموضوع لتعلّقه بالدراسات القرآنيّة والتحرز من عدم إعطائه حقه، وصعوبة التعامل مع بعض أقوال علماء التّراث لاسيّما ما تعلّق منها بتفسير القرآن الكريم، ودقّة المسالك وتداخل الحقول تصوّرا واصطلاحا، وتشعّب محاور الموضوع مما استلزم الجمع والتنقيب والتنسيق للإحاطة بجميع جوانبه بقدر من الإيجاز الذي لا يخلّ بمباحثه الأساسية، وبفضل من الله سبحانه وتعالى وبتحفيز من الأستاذ المشرف وتذليله للصعوبات وصبره على القراءة والمتابعة طوال فترة الإشراف وسعيه وحرصه الدائم لإنجاح البحث العلمي اكتمل العمل.

الحمد لله الذي وفقني وشرّفني بالانتساب إلى هذا الحرف العربي، وفتق لساني على هذه اللغة الشريفة ثم لا يسعني إلا أن أتقدّم بالشكر للوالدين الكريمين على دعمهما لي ماديا ومعنويا وصبرهما عليّ، كما أشكر لأساتذتي الكرام توجيهاتهم ونصائحهم المنهجية والعلمية ليكتمل هذا المنجز العلمي، فلكم مني أعظم التقدير والاحترام، ولا أنسى كل من قدّم لي يد العون والنصيحة وفي الأخير أسأل الله أن ينفع بهذا العمل.

والله ولي التوفيق وعلى الله قصد السبيل.

جامعة: مصطفى اسطمبولي (معسكر) **الباحثة: بوزيد أمينة**

التاريخ: 01 ذوالقعدة 1444هـ الموافق لــ 21 ماي 2023م.

مدخل

الدراسات اللغوية للقرآن الكريم وفاعلية التركيب القرآني فيها.

لقد سار اللغويون العرب على مرّ فترات التاريخ العربي في دراسة اللغة على نمط واحد، دون الخروج على قواعد النحو والبلاغة، مستغلين معارفهم في تطبيقها على النص القرآني، ولم تكن تلك ظاهرة مرضية، بل كانت ظاهرة صحية، فرضت وجودها في شكل مساجلات واستنباطات واجتهادات أدّت إلى هذا الزخم الفكري الذي نشهد آثاره في فكر الأمة العربية على اختلاف توجّهاتها.

إنّ ارتباط دراسة اللغة العربية بالنص القرآني أسهم في ثرائها، وكما كانت نصوص الفيدا عند الهنود سببا في تأمل اللغة ودراسة ظواهرها المختلفة، كان القرآن الكريم سببا في تأمّل الدارسين القدامى من العرب في أصوات اللغة العربية والظواهر المصاحبة لها وفي نحوها وتراكيبها ... ، واستمر هذا الامتداد لدراسة الظاهرة اللغوية وربطها بالنص القرآني إلى يومنا هذا، وما كان ذلك ليكون إلاّ لأنه استقر في ذهن الوعي الفكري لدينا مدى التزاوج بين اللغة العربية والنص القرآني، بل يتعدى ذلك إلى علاقة التماهي والتداخل بحيث يصعب على المتصدي لدراسة الظاهرة اللغوية تجريدها من النص القرآني الحامل المادي لها.

ومن هنا شغل القرآن الكريم اهتماما بالغا من لدن الباحثين حيث جمع بين السمو والارتقاء كما أنّ شغفهم به جعلهم يتسابقون لدراسته وحاولوا الكشف عن أسراره البيانية واللغوية ... وهذا ما لمسناه في عديد المؤلفات نذكر منها: لطائف قرآنية، مسائل قرآنية، وقفات قرآنية، لمحات قرآنية، غرائب قرآنية،نكات قرآنية، ملح قرآنية، تأملات قرآنية، فوائد قرآنية، رسائل قرآنية، خواطر قرآنية، كنوز قرآنية، بصائر قرآنية، جواهر قرآنية، قراءات قرآنية، دراسات قرآنية.

فالنظام اللغوي للقرآن الكريم بني على المشابهة وتعلق بعضه ببعض في المستويات كافة: الدلالية والنحوية والصرفية والصوتية والبلاغية وعدم الاختلاف لقوله تعالى﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴿82﴾ (سورة النساء)، وقوله ﴿ الر ۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴿1﴾ (سورة هود)، وهذا ما

يجعل النّص القرآني نصّا مفتوحا يحمل معنى متحرّكا يوافق حركة التاريخ ويناسب المتغيرات الزمانية والمكانية.

لذلك لابد من الانطلاق منه في دراسة لغة القرآن الكريم العربية وظواهرها المختلفة إذ أنّ في القرآن الكريم نظاما محكما شديد الصرامة، منتشرا في جميع أجزائه بحيث إن اللفظ – مفردة كان أو حرفا- والترتيب والتسلسل المعيّن للألفاظ في كل تركيب هو جزء من هذا النظام، والخطأ في تصور شيء منه في أي موضع يؤدي إلى الخطأ في تصور فروع كثيرة متصلة بذلك الموضع، وألزم الدارسين والمفسرين بالخضوع لهذا النظام في دراساتهم القرآنية[1]، ومن أبرز الدراسات والأبحاث التي أطلقت العنان للبحث في لغة القرآن الكريم وفي أسرار إعجازه اللغوي التركيبي نذكر منها:

اسم المفعول في لغة القرآن الكريم (دراسة لغوية) لعبد الفتاح محمد **:** هو دراسة أسلوبية أدائية معجمية سياقية توصل إلى نتائج غير مسبوقة منها: أن العربية احتفظت باسم المفعول على نحو متفرد، وأن القرآن الكريم استخدم اسم المفعول استخداما يظهر حيوية العربية وقدرتها وكفايتها على الوفاء بمتطلبات التعبير.

من الإعجاز اللغوي في القرآن دراسة لغوية أسلوبية في مناسبة اللفظ لسياق الحال مصطفى شعبان المصري: تابع الدرس الحديث وأفاد من أدواته دون انسلاخ عن أصول التراث وهذا ينم عن خبرته الطويلة وإلمامه بالتراث وهذا هو الأصل في أية محاولة للاقتراب من لغة القرآن الكريم، وكذا درس علاقة اللفظ بسياق الحال وجه من وجوه الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم، وسياق الحال فكرة عرفها القدماء وعبروا عنها بطرق مختلفة، إلا أنها صارت في العصر الحديث نظرية في التحليل اللغوي والدلالي منه على وجه الخصوص، استوعب هذه النظرية استيعابا جيدا وأخذ يدير بحثه بفصوله السبعة على عناصرها ويبرز فيه كل فصل وجها من وجوه الإعجاز على مستوى اللفظ في القرآن

[1] ينظر: السيد عالم سبيط النيلي، النظام القرآني مقدمة في المنهج اللفظي، مكتبة بلوتو، بغداد، ط2، 2003م، ص 12

الكريم، وقد جاءت لغة البحث موضوعية يسيرة سلسة تكشف عن استغراق صاحبها في موضوعه واستمتاعه به ما يدعونا إلى الاستمتاع العلمي بلغة القرآن الكريم.

الدراسة اللغوية للقرآن الكريم عند تمام حسان " لطيف محمد صالح نووي البرزنجي ": ولج تمام حسان الدراسات القرآنية من بابها الواسع، وقد حاز هذا الكتاب اهتماما بالغ الأهمية خاصة من لدن المتخصصين في مجال علوم اللغة العربية والباحثين في المواضيع قريبة الصلة بوجه عام، تدخل هذه الدراسة ضمن نطاق تخصص علوم اللغة ووثيق الصلة بالتخصصات الأخرى مثل الشعر والقواعد اللغوية والأدب والبلاغة.

البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني " تمام حسان ": يدخل في دائرة اهتمام الباحثين في مجال اللغة العربية بشكل خاص والباحثين في التخصصات قريبة الصلة بوجه عام حيث يقع كتاب البيان في روائع القرآن ضمن إطار تخصص علوم اللغة العربية ووثيق الصلة بالتخصصات الأخرى مثل البلاغة اللغوية والأدب العربي والشعر والنثر وغيرها من الموضوعات اللغوية التي تهمّ الدارس في هذا المجال، طبق آراءه اللغوية ونظرياته التي ذكرها في كتبه السابقة منها نظرية تضافر القرائن التي فسر في ضوئها الرخصة والعدول الأسلوبي واتسم بكثرة الشواهد القرآنية لكل ظاهرة أسلوبية أو لغوية.

اللسانيات والنص القرآني "عبد الحليم بن عيسى": تعتبر المعرفة اللغوية من المرتكزات الهامة التي تعتمد عليها العلوم الشرعية، ومن هنا لا يمكننا أن ندعو أنفسنا إلى التساؤل حول قيمتها في التشريع، بل إننا نؤكد على أن المشرع لا يبني أحكامه إلا انطلاقا مما يمليه التعاقب اللغوي باعتباره المادة الملموسة التي يرتكز عليها.

ومن هنا برزت تلك الدراسات التي تعتبر الوليد المباشر لفروع الدراسات اللغوية، والتي يُعدّ أهمّ مجالاتها ما يلي وبإيجاز :

أ ـ **المعاجم العربية:** حيث ذهبت طائفة من العلماء إلى البادية لأخذ اللغة من الأعراب الفصحاء وتدوينها صافية، لم تشبها شوائب العجمة التي بدأت في الدخول إليها من الأقطار

المفتوحة، ومن العلماء الأجلاء الذين أبلوا بلاء حسنا في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي، الأصمعي، يونس بن حبيب الضبّي، وأبو زيد الأنصاري وغيرهم[1]، في الوقت الذي أخذ الناس في الصدر الأول للإسلام يسألون كبار الصحابة عن تفسير بعض آيات القرآن الكريم وغريب ألفاظه، وتحدثنا الروايات الإسلامية عن الصحابي المشهور "عبد الله بن عباس" بأنه كان يُسأل عن معنى ألفاظ معينة من القرآن الكريم فيفسّرها للناس، ويستشهد على تفسيرها بأبيات من الشعر العربي، وبذلك يمكننا أن نعدّ تفسير ابن عباس للقرآن على هذا النحو نواة للمعاجم العربية[2].

ب ـ الشعر العربي: لقد شعر العلماء منذ الصدر الأول للإسلام بحاجتهم إلى الشعر العربي؛ للاستعانة به في فتح مغاليق الألفاظ والأساليب الغريبة الموجودة في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة؛ فانكبّوا عليه يروونه ويحفظونه ويدرسون أساليبه ومعانيه وما يدور فيه من ذكر لأيام العرب ووقائعهم، ولولا هذا الباعث الديني لاندثر الشعر الجاهلي، ولم يصل إلينا منه شيء[3]، وهذا ما يقرّه أبو حاتم الرازي بقوله: «ولولا ما بالناس من الحاجة إلى معرفة لغة العرب، والاستعانة بالشعر على العلم بغريب القرآن، وأحاديث رسول الله ـ ﷺ ـ، والصحابة والتابعين، والأئمة الماضين؛ لبطل الشعر، وانقرض ذكر الشعراء، ولَعَفَى الدهر على آثارهم، ونسي الناس أيامهم»[4]، ويقول ابن عباس - رضي الله عنه – «إذا سألتموني عن غريب القرآن، فالتمسوه في الشعر، فإنّ الشعر ديوان العرب»[5].

---

[1] عبد الغفار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، مطبعة الجبلاوي، 1406هـ، ط2، ص32-47. ومحمد السيد علي بلاسي، المدخل إلى البحث اللغوي، ص 12، المطبعة العصرية، ببيروت، 1419هـ، ط1، ص12.

[2] رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط6، 1420هـ، ص 109-110

[3] رمضان عبد التواب، المرجع نفسه، ص 111.

[4] أبو حاتم الرازي، كتاب الزينة، تح: حسين الهمداني، ج1، القاهرة، 1958م، ص116.

[5] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، القاهرة، 1368هـ، ج1، ص347

ج - علوم القراءات وعلم الأصوات: من المعلوم أنّ موضوع علوم القراءات بيان الوجوه التي قرئت بها آي الذكر الحكيم، وقد ظلت موضوعات هذه البحوث يأخذها الناس عن القرّاء عن طريق التلقين، حتى جاء العصر العباسي، فعكف العلماء على تدوينها وضبط قواعدها ونقد أسانيدها فقطعوا بها شوطاً كبيراً في سبيل الكمال[1]، وللقراءات أهمية خاصة؛ حيث حفظت لنا أصوات اللغة العربية عبر أربعة عشر قرناً؛ حتى لتمثل - في معظمها - النطق العربيّ الأصيل؛ ومن هذا المنطلق أمكن تحديد معالم الصوتيات العربية، ومناهجها ونتائجها، فيما يعرف لدى المحدثين باسم "الفوناتيك"[2].

د - النحو والصرف: لو نظرنا إلى النحو العربي، لوجدنا أنّ الغيرة على القرآن الكريم، وصونه من التحريف على ألسنة الأعاجم؛ كان السبب في وضع قواعدها، وتروي لنا الأخبار أنّ أبا الأسود الدؤلي، كان أول من وضع النحو، وأنّ السبب في ذلك أنه سمع قارئاً يقرأ ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُ ۚ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۖ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (سورة التوبة/3) بكسر اللام من: "رَسَولُه"؛ فغضب لذلك؛ وكان هذا حافزاً له على وضع مبادئ النحو[3].

هـ - علوم البلاغة: أمّا دراسة الأسلوب، أو ما عرف عند العلماء فيما بعد، بعلوم البلاغة، وهي علوم البيان والمعاني والبديع، فتذكر المصادر العربية، أنّ أبا عبيد معمر بن المثنى، كان من أوائل من ألّف فيها، وغايته توضيح الأساليب القرآنية[4]، فَيُرْوَى أنّ الفضل بن سهل

---

[1] علي عبد الواحد وافي ، علم اللغة، دار نهضة مصر ، د.ت، ط9، ص71-72.

[2] عبد الغفار هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، مطبعة الجرلوى، القاهرة، ط2، 1406هـ/ 1986م، ص 53 ، 54

[3] فصول في فقه العربية، ص 112، ينظر: السيرافي، الرواية في أخبار النحويين البصريين، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي وطه الزيني، ص 12، و ابن النديم، الفهرست، القاهرة، 1348هـ، ص66، وابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1967م، ص3.

[4] رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ص 112 ، 113

أرسل في طلب أبي عبيدة من البصرة، فلما قدم عليه سأله عن قوله تعالى ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴿65﴾(سورة الصافات) وقال له: إنما يقع الوعد والإيعاد (يعني في القرآن الكريم) بما قد عُرِفَ مثله، وهذا لم يُعْرَفْ. فقال له أبو عبيدة: إنما كلّم الله تعالى العرب على قدر كلامهم؛ أما سمعت قول امرئ القيس:

أيقتلني والمشــرفيّ مُضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال.

وهم لم يروا الغول قط، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أوْعدوا به. فاستحسن الفضل ذلك. وقد قال أبو عبيدة بعد ذلك: « وعزمت من ذلك اليوم أنْ أضع كتاباً في القرآن الكريم، في مثل هذا وأشباهه، وما يحتاج إليه من علمه، فلما رجعت إلى البصرة، عملت كتابي الذي سمّيته: المجاز »[1].

و - الكتابة العربية (الضبط والإعجام): وللخليل بن أحمد الفراهيدي جهد معلوم في شكل الحروف على نمطها المتعارف الآن؛ إذْ أنّ الخط العربي كان في صدر الإسلام خلواً من الشكل والإعجام، فجاء أبو الأسود الدؤلي ليجعل النقط ضبطاً للحروف، فعلامة الفتحة نقطة فوق الحرف، وعلامة الكسرة نقطة تحته، وعلامة الضمة نقطة وسطه، وجعل التنوين نقطتين. ثم جاء نصر بن عاصم، فأعاد النظر إلى الخط بتوجيه من الحجاج بن يوسف فأشار بنقط الإعجام بعد أنْ كانت الحروف كلها مهملة؛ فوضع نقطة تحت الباء، ونقطتين تحت الياء، وواحدة فوق النون، واثنتين فوق التاء، وثلاثة فوق الثاء وهكذا ... فاختلط نقط الشكل بنقط الإعجام، و وقع الناشئون والكبار أحياناً في لبس مما يقرءون، ولكن الله - عز وجل - هدى الخليل بن أحمد إلى أن يميّز بين الشكل والإعجام؛ فجعل النقط للإعجام وحده، أما الشّكل فوضع له ما نعرفه الآن من علامات الفتحة، والضمّة، والكسرة، والسكون، والشدّة للمضعف، والشرطتين للتنوين، وجعل للهمزة رأس عين «ء»، فكان مجموع ما تم له وضعه

[1] ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، القاهرة، 1936م، ج19، ص158.

ثماني علامات، هي: الفتحة والكسرة والضمة والسكون والشدة والهمزة والصلة حرف: «صـ» والمدّة، وترك كتاباً يتضمن ذلك فلم يزد أحد عمّا فعل[1].

ومع أنّ الخليل بن أحمد، قد وضع هذا الشكل المريح، فإنّ العلماء غبروا زمناً طويلاً، لا يجرؤون على استخدامه في ضبط النص القرآني، ويفضلون عليه النقط اتباعاً للسلف، ويسمون ضبط الخليل شكل الشعر؛ وكل ذلك لصيانة القرآن الكريم، عن أنْ يتعاوره المتعاورون بالتبديل والتغيير[2]، يقول أبو عمرو الداني «وترك استعمال شكل الشعر، وهو الشكل الذي في الكتب، الذي اخترعه الخليل، في المصاحف الجامعة من الأمهات وغيرها أولى وأحقّ؛ اقتداء بمن ابتدأ النقط من التابعين، واتباعاً للأئمة السالفين»[3].

وهكذا نرى أنّ القرآن الكريم، كان محوراً لجميع الدراسات العربية، التي قامت في الأساس لخدمته، ومن بينها الدراسات اللغوية، ولولاه لاندثرت اللغة العربية الفصحى، وأصبحت لغة أثرية، تشبه اللاتينية أو السنسكريتية التي حلت محلها الهندية[4]، ولله در ابن خلدون حيث قال في مقدمته « تختلف لغة العرب لعهدنا، مع لغة مضر، إلا أنّ العناية بلسان مضر من أجل الشريعة كما قلنا، حمل على ذلك الاستنباط والاستقراء، وليس عندنا لهذا العهد ما يحملنا على مثل ذلك، ويدعونا إليه»[5].

---

[1] محمد السيد علي بلاسي، بحوث ومقالات في فقه اللغة العربية، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الإعلام العمانية، ط2، 1997م، العدد 218، ص113 وما بعدها.

[2] رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ص 114

[3] أبو عمرو الداني، المحكم في نقط المصاحف، تحقيق الدكتور عزة حسن، دمشق، 1960م، ص27 .

[4] رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ص 115.

[5] عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، المقدمة، تحقيق محمد الدرويش، ط1، دار العرب، ج1، ص615.

المبحث الأوّل: الدراسات اللغوية للقرآن الكريم

- **نشأة الدراسات اللغوية للقرآن الكريم:**

لم يكن العرب أوّل من درسوا لغتهم بهدف وضع القواعد لصيانة الألسنة من الخطأ واللحن، فقد سبق إلى ذلك شعوب كثيرة من هنود وعبرانيين وإغريق وغيرهم، وكانت الكتب المقدسة والديانات والمعتقدات الدينية دائما هي العامل الأساسي في انطلاق تلك الدراسات، وهذا ما كان بالنسبة للدراسات اللغوية العربية بالإضافة إلى أسباب وعوامل أخرى.

يقول شوقي ضيف « فالأصل في كل علم أن تبدأ فيه نظرات متناثرة هنا وهناك ، ثم يتاح له من يصوغ هذه النظرات صياغة علمية تقوم على اتخاذ القواعد وما يطوى فيها من أقيسة وعلل ... ومعروف أنه لكي يصاغ علم صياغة دقيقة لا بد له من اطراد قواعده، وأن تقوم على الاستقراء الدقيق ... وأما من حيث الاستقراء، فقد اشترطوا صحة المادة التي يشتقون منها قواعدهم، ومن أجل ذلك رحلوا الى أعماق نجد، وبوادي الحجاز وتهامة يجمعون تلك المادة من ينابيعها الصافية التي لم تفسدها الحضارة ، وبعبارة أخرى رحلوا إلى القبائل المتبدية المحتفظة بملكة اللغة وسليقتها الصحيحة، وهي قبائل تميم وقيس وأسد وطيء وهذيل وبعض عشائر كنانة ... وأضافوا إلى هذا الينبوع الأساسي ينبوعا بدويا زحف إلى بلدتهم من بوادي نجد، وهو نفر من الأعراب الكاتبين قدم إلى البصرة واحترف تعليم شبابها الفصحى السليمة وأشعارها وأخبار أهلها، وكان القرآن الكريم وقراءاته مددا لا ينضب لقواعدهم وكانوا لا يحتجون بالحديث النبوي ولا يتخذونه إماما لشواهدهم وأمثلتهم، لأنّه روي بالمعنى إذ لم يُكتب ولم يُدوّن إلا في القرن الثاني للهجرة، ودخلت في روايته كثرة من الأعاجم»[1].

[1] شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، مصر، ط2، 2009م، ص18

1- أسباب نشأة الدراسات اللغوية العربية:

يتّفق معظم الدارسين على أنّ العرب في الجاهلية كانوا يتكلمون لغتهم بالسليقة ولم يكونوا بحاجة إلى قواعد لغوية تضبط لسانهم، مع وجود بعض الاستثناءات التي لم تكن تشكل خطرا على اللّغة علما أنّ الخطأ واللّحن والانحراف اللّغوي من العيوب الّتي قد لا تُغتفر، إلى أن جاء الإسلام ونزل القرآن الكريم في المستوى الأعلى من البلاغة والفصاحة بلسان عربي مبين أي باللغة المشتركة أو ما يسمى الآن بالفصحى، التي يرى بعضهم أنها لهجة قريش التي كان لها من العوامل والظروف ما جعلها اللهجة الأرقى التي تبنّاها العرب وجعلوها لغتهم الرّسميّة التي يتعاملون بها على الصعيد الرسمي والمناسبات الأدبية والمواسم، وقد كان ما جاءنا من الشعر الجاهلي كلّه بهذه اللغة المشتركة مع إشارات إلى بعض اللّهجات العربيّة الخاصّة التي ظهرت أيضا باللغات العربية المسموح بها (الجائزة).

هذا وقد ظلّ الأمر كذلك بعد مجيء الإسلام، إذ أنّ السّليقة لم تزل قاسما مشتركا بين العرب الذين دخلوا تحت راية هذا الدّين وتوحّدوا تحت لوائه وعزّز القرآن وحدتهم اللغوية، ولم تكن الدروس اللغوية إلا ملاحظات عابرة تصحّح بها بعض الأخطاء، وكان الرّسول ﷺ ومن معه من الصحابة الملازمين يتلون القرآن الكريم كما أُنزل فيتبعهم في ذلك المسلمون حفظا وتلاوة، لكن الأمر لم يبق على هذه الحال لأنّ الإسلام جاء وبأمر من الله إلى النّاس كافة، وكان لابد أن ينطلق العرب المسلمون بهذه الأمانة لتبليغها للناس خارج حدود الجزيرة العربية، وقد أيّدهم الله بالنصر وفتح على الإسلام والمسلمين فدخلت الأمم والشعوب في هذا الدين الذي كانت اللغة العربية لغته الرسمية ولغة دستوره (القرآن الكريم).

وكان لابد للمسلمين غير العرب من تعلّم هذه اللّغة أو الإلمام بها، لاسيّما أنّ بعض شعائر الإسلام لابد أن تؤدى باللغة العربية، وأن تلاوة القرآن عبادة يتقرّب بها المسلم إلى ربّه، زيادة عن العلاقات الاجتماعية التي جعلت المسلمين على اختلاف أجناسهم أمّة واحدة يختلطون ويتعاملون فلابد من لسان يساعدهم على تمتين الروابط بينهم، وقد كان اللسان العربي - بلا شك - هو المثل الأعلى وكان العرب المسلمون هم القدوة، ولكن لم يكن من

السهل محاكاة العرب ومجاراتهم في لغتهم لكل من دخل الإسلام، ولم يكن للعرب إلا أن يتأثروا بلغات تلك الأمم ورطانتها.

بدأت السليقة تضعف وبدأت آثار الاختلاط تظهر سلبا على العربية، وبدأ اللحن يتفشى ليس على ألسنة غير العرب فحسب، بل وعلى ألسنة العرب أنفسهم حتى الخاصة منهم، ووصل الأمر كما تذكر بعض الروايات إلى تلاوة القرآن الكريم وعلى لسان بعض المقرئين، مما أدى إلى الاستنكار ورفع القضية إلى الخليفة لتدارك الأمر.

وهكذا كانت الفتوحات الإسلامية وتوسّع الحدود عاملا وسببا في شيوع اللّحن وكان شيوع اللّحن من الأسباب التي دفعت إلى نشأة الدراسات اللغوية العربية، ولا شك أن العامل الديني كان العامل المحوري خوفا على لغة القرآن وليس على القرآن نفسه - كما يذكر على بعض الألسنة – مما دفع الغيورين للقيام بعمل يصون الألسنة من الزلل والانحراف، ولابد في هذا المقام من تسجيل العوامل والأسباب التي أدت إلى نشأة الدراسات اللغوية خدمة للقرآن الكريم.

1.1 العامل الديني: للمحافظة على فهم القرآن وحسن تلاوته واستخراج الأحكام الشرعية، ويرتبط بهذا العامل أسباب الخوف من فساد الألسنة بسبب توسع الحدود بعد الفتوحات الإسلامية وما نتج عنه من اختلاط وتأثر العربية بغيرها من اللغات (الألسن).
2.1 العامل القومي: ويتمثّل في حبّ العرب للغتهم و غيرتهم عليها، وحب خدمة الدين وهو بمثابة الجهاد.

3.1 العامل الفكري الحضاري: وهو ارتقاء التفكير عند العرب بسبب حضارية الدين الإسلامي و دعوته إلى العلم بالإضافة إلى الاحتكاك الفكري بالأمم الأخرى.
وهكذا تضافرت كل هذه العوامل وغيرها لقيام مشروع دراسة اللغة العربية ووضع قواعدها

- **مناهج الدراسات اللغوية للقرآن الكريم**

1/ المرحلة التمهيدية: وكانت مرتبطة بالقرآن الكريم لضبط تلاوته ضبطا نحويا صحيحا، لأنّ الخطأ النحوي قد يغيّر من مدلول الآيات حتى يصل بذلك إلى المحظور والتحريف، مثال ذلك ما ورد من قراءة بعض القراء ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُ ۚ3﴾(سورة التوبة) بكسر لام رسوله بدلا من رفعها.

ويعدّ أبو الأسود الدؤلي المتوفى(69 هـ) علم هذه المرحلة، بل يقال: إنّه أوّل من وضع علم النحو، وكان ذلك عندما قام بضبط المصحف الشريف بوضع ما يسمّى بنقاط الإعراب على أواخر الكلم لبيان وظيفتها النحوية، حيث أتى بكاتب من بني عبد قيس وقال له "انظر إلى شفتي وأنا أقرأ فإن فتحت شفتي فضع نقطة فوق الحرف، وإن كسرت فضع نقطة تحت الحرف،وإن ضممت فضع نقطة بجانب الحرف وإن أتبعت ذلك غنة (ويريد بذلك التنوين) فضع نقطتين بدل النقطة، وهكذا عمل معه من بداية المصحف حتى نهايته ويقال إنّ نقاط الإعراب هذه التي تدل على الحركات ظلّت حتى جاء الخليل فاستبدلها بحركات الإعراب الحالية : الفتحة والضمة والكسرة.[1]

2/ الدراسة الوصفية التحليلية الشاملة :

المرحلة الأولى: وتتمثّل في جمع المعطيات اللغوية، ضف إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والشعر العربي، كانت هناك اللغة والألفاظ التي يستعملها الأعراب الذين يعتقد أن لغتهم لم تزل صحيحة لبعدهم عن أماكن الاختلاط وتحصنهم في قلب الصحراء، لذلك فقد حددت الأماكن والقبائل[2] التي يمكن الأخذ عنها والاطمئنان إلى لغتها مثل قيس وتميم و أسد و بعض كنانة وهذيل وبعض الطائيين، فقد ارتحل علماء اللغة إلى قلب الصحراء يستمعون

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، دار الأمل، إربد، الأردن، ط3، 1422هـ/2001م، ص63-64 .

[2] مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج/ 68، 1991 م، ص155، ترتيب القبائل حسب نصيبها من الألفاظ القرآنية كما يلي قريش ، هذيل ، كنانة ، حمير ، جرهم ، تميم ، قيس عيلان ، أهل عمان وأزد، شنوءة ، خثعم ، طيء ، مذحج وغسان ، بنو حنيفة ، حضرموت ، أشعر ، أغار ، خزاعة ، بنو عامر ، لخم ، كندة، سبأ ، أهل اليمامة ، مزينة ، ثقيف ، العمالة ، سعد العشيرة.

إلى الأعراب ويسجلون لغتهم بطريقة السؤال المباشر وغير المباشر، وبالتالي انعكست هذه الرحلات اللغوية فيما بعد فصار الموردون من الأعراب يفدون إلى الحواضر ويقدّمون بضاعتهم من اللغة والألفاظ إلى المهتمّين، وهكذا تشكلت لدى العلماء ثروة هائلة من المعطيات اللغوية الصالحة للدراسة.

المرحلة الثانية : وهي مرحلة التصنيف والتبويب ، فقد كانت المعطيات اللغوية قد جمعت في كثير من الأحيان بطريقة عشوائية، فتمّ تنظيمها وتصنيفها في مجموعات "رسائل" حسب الموضوعات فظهرت كتبا مثل: كتاب الإبل، وكتاب الخيل، وكتاب النبات وغير ذلك...، ثم كان فيما بعد جمع عام للألفاظ العربية "المعاجم العامة" كمعجم الخليل، وقبل دراسة المعطيات اللغوية تمّ تصنيفها بطريقة أخرى، يمكن أن تسمّى شكلية أو نحوية، كقوائم للأفعال ، وأخرى للأسماء ، وثالثة للحروف.

المرحلة الثالثة: مرحلة الاستقراء والمقارنة واستنباط القواعد العامة للغة من خلال دراسة هذه المعطيات التي تمثّل الطريقة التي كان عليها العرب في كلامهم، من حيث الرفع والنصب والجر والوقف، وكل ما يتعلّق بالنحو بالمعنى العام، ولا بد من الإشارة هنا إلى أنّ الدراسة في هذه المرحلة كانت عامة وفي كل الجوانب، وكان تصنيف تلك المعطيات النحوية حسب البيئة اللغوية، وليس حسب الزمن مثلا عندما جمعوا الأفعال الماضية جمعوا كل الأفعال المفتوحة الآخر، وكانت القواعد المستخلصة أشبه بعلم اللغة العام حيث شملت النحو والصرف والبلاغة وغير ذلك .

المرحلة الرابعة : كلّ علم يبدأ عاما شاملا ثم يتّجه نحو التخصيص، وهذا ما كان بالنسبة للدراسات اللغوية العربية، فقد ازداد التعمق في الدراسات النحوية، وحدث الخلاف في وجهات النظر نظرا لاختلاف اللهجات العربية ولشدة المنافسة بين العلماء، فظهر ما يسمى بالمدارس النحوية، وكان على رأسها مدرسة البصرة، التي تميّزت بالإصرار على الاعتماد على ما جاء على ألسنة عرب الصحراء دون الحواضر وعدم الأخذ بالشواذ من الشواهد الفردية، ثم انشقت عنها مدرسة الكوفة واختلفت عنها في المنهج فقبلت الشاذ وقاست عليه،

كما اعتدّت بكل كلام العرب، سواء كان من بدو الصحراء أو من الحواضر وهذا ما سنفصّل فيه لاحقا.

المرحلة الخامسة: في نهاية القرن الخامس الهجري اتخذت الدراسة اللغوية العربية منهجا جديدا وهو منهج الدراسة الوظيفية للغة، وكان ذلك على يد الإمام عبد القاهر الجرجاني الذي أعاد للدراسة اللغوية العربية روحها، وأكد على ربط النحو بالبلاغة وأطلق ما يسمى "بالنحو البلاغي"، لأن للغة وظيفة أساسية هي الاتصال.

ومنه نستنتج أنّ تطور الدراسة اللغوية عند العرب بدأ بما هو عملي من حيث جمع الألفاظ و ضبطها ثمّ دراسة التراكيب اللغوية قبل الوصول إلى وضع منهج في دراسة اللغة مثلما أضحى الأمر عليه في القرن الرابع.

- **أهداف الدراسات اللغوية للقرآن الكريم**

من منطلق أنّ القرآن الكريم كتاب معجز يسمو ويرتقي فوق كل نص فهو غاية وهدف للدراسة من لدن أي باحث في شتى العلوم اللغوية (الصوتية، الصرفية، النحوية، البلاغية، الدلالية ...) «فالدراسات العربية نشأت بفروعها المختلفة متعلقة بالقرآن الكريم، فكان القرآن هو المحور الذي دارت حوله تلك الدراسات المختلفة، سواء فيها تلك الدراسات التي تتعلّق تعلّقا مباشرا بتفسير القرآن وتوضيح آياته وتبيين معناه واستنباط أحكام الشريعة منه، أو تلك التي تخدم هذه الأغراض جميعها بالبحث في دلالة اللفظ واشتقاق الصّيغ وتركيب الجمل والأسلوب والصور الكلامية واختلافها باختلاف المقام، حتى تلك الدراسات التي تتعلّق بالرسم الإملائي، والفلك، والرياضة، والطبيعة، كلّ هذه الدراسات قامت أساسا لخدمة الدين الإسلامي ولغرض فهم القرآن الكريم مصدر التشريع الإسلامي ودستور المسلمين»[1].

[1] رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ص108.

واللغة العربية «لم تصر لغة عالمية حقّا-كما يقول نولدكه- إلا بسبب القرآن والإسلام، إذ تحت قيادة قريش، فتح البدو سكان الصحراء، نصف العالم لهم وللإيمان؛ وبهذا صارت العربية لغة مقدسة كذلك»[1]، فأجهد العلماء أنفسهم في دراستها، واستكناه أسرارها، ليقفوا على مواطن الإعجاز في كتاب الله العزيز[2]، بالإضافة إلى الحفاظ على القرآن الكريم رسما وخطا، نحوا وصرفا، والحفاظ عليه دلاليا وأسلوبيا.

المبحث الثاني: فاعلية الدراسات اللغوية في التركيب القرآني.

إنّ اللسانيات دراسة علمية تهدف إلى وصْف وتحليل اللغات الطبيعية من حيث بنْياتها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية والتداولية، وقد شهد الحقل اللساني في العالم العربي تطورا كبيرا على المستوى النظري والتطبيقي، حيث عرف البحث اللساني العربي تقدما ملموسا تميز فيه اللسانيون العرب بتجديد آلياته، وتعميق النظر في الظواهر، واقتراح نماذج تحليلية مكّنت من تقديم معالجة جديدة، أنيقة وفعّالة لقضايا لغوية متنوعة شملت الصرف والصوت والتركيب والدلالة مما مكّن من مراجعة بعض قضايا النحو التقليدي العربي لفائدة تصور لغوي جديد تدعمه نظريات لسانية عربيّة متكاملة.

أما عن اللسانيات في علاقتها بالنص القرآني، فالأصح أن القرآن الكريم هو أصل للمعرفة؛ لأنه معرفة أولى لا تنقضي عجائبه، والصواب أيضا أن يكون القرآن أصلا للسانيات تستوحي من حوضه الفياض، خاصة أن النص القرآني يختلف كثيرا عن كلام البشر.

---

[1] نولدكه (مستشرق ألماني)، اللغات السامية، ترجمة د. رمضان عبد التواب، القاهرة، 1963م، ص79

[2] رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ص 109 .

وعموما يمكن أن نشير إلى بعض القضايا التي يمكن أن تسهم بها اللسانيات في علاقتها بالقرآن، وسنركز الحديث عن اللسانيات التوليدية[1]، حيث تمكننا من معرفة هندسة الجمل في تركيب القرآن، كما بإمكانها أن تزوّد المفسر للنص القرآني بآليات وأدوات لسانيّة تركيبية تمكّن من توضيح بعض مظاهر الإتقان في تركيب القرآن، ومن حيث الجهاز المفاهيمي فإنّ اللسانيات التوليدية يمكن أن تمدّ المفسر للنص القرآني بجهاز مفاهيمي يمكن استثماره في تحليل التركيب ودلالات النص القرآني.

من جهة أخرى إنّ في آيات القرآن الكريم الجواهر اللغوية والمعنوية التي لم يتم اكتشافها بعد بل لا نهاية لها مما يقتضي التسلّح بما يناسب من الآليات اللسانيّة لإظهار الإتقان في تركيب القرآن، وبعبارة أدق إنّ القرآن الكريم له أسرار لغوية كثيرة في مفرداته ومعانيه وتراكيبه، وهذه الأسرار اللغوية، تقتضي من الباحث أن يغوص في بحر اللغة القرآنية.

هذه المزايا التي أعطاها القرآن لهذه اللغة جعلتها تساهم في فهم هذا الكتاب الكريم، وفي هذا المقام سأتطرق إلى فاعلية العلوم اللغوية (النحو، التداولية والبلاغة) في إظهار الإتقان في تركيب القرآن، وكيف مكّنتنا من الوقوف على أسرار الإعجاز في التركيب القرآني.

- **أولا: فاعلية النحو في التركيب القرآني:**

1/ مفهوم الفاعلية:

أ/- لغة: الفاعلية من مادة (فعل) قال الفيروز أبادي «الفعل: حركة الإنسان أو كناية عن كل عمل متعد»[2] وفي المعجم الوسيط «وصف لكل ما هو فاعل»[1] يستعاض بها بدلا من النشاط أما (الفاعلية) بدلا من الفعالية اسم نشاط قائم، فهي التأثير والقدرة على إحداث أثر قوي.

[1] أعمال الفاسي الفهري الذي حاول معالجة اللغة العربية من خلال مؤلفاته اللسانيات واللغة العربية، البناء الموازي، ذرات اللغة العربية، وأعمال محمد الرحالي في كتابه تركيب اللغة العربية، أما النحو الوظيفي فنجد أحمد المتوكل.

[2] فيروز أبادي(محمد بن يعقوب مجد الدين)، قاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، 1426هـ/2005م ص 1043.

ب)- اصطلاحا: اختلف الباحثون في تعريف الفاعلية نظرا لعوامل مختلفة منها الفلسفة التي تنطلق منها التعريفات، وكذلك المرحلة الزمنية لمفهوم الفاعلية، ترتبط الفاعلية بالواقع، فهي الأثر لأفكارنا على أرض الواقع، فكل عمل أو قول لا يحقق نتائج عملية يكون فاقدا للفاعلية، يقول ابن مالك الفاعلية هي حركة الإنسان في صناعة التاريخ «إذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ»[2] وفي المفهوم العام العمل على بلوغ أعلى درجات الإنجاز وتحقيق أفضل النتائج بأقل التكاليف.

ثانيا/- مفهوم النحو:

أ/- لغة: ترجع معاني النحو في اللغة إلى عدة معاني منها القصد والتعريف والجهة، وأصل هذه المعاني هو القصد، لأن النحو مأخوذ من قول أبي الأسود الدؤلي عندما وضع كتابا فيه الجمل العربية، ثم قال «... انحوا هذا النحو أي اقصدوه والنحو هو القصد فسمي لذلك نحوا»[3] ، نستشف ذلك من كلام اللغويين يقول ابن فارس «النون والحاء والواو كلمة تدل على قصد ونحوت نحوه، ولذلك سمي نحو الكلام لأنه يقصد أصول الكلام، فيتكلم على حسب ما كان العرب تتكلم به، ويقال إنّ بني نحو قوم من العرب»[4]، وذهب ابن منظور بقوله أورد ابن منظور في لسان العرب أن النحو إعراب الكلام العربي «النحو القصد والطريق يكون ظرفا ويكون اسما، نحاه ينحوه نحوا، وانتحاه، ونحو العربية منه، إنما هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير والتكبير والإضافة والنسب وغير ذلك»[5].

---

[1] مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، ، دار المعارف، القاهرة، ط03، ج01، ص659.

[2] مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط1، 1423هـ/ 2002م، ص125.

[3] أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن مبارك، دار النفائس، بيروت، ط03، 1399هـ/1979م، ص19.

[4] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، د.ط، 1979م، ج5، مادة (نحا)، ص403.

[5] ابن منظور، لسان العرب، مادة (نحا)، ص309-310.

ذهب الشاطبي إلى القول «وأصل النحو في اللغة القصد، وهو ضد اللحن الذي هو عدول عن القصد والصواب، والنحو قصد إليه ...»[1]، والنحو عند ابن يعيش «قانون يتوصل به إلى كلام العرب»[2].

ب/- اصطلاحا: يقول ابن جني «فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلمة الثابتة والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة، ألا ترى أنك إذا قلت: قام بكر، ورأيت بكرا، ومررت ببكر، فإنك إنما خالفت بين حركات حروف الإعراب لاختلاف العامل، ولم تعرض لباقي الكلمة»[3]، ويقول الشاطبي «النحو في الاصطلاح علم بالأحوال والأشكال التي بها تدل ألفاظ العرب على المعاني أو أنه علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب»[4].

يقول مصطفى إبراهيم «فإنّ النحو كما نرى وكما يجب أن يكون هو قانون تأليف الكلام لكل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة، والجملة مع الجملة حتى تتسق العبارة ويمكن أن تؤدي معناها، وذلك أنَ لكل كلمة وهي منفردة معنى خاصا تتكفل اللغة ببيانه»[5]، في هذا التعريف نظرة مغايرة لمفاهيم القدماء للنحو الذي يردَه النحاة القدماء إلى الإعراب أو نظرية العامل، حيث نظر مصطفى إبراهيم إلى الكلمة من خلال التركيب أو الجملة نظرة وظيفية سياقية، يطلق عليه حديثا «علم التراكيب وهو يبحث فيها عن عدة جوانب: الاختيار، الضم، الموقعية، التعليق، الإعراب،...»[6].

---

[1] الشاطبي، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة، ط1، ج1، 1428هـ/2007م، ص17.

[2] شرح المفصل، تح: أيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2001م، ج1، ص66.

[3] ابن جني، المنصف في شرح كتاب التصريف للمازني، تح: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، القاهرة، 1995م، ص4.

[4] الشاطبي، المقاصد الشافيه، ج1، ص17.

[5] إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، مدار الأفاق العربية، القاهرة، 1423 هـ/ 2003م، ص21.

[6] طبية سعيد السليطي، تدريس النحو العربي في ضوء الاتجاهات الحديثة، الدار المصرية اللبنانية، 1423 هـ/ 2002م، ط1، ص26.

أما عبد القاهر الجرجاني وفي إطار حديثه عن النحو وصلته باستقامة المعنى ووضوحه قد بين في شرحه لمعنى قولهم « النحو في الكلام كالملح في الطعام، فالمعنى أن الكلام لا يستقيم ولا تحصل منافعه التي هي الدلالات على المقاصد، إلا بمراعاة أحكام النحو فيه، كالإعراب والترتيب الخاص، كما لا يجدي الطعام ولا تحصل المنفعة منه وهي التغذية ما لم يصلح بالملح»[1].

كانت العرب قبل الإسلام أمة فصاحة وبيان وبلاغة لسان، تجلى ذلك فيما أسموه ديوان العرب " الشعر" واستمر القوم على سليقتهم وملكتهم اللغوية إلى أن ظهر الإسلام بنزول القرآن الذي أحدث هزة في قدراتهم التعبيرية، حيث وقفوا أمامه منبهرين عاجزين رغم ما أوتوا من بيان على أن يأتوا بمثله ولو بسورة واحدة، فبدأ الخوض في البحث عن سر هذا العجز، ليكون القرآن الكريم صاحب السبق دون غيره في نشأة الدراسات اللغوية.

اختلفت الروايات في نشأة النحو العربي، حيث أورد ابن الأنباري روايات مختلفة في هذا حيث يعيد نشأته إلى علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – مرة وفي رواية ينسب نشأته إلى عمر بن الخطاب - رضوان الله عليه - ومرة إلى أبي الأسود الدؤلي، ومهما يكن في هوية المؤسس الأول لعلم النحو يظل السبب الرئيس لنشأته هو مقاومة اللحن الذي ذاع في أوساط البصرة فكانت هي مصدر البحث فيه، ثم انتقلت حركة البحث إلى الكوفة، فكان بها طائفة من النحاة.

أصبحت بيئة العراق تربة خصبة للدراسات اللغوية لما لها من إرث حضاري وثقافي، ولما انتشر هذا البحث العقلي للمحافظة على لغة القرآن التي باستقامتها تستقيم القراءة النحوية المرتبطة ارتباطا وثيقا بالمعاني القرآنية في حمولتها بيان الإعجاز القرآني نظما وفصاحة، ومن أجل هذا الهدف الراقي تنافس الغيورون على الدين والأمة، فانبثقت مدارس

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، محمد علي زينو، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط01، 1426هـ/2005م، ص50.

نحوية تصب في القالب ذاته «ولكن باتجاهات متباينة جلها إقليمية أدت إلى ظهور ثلاث مدارس نحوية»[1].

مدرسة البصرة ممثلة في الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه ومدرسة الكوفة ممثلة في الكسائي ثم مدرسة بغداد التوفيقية بين المدرستين.

المدارس النحوية:

1/- مدرسة البصرة: أول النحاة البصريين هو عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي

(ت117هـ) حيث كان يؤسس النحو على أسس صحيحة تعتمد منهج الاستقراء الدقيق، والتعليل الأدقّ كونه قائما على التراكيب اللغوية التي تعد الألفاظ المسموعة أسسا لها، حيث استغل القياس بمهارة حتى عُدّ أول من مدّ القياس، وتوالى الاجتهاد في باب النحو حتى وصل إلى مرحلة تأصيلية ناضجة على يد الخليل، تاركا مواصلة تدوين أصوله وفصوله لتلميذه سيبويه الذي جمعه في كتابه "الكتاب".

اعتمد فيها البصريون على الشواهد القرآنية المقروءة قراءة صحيحة من طرف العرب الخُلَّص الذي يشهد لهم برسوخ ممارستهم للغة، وأخذوا عن كبار العلماء والأدباء ممن اعتمدوا العقل في القياس وابتعدوا عن الشاذ مما دفع بالسيوطي إلى الاعتراف «الحق أن نحاة البصرة تأثروا بالبيئة البصرية، ونهج المعتزلة، وتأثروا بهم»[2]، تشددت المدرسة البصرية تشددا كبيرا في رواية الأشعار والأمثال والخطب واشترطوا في الشواهد المعتمدة لوضع القواعد أن تكون جارية على ألسنة العرب، وكثيرة الاستعمال في كلامهم التي تمثل اللغة الفصحى خير تمثيل، وإذا واجهوا بعض النصوص التي تخالف قواعدهم كانوا يصفونها بالشذوذ.

[1] ينظر: مهدي المخزومي، الدرس النحوي في بغداد، دار الرائد العربي، بيروت، ط3، 1986م، ص11.

[2] السيوطي، بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة المصرية، بيروت، ج1، ص35.

من أبرز نحاتها: أبو الأسود الدؤلي (ت 69 هـ)، نصر بن عاصم (ت 98 هـ)، عبد الرحمن بن هرمز (ت 117 هـ)، عبد الله بن إسحاق الحضرمي (ت 117هـ) يحي بن يعمر (ت 129 هـ)، عيسى بن عمر الثقفي (ت 149هـ)، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170 هـ) سيبويه، الأخفش والمبرد[1].

2/- مدرسة الكوفة: تتّسع أقطاب المدرسة الكوفية في الرواية عن جميع العرب بدواً وحضراً واعتدّوا بأقوال وأشعار المتحضّرين من العرب ممن سكنوا حواضر العراق واعتمدوا الأشعار والأقوال الشاذة التي سمعوها من الفصحاء العرب ووصفها البصريون بالشذوذ، انشغلت بدارسة الفقه والقراءات ورواياتها فنبغ فيهم عاصم وحمزة الكسائي[2] اعتمد منهجهم في تأسيس النحو على النوادر وأشعار العرب، وقبلوا الروايات الشاذة من نحاتها : أبو جعفر الرواسي ومعاذ بن مسلم الهرَاء (ت187هـ)، عاصم بن أبي النجود (ت127هـ)، العلاء بن سيابة، أبو العباس أحمد ثعلب (ت 291هـ)، أبو جعفر محمد بن عبد الله بن قادم (ت251هـ)، أبو زكرياء يحي الفراء (ت 207 هـ)، الكسائي (ت189هـ)[3].

3/- المدرسة البغدادية: يرى مهدي المخزومي أن المدرسة البغدادية نشأت في الوقت الذي كان الصراع فيه قائما بين المبرد وثعلب، وقال: إنَ طبقة من الدارسين أخذت عن شيوخ المدرستين فعرفوا المنهجين، واستفادوا من الفئتين ثم قرروا أن المذهب البغدادي ليس إلا مذهبا انتخابيا، فيه الخصائص المنهجية للمدرستين جميعا ومن أبرز نحاة هذه المدرسة : كمال الدين بن الأنباري (ت577 هـ)، أبو محمد سعيد بن الدهان (ت569هـ)، هبة الله بن علي بن الشجري (ت542هـ)، جار الله الزمخشري (ت538هـ) ... ابن كيسان، الزجاجي، ابن جني، أبو علي الفارسي.

---

[1] ينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 88-89.

[2] فؤاد علي مخيمر، فلسفة عبد القاهر الجرجاني النحوية في دلائل الإعجاز، دار الثقافة للنشر، القاهرة، د.ط، 1983، ص154.

[3] ينظر: شوقي ضيف، المرجع السابق، ص89.

4/- المدرسة الأندلسية: لعل من أوائل المعاصرين الذين تحدثوا عن وجود مدرسة أندلسية في النحو هو الأستاذ شوقي ضيف، وذلك في كتابه الموسوم " المدارس النحوية " يقول «وأوّل نحاة الأندلس بالمعنى الدقيق لكلمة نحوي جودي بن عثمان المورووري الذي رحل إلى المشرق وتتلمذ على يد الكسائي والفراء وهو من أدخل إلى موطنه كتب الكوفيين، وأول من صنف به في النحو ومازال يدرسه لطلابه حتى توفي (198هـ)»[1]

أبرز نحاتها: أبو مضاء القرطبي، ابن عصفور، ابن مالك، ابن معطي، ابن سيده (448هـ).

انطلق دارسو الإعجاز التركيبي في القرآن الكريم بالبحث في التراكيب القرآنية وفي جمال عباراته ودقة انتقاء ألفاظ تراكيبه فهو «جنس فريد في بابه له خصوصيته في استخدام التراكيب المستحدثة التي استمدّت كيانها من إمكانات النحو بشكل متفرّد»[2]، فاللغة التي أخبر بها القرآن الكريم ووعد وأنذر معجزة في حد ذاتها وبليغة ومصدر ذلك راجع إلى حسن التركيب لأنّ الإبداع النحوي في القرآن هو مناط الفضيلة ومجال الإعجاز[3].

استطاع ابن جني (392هـ) أن يكشف العلاقات الداخلية بين المفردات التي يتألّف منها التركيب «وجعل المعنى أساس صحّة التركيب النحوي وقبوله، ولا نستطيع تقييمه منفردا بعيدا عن السياق اللغوي، كما أنّ تأليف الكلام أو نظمه على قواعد النحو ليس أساسا في صحة التركيب، بل الأساس اتساق التركيب في المعنى مع قواعد التركيب ما يعكس عظمة لغة القرآن الذي راعى التراكيب ودلالتها من منطوق ومكتوب كأنّه اللغة بعينها»[4]، وأدرك قيمته في التفريق بين المعنى والإعراب « وإن كان تقدير الإعراب مخالفا لتفسير المعنى تقبّلت تفسير المعنى على ما هو عليه، وصححت طريق تقدير الإعراب حتى لا يشذ

---

[1] فؤاد علي مخيمر، فلسفة عبد القاهر الجرجاني النحوية في دلائل الإعجاز، ص89.

[2] محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م ص42.

[3] محمد عبد المطلب، المرجع نفسه، ص42.

[4] عبد القادر بن فطة، أهمية النحو في فهم لغة القرآن، حوليات الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة- الجزائر، المجلد5، العدد 10، ص245.

منها عليك، وإياك أن تسترسل فتفسد ما تؤثر إصلاحه»[1]، وأردف قائلا «ألا تر إلى الفرق بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى، فإذا مرّ بك شيء من هذا عن أصحابنا، فاحفظ نفسك منه ولا تسترسل إليه، فإنّ أمنك أن يكون تقدير الإعراب على سمت تفسير المعنى»[2].

ومنه تكمن فاعلية النحو في التركيب القرآني في كونه من أهم أدلة التفسير، فعلم النحو آلة عقلية في فهم النمط التركيبي في القرآن لذلك اختلفت المدارس النحوية في كثير من المسائل التي تعكس مرجعية أصحابها في الاستدلال التي ساهمت في وضع ضوابط استوعبت الدلالة الافرادية والتركيبية، فهو يساعد على فهم مقاصد النصوص إذا التزموا الموضوعية.

فالمنطلق الذي تأسس عليه علم النحو هو النص القرآني بعد أن استقرت لغته لدى أهلها، فوقفوا عند دراسة القضايا المتعلقة بالجمل لمعرفة الأسس ونظامها في السياق، حيث أثبت النحو صبغته الشاملة فهو لم يقف عند الكلمة المفردة بل أصبح منهجا لتحليل الجمل على معايير ثابتة تستمد موضوعيتها من مصادر اللغة كاشفا عن أنساق تركيبية بديعة، جامعا الأبنية الكلية للنّص مستثمرا ما أنتجته قرائح العرب وعبقريتهم، يصبّ كلّه في نظام لغوي مشتملا على كل الاستعمالات اللغوية ذات الأنماط المختلفة، الذي يعكس عظمة تراثنا الذي راعى التراكيب ودلالتها من منطوق ومكتوب كأنه اللغة بعينها قال ابن خلدون 808هـ «النحو هو علم العربية»[3].

تنوّعت كتب النحو من عهد سيبويه إلى الآن، فهنالك من اختصّ بشرح القواعد بأمثلة من الواقع كشروح ألفية ابن مالك، وهناك من اختص بإعراب القرآن والنّصيّة وهو منهج تطبيقي للقواعد على النص الشرعي كإعراب القرآن للنحاسي، مشكل الإعراب، وعليه يجدر

[1] ابن جني، الخصائص، ج1، ص284.

[2] ابن جني، الخصائص، ص283.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ص532.

بالمتعلم التّسلّح بآليات التحليل النّصيّة والتفسير لكشف وفهم مدلولات الآيات القرآنية بصفة خاصة، بالإضافة إلى التّزوّد بعلوم اللغة نحوها وصرفها ودلالتها وبيانها، ومعرفة السياق، كما لابد له من امتلاك التدبر العقلي، والإحاطة بأسباب النزول ومقاصد النص القرآني ومعرفة الخاص والعام والناسخ والمنسوخ بمعنى الإحاطة بعلوم القرآن والتّزوّد بالثّقافة القرآنية والملكة اللّغوية للوصول إلى الفهم العام وإدراك المقاصد من الآيات.

ومن نماذج فاعلية النحو في التّركيب القرآني نذكر ما يلي:

يقول تعالى في سورة طه ﴿ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿63﴾ (سورة طه/ 63) فغير المطّلع على لغة العرب والعلوم الناظمة لهذه اللغة سيقول إنّ في الآية خطأ والصّواب أن يُقال: إن هذين لساحران على أنّ "هذين" اسم إنّ المنصوب، والمثنّى يُنصَب ويُجَر بالياء، ولكن الصواب أنّ الآية صحيحة ولكنّها جاءت على لغة من لغات العرب الذين ينصبون ويجرّون ويرفعون المثنّى بالألف، وهي قبائل يمنيّة مثل بني الحارث وخثعم وزبيد ومن وليهم، وهذا ما يُعرفُ بلُغَة القَصْر[1].

- **فاعلية البلاغة في التركيب القرآني:**

1/ مفهوم البلاغة:

أ/ لغة: مصدر الفعل بَلُغَ، بمعنى: وَصَل، والبلاغة أيضًا حُسْن إيصال المعلومة أو الخبر باللفظ الواضح الدّال المُلائم لواقع الحال، ويُقال: روعة البلاغة أي سحرها، ونهج البلاغة

[1] لخضر روبحي، "أهمية الشاهد النحوي في تفسير القرآن الكريم تفسير (جامع البيان لابن جرير الطبري نموذجا)، مجلة الآداب واللغات في جامعة قاصدي مرباح، العدد 6، ص210.

أي طريقها الواضح، وبلاغة المِنبر قسم من علم البيان يتناول بالبحث بلاغة الخطابة من فوق المنبر والتأثير في المتلقي[1].

ب/ اصطلاحا: هو الإتيان بالمعنى الجليل بوضوح وبعبارة فصيحة وصحيحة، تترك في النفس أثرًا مع مناسبة الكلام للمقام الذي يُقال فيه، وللأشخاص الذين يتلقون الكلام، والبلاغة من الفنون التي تستند على الاستعداد الفطري والقدرة على تمييز الجمال، وتمييز الفروق الدقيقة بين مختلف الأساليب، وللمرانة والممارسة دورٌ في ذلك، من أهم روادها: الرماني، الخطابي، العسكري، الباقلاني، عبد القاهر الجرجاني وغيرهم من دارسي الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.

نشأتها: يذكر المؤرخون لعلم البلاغة أن أقدم كتاب اعتنى بتحديد معاني القرآن، وكان النواة الأولى للبحوث البلاغية كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت 207ه) تقريبا الذي حاول أن يدرس أسلوب القرآن ويقارنه بالأدب العربي شعره ونثره، ولا ننسى أن هذا العمل قد سبق إليه الصحابي الجليل سيدنا عبد الله بن عباس والمتجلي في سؤالات نافع ابن الأزرق له[2] .

ثم تعاقب التأليف في البلاغة مستمدا جذوره ومقوماته من القرآن الكريم، قال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في "موجز البلاغة" متحدثا عن أوليات هذا العلم في الظهور وتدرج التأليف فيه: كان هذا العلم منثورا في كتب التفسير عند بيان إعجازه وفي كتب شرح الشعر ونقده، ومحاضرات الأدباء من أثناء القرن الثاني من الهجرة، فألّف أبو عبيدة معمر بن المثنى (المتوفى 144 هـ) كتاب "مجاز القرآن"، وألف الجاحظ عمرو بن بحر (المتوفى 244ه) كتبا كثيرة في الأدب، وكان بعض من هذا العلم منثورا أيضا في كتب النحو مثل

[1] ينظر: معنى البلاغة في معجم المعاني الجامع "معجم عربي عربي" اطلع عليه 2020/12/22م.

[2] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الثقافة، بيروت، 1973م، ج1، ص120.

كتاب سيبويه ولم يخص بالتأليف إلا في أواخر القرن الثالث إذ ألف عبد الله بن المعتز (المتوفى 296ه) كتاب البديع أودعه سبعة عشر نوعا وعدّ الاستعارة منها.

جاء الشيخ عبد القاهر الجرجاني الأشعري الشافعي (المتوفى 471ه) فألف كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة أولهما في علم المعاني والثاني في علم البيان، فكانا أول كتابين ميّزا هذا العلم عن غيره ولكنهما كانا غير مخلصين ولا تامَّيْ الترتيب، فهما مثل دُرّ متناثر كنَزَه صاحبه لينظم منه عقدا عند تآخيه، فانبرى سراج الدين يوسف بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي المعتزلي (ت 626ه) إلى نظم تلك الدرر فألّف كتابه العجيب المسمّى مفتاح العلوم في علوم العربية وأودع القسم الثالث منه، الذي هو المقصود من التأليف، مسائل البلاغة، دوّنها على طريقة علمية صالحة للتدريس والضبط، فكان الكتاب الوحيد اقتبسه من كتابي الشيخ عبد القاهر ومن مسائل الكشاف في تفسير القرآن للزمخشري فأصبح عمدة الطالبين لهذا العلم، وتتابع الأدباء بعده في التأليف في هذا العلم الجليل[1] «على أنهم لم يزيدوا على الترتيب والتهذيب والتبويب»[2] وفي مقدمتهم السكاكي نفسه.

ويظهر أنّ في كلام ابن عاشور إيجازا شديدا وقفزا واضحا على المعارك العلمية الساخنة التي دارت بشأن تعليل وجوه الإعجاز والمؤلفات الجمّة فيه مثل ما كتب الجاحظ في كتابه المفقود " نظم القرآن"، هذا كلّه كان قبل جهود عبد القاهر الجرجاني المميّز في علم البلاغة، ولا ننسى كذلك الجدال الذي دار حول قضية البلاغة بين اللفظ والمعنى، وما دار حولها في كتب النقد الأدبي الّتي كانت تستنير بالحس البلاغي في كل ما تأتي به.

حسم في هذا الأمر شيخ البلاغة عبد القاهر الجرجاني الذي حاول أن يخرج بقضية الإعجاز من وضع خطير تردّت فيه، حين أرجع سر الإعجاز إلى النظم، ولخص فكرته هذه في أن النظم ما هو إلا توخي معاني النحو، واستطاع أن يرسي دعائم علم المعاني في كتابه

[1] محمد الطاهر ابن عاشور، موجز البلاغة ط، 1، تونس، د. ت، ص6

[2] محمد الطاهر ابن عاشور، أليس الصبح بقريب، تونس، 1967، ص222

الدلائل، كما أنه في أسرار البلاغة أوضح كثيرا من أسرار الجمال في الصورة الأدبية، وبيّن معالم التشبيه والاستعارة، وكان له فضل كبير في تحديد معالم الفن الذي عرف فيما بعد بعلم البيان، وهو يريد أن يصل إلى أن يجعل للذوق أساسا من العلم يرتكز عليه، فلا استحسان إلا بعلّة، ولا استقباح إلا بعلّة... وبذلك اتجه بالبلاغة نحو التّقنين، وتحديد المعالم، فكانت له في الدلائل نظرة كاملة في المعاني، وكانت له في الأسرار نظرة كاملة تقريبا في علم البيان.

تسلّم الزمخشري إرث الجرجاني الضّخم وما اشتمل عليه من آراء بلاغية شرح بها وجوه إعجاز القرآن، فانصرف إلى وضع تفسير للقرآن يكشف به عمّا في آيات الكتاب المعجز من أسرار البلاغة، ودقائق معنوية، وأتى في ذلك بما لم يُسبَق إليه، كان الزمخشري يدرك أن تفسير القرآن أمر لا يدرك إلا عن طريق علمي المعاني والبيان، وهو نفس الرأي الذي أثبته عبد القاهر في دلائل الإعجاز، ولذلك سار على نهجه في التحليلات العقلية الذوقية، وأخذت البلاغة على يديهما بعدا تطبيقيا تجلّى في النماذج البليغة والنصوص الرفيعة.

وقد تفرّد الزمخشري بصنيعه العلمي في الكشاف، إذ لم يعلم الناس تفسيرا للقرآن مؤسّسا على علمي المعاني والبيان سواه، ولم أر فيما أعلم من التفاسير تفسيرا سار على نهجه، في هذا الصدد واحتذى حذوه في صنيعه إلا تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الذي أخذ على نفسه أن يتتبّع نظرات الزمخشري البلاغية وتطبيقاته الفنية ويدل على مواطن التوفيق فيها، وينبّه على مواطن الضعف والهنّات.

البلاغة القرآنية: كانت البلاغة القرآنية ولازالت أشدّ وأقوى في كيفية صياغة الجملة وتعليق الكلم بعضها ببعض « فقد أثّر القرآن بنظمه وتأليفه العجيب في ترشيد الذوق البلاغي كونه تحدى العرب بكلام من عندهم ووفق أساليب لم يألفوها ولا يستطيعون الإتيان بمثلها مهما أوتوا من صفوة القول وحسن الكلام»[1]، وكان القرآن الكريم من الأسباب الرئيسية التي أدت

[1] صالح بلعيد، نظرية النظم، دار هومه، 2001م، ص94.

إلى ظهور بواكير الدراسات اللغوية عامة والبلاغية خاصة «هيّأ التربة الخصبة التي نمت فيها الدراسات البلاغية»[1].

والتي انحصر جوهرها حول التركيب اللغوي، نظرا لقيمته البيانية والتبليغية، وأضاف إمكانات كبيرة في أنّه «استحدث طرقا فنية للربط بين المفردات وبين الجمل والعبارات، وخلق دلالات متنوعة تتوافق مع أغراضه وأهدافه، وأدرك من خلاله الدارسون أنّ التركيب النحوي لا ينفصل عن الأغراض والمعاني، وأنّ الإبداع النحوي في القرآن هو مناط الفضيلة ومجال الإعجاز»[2]، فكانت ثمار جهودهم تدور حول التركيب والبلاغة في كثير من المواطن وتوصّلوا إلى أنّه لابد من وجود مناسبة بين الوحدات اللغوية في الجملة والأغراض الدلالية المتنوعة.

سمع العرب آيات الكتاب المبين، فدهشوا بما عرفوا فيها من أساليب البلاغة، وحاروا في تعليل دهشتهم وإعجابهم وهم أهل اللغة وأرباب البلاغة « لقد سمعوا لغة من لغتهم وجملا من حروفهم، ولكنهم لم يسمعوا قبلها مثيلا لا في نثر ناثر ولا في شعر شاعر، ولا في سجع كاهن، ولذلك لما رشحوا كبيرهم للحكم على القرآن أدرك بلاغة القرآن وخضع وأذعن في أوّل الأمر، وقاموا يستفزونه بحمية الجاهلية، حتى قال لهم دعوني أفكر، فلما فكر وقدر قال ﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿24﴾ (سورة المدثر) ولذلك وصفه القرآن بقوله ﴿ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴾ (سورة المدثر/16)»[3].

أسلم عمر بن الخطاب بسماعه آيات من مطلع سورة طه وشكّل سماع القرآن خطرا على مصالح المشركين لأنه بمجرد سماعه ترقّ له النفوس وتطمئن وتوقن بأنه من عند الله ولذلك قال تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾

[1] شكري عياد، النقد والبلاغة، دار المعارف، تونس، د.ت، ص51.

[2] محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان، ط1، 1994م، ص42-43.

[3] ينظر: مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر، بيروت، ص34-35.

(فصلت/26)، وإذا كان في استطاعتهم أن يتواصوا بالبعد عنه، فإن في ذلك إقرارا منهم بسلطانه وروعة بيانه، ولكن كيف يظلّون بعيدين عنه وعن الاستماع إليه وهو يناديهم متحدّيا أن يأتوا بمثله ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿33﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ (الطور 34/33).

إن عجزوا وهم الفصحاء البلغاء، فليأتوا بعشر سور مثله ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿13﴾ (هود/ 13) ثم يعجزون، ويلاحقهم صارخا في وجوههم متحدّيا ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿38﴾ (سورة يونس/38)، حتى إذا انقطعوا عاد عليهم ملحا من جهة، وحاكما بعجزهم عن مجاراته في اللّغة التي هي لديهم وسيلة كل فخر، ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة البقرة/23)، وعادوا إلى الصمت، فعاد صوته يعلن نتيجة التحدي ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿88﴾ (الإسراء/ 88). وهكذا لم تبق أمامهم وسيلة للصمم أو التصامم فإما الإيمان وإما الإنكار والعناد...

قال الجاحظ « بعث الله محمدا - ﷺ -، أكثر ما كانت العرب شاعرا وخطيبا، وأحكم ما كانت لغة، وأشد ما كانت عدة، فدعا أقصاها وأدناها إلى توحيد الله وتصديق رسالته فدعاهم بالحجة، فلما قطع العذر وأزال الشبهة، وصار الذي يمنعهم من الإقرار الهوى والحمية دون الجهل والحيرة حملهم على حظّهم بالسيف فنصب لهم الحرب ونصبوا له... فكلما ازداد تحديا لهم به وتقريعا لعجزهم عنها تكشف عن نقصهم ما كان مستورا، وظهر منه ما كان خفيا، فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة قالوا له: أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف، فلذلك يمكنك ما لا يمكننا، قال: فهاتها مفتريات، فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر...»[1]،

[1] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص 117 -118.

وهكذا اتّضح للعام والخاص، للمؤمن والجاحد، أن القرآن معجز ولم يجادل في ذلك أحد، ولم يكابر فيه مكابر، ولكن الاختلاف الذي بسببه تعددت المذاهب والآراء هو وجه الإعجاز وسره، لا الإعجاز في حد ذاته.

ومن أجل ذلك ظهرت كتب كثيرة، ومؤلفات جليلة تتناول موضوع الإعجاز، إلى جانب مؤلفات أخرى تتناول جوانب القرآن الأخرى بالبحث والدراسة، وساهم القرآن الكريم مساهمة فعالة في ازدهار اللغة العربية وقت نزوله، وحفاظا على بقائها وخلودها بعد ذلك عبر العصور والقرون، وسيظل الشأن على ذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

- **فاعلية التداولية في التركيب القرآني:**

1/ مفهوم التداولية:

أ/ لغة: وردت مادة (دول) في عدة معاجم لغوية من بينها لسان العرب، القاموس المحيط، وهي مشتقّة من « دول يتداول تداولا، ويقال تداولنا الأمر: أخذناه بالدّول، وقالوا دواليك: أي مداولة على الأمر، وتداولته الأيادي: أخذته هذه مرة وهذه مرة، وتداولنا العمل بيننا بمعنى تعاوناه»[1].

فمعنى داول هو الأخذ مرة بمرة، وتارة بتارة، والتّبادل، «وداول كذا بينهم جعلهم متداولا تارة لهؤلاء، وتارة لهؤلاء، ويقال داول الله الأيام بين الناس، أدارها وصرفها»[2]، وجاء في قوله تعالى ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴿140﴾ (سورة آل عمران) فسّرها ابن كثير بأنّ الألم والفرح تارة عليكم فيكون الأعداء غالبين، وتارة تكون لكم الغلبة، ولكن النّصر الأخير سيكون للمؤمنين حيث يقول «أي نديل عليكم الأعداء تارة وإن كانت لكم

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج11، مادة دول، ص252-253، والفيروز أبادي، القاموس المحيط، ضبط يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، ط1، 2003م، مادة دول، ص900.

[2] معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج1، دار الدعوة، إسطمبول، تركيا، ط2، 1989م، ص304.

العاقبة لما لنا في ذلك من الحكمة»[1]، وأكّد هذا الفهم السّعدي بقوله « ومن الحكم في ذلك من هذه الدار يعطي الله منها المؤمن والكافر، والبار والفاجر فيداول الله الأيام بين الناس، يوم لهذه الطائفة ويوم لطائفة أخرى»[2]، ومما وضّح من هذه اللّفظة أنّها تعني التداول والأخذ مرة بمرة.

ب/اصطلاحا: اتجاه لساني حديث تطور في سبعينيات القرن العشرين، يُعنى بدراسة اللغة ضمن أسيقتها اللغوية وغير اللغوية (العلامة)، تهتمّ التداولية بدراسة علاقة العلامات بمفسريها، وتدرس كل ما له علاقة باللغة، سواء أكان يعنى بشكل الخطاب من لغة أم إيماء أم بدلائلها أم بالدلالة وعلاقتها بالأشياء والحسّيات الخارجية أم بالعلامات والإشارات، واستنتاجات الكلام أم بالفهم الضمني دون الحديث، لتتمّ عملية التّبليغ عل أحسن وجه.

ويعدّ أحمد المتوكل أوّل من استعمل مصطلح (التداولية) في اللغة العربية[3]، ولأنّ عملية التبليغ لها عدّة فروع وعدّة أشكال، فإنّ صلاح فضل عرّف التداولية على أنّها « الفرع العلمي من مجموع العلوم اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بوجه عام»[4]، إنّها ميدان من ميادين اللسانيات يدرس كيفية فهم الناس وإنتاجهم لفعل تواصلي أو كلامي في إطار موقف كلامي ملموس ومحدّد، وقد عرّف فانديك التداولية، ووصفها بأنّها علم وبأنّها تساهم بشكل فعّال في التفاعل الاجتماعي والتواصل حيث يقول «التداولية بوصفها علم يقوم بتحليل الأفعال اللغوية، ووظائف المنطوقات اللغوية، وسماتها في عملية الاتصال، والتفاعل الاجتماعي»[5]، إذ يعدّ التداولية العلم الذي يبحث في المنطوقات الهادفة إلى إقامة تفاعل

---

[1] اسماعيل ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: مصطفى السّيد محمد وآخرون، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ط1، ج3، 1421هـ/2000م، ص542.

[2] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار السلام، الرياض، ط2، 1422هـ/2002م، ص150.

[3] ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 2002م، ص11.

[4] محمود أحمد نحلة، المرجع نفسه ، ص11.

[5] محمود أحمد نحلة، المرجع نفسه، ص11.

اجتماعي، ويبحث عن الوسائل الوسائط والكيفيات التي تجعل من ملفوظ ما مساهما فاعلا في حلّ الشفرات المبهمة وفتح جسور التواصل بين الباث والمتلقين.

يقول السيوطي في كتابه الاقتراح إنّ تعريف ابن جني للنحو في الخصائص ألبق تعريف هو «انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية ..... وإن شذَ بعضهم عنها رد إليها»[1]، علم النحو قائم على تتبع أساليب العرب في كلامهم وغاية ذلك ضبط قواعد الكلم وتصويب اللسان ... وهو أداة من أدوات كشف المعنى من خلال ما يكسبه للعلامات اللغوية من وظائف إعرابية تعطي السياق الداخلي للنص معاني أوليّة، تتضافر مع سياق النص الخارجي في تحديد غاية التواصل.

نلاحظ مدى جعل النحاة محيط الحدث الكلامي وسياقه والمتغيرات الخارجية التي تكشف مادة الكلام، أصلا في وصف الظاهرة النحوية وتفسيرها.

إنَ الحديث عن علم النحو يقودنا إلى الحديث عن سيبويه في كتابه "الكتاب" بوصفه عمدة الدراسات النحوية في عصره، حيث اهتم بالنص في بعديه الداخلي "النظم" والخارجي التداولي، لقد برز البعد الخارجي الذي يتطلب مرسلا ومخاطبا وظروف خطاب تحكم عملية التخاطب، وتتحكم في بناء المادة اللغوية بناء على حال المتكلم والمخاطب وموضوع الخطاب وسياقه، « وقد هداه هذا الاتساع إلى استكناه البنية الجوانبية للتركيب النحوي، ورسم خطوط هادية في تعلّم العربية وتعليمها ليضع كل تركيب موضعه ويعرف لكل مقال مقامه»[2] ليخرج النحو العربي على يد سيبويه إلى آفاق الإبداع الذي يتوافق وسياق الحدث التداولي فيمدّ المتكلم بأشكال وتراكيب مختلفة تتوافق وغايات التخاطب، يختار المتكلم منها ما يوافق مراده ويلائم المقام فيقدّم أو يؤخّر، ويحذف أو يذكر وينكر أو يعرف ويخرج الكلام

[1] ينظر: السيوطي، الإقتراح، ص10، ينظر ابن جني، ص34

[2] نهاد موسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، دار البشير للثقافة والعلوم، 1987م. ص88

على غير مقتضى الظاهر متجاوزا بذلك القيود الإعرابية لأواخر الكلم ليصل إلى غاية التواصل.[1]

يعدّ النداء في التركيب القرآني بمثابة المدخل على الأفعال الكلامية الأخرى التي يأتي بعدها الهدف المقصود من الخطاب مباشرة، فنجدها تشتمل على أصول التشريع وسياسة الخلق وقواعد الحكم، وآداب المعاملات ونظم العبادات والدعوة إلى توحيد الله[2]، قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿12﴾ (سورة السجدة)، هو نداء خالي من حرف النداء وهو نداء العباد لله تعالى، نداء رغبة وطلب، والدعاء إلى القريب المجيب، وهم يقولون ذلك ندامة وإقرارا بأنّ ما توعّدهم القرآن به حق.

أما الاستفهام في قوله تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۚ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿3﴾ (سورة السجدة) فيمثّل تركيبا استفهاميا تعجبيا، لأنّه حيثما وقعت (أم) فهي مؤذنة باستفهام بالهمزة بعدها الملتزم حذفها بعد (أم) والاستفهام المقدّر بعدها هنا تعجبي لأنهم قالوا هذا القول الشنيع وعلمه الناس عنهم، فلقد أبدوا لأمرا غريبا يقضي منه العجب لدى العقلاء[3].

قال الله تعالى ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا ۚ لَا يَسْتَوُونَ ﴿18﴾ (السجدة/18) فعل كلامي تلفظي، وهو استفهام حقيقي بالهمزة مستعمل في إنكار المساواة بين المؤمن لآيات الله المتّبع لرسله مع الكافر الفاسق الخارج عن طاعة ربه، المكذّب لرسله يوم القيامة.

---

[1] نهاد موسى، المرجع نفسه، ص71-72.

[2] أحمد محمد فارس، النداء في اللغة والقرآن، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1409هـ/1989م، ص136.

[3] عيسى تومي، الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني، سورة البقرة أنموذجا-مذكرة ماجستير في الآداب واللغة العربية، ، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2019-2020م.

وكذلك في قوله تعالى ﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿19﴾ (السجدة/19) فعل تلفظي إنجازي تضمن وعدا من الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين جزاء إيمانهم وأعمالهم الصالحة، إنّه لبشارة بالخلود في الجنّات، وتمتعهم بالمأوى، وذلك لأنّه عز وجل يذكر الترغيب والترهيب ويشفع البشارة بالإنذار إرادة التنشيط لاكتساب ما يزلف، والتثبيط عن اقتراف ما يتلف، فلما ذكر الكفار أعمالهم ووعدهم بالعقاب، قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة، من فعل الطاعات وترك المعاصي[1].

أما العوامل الحجاجية فتختلف عن الروابط كونها لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة من الحجج)، بل تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون بقول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات هي: "ربما، تقريبا، قليلا، كثيرا، ما ... إلا، إنّما"، قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿15﴾ (سورة السجدة) يقتصر دور هذا العامل على الحجاج لا الإخبار، وهو ما تنبّه إليه العلماء العرب القدماء.

يقول عبد القاهر الجرجاني «اعلم أنّ موضوع (إنما) على أن تجيء لخبر يجهله المخاطب ولا يدفع صحته ... تفسير ذلك أن تقول (إنما هو أخوك) و(إنما هو صاحبك القديم)، لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته ولكن لمن يعلمه ويقرّ به، إلا أنّك تُرد أن تنبه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب»[2]، ومنه (إنما) لا تأتي لإعطاء معلومات جديدة أو خبر يجهله المخاطب وإنما تتمثّل وظيفتها في كونها تزيد في القوّة الحجاجية للملفوظ الوارد بعدها.

[1] الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود)، الكشاف، توثيق: أبي عبد الله الداني، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، 2008م ص255.

[2] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص330.

وبالتالي "التركيب القرآني" أو "الخطاب القرآني" خطاب تداولي بامتياز تنوّعت أساليبه تبعا لتنوّع المخاطبين فيه، فهو خطاب حجاجي موجّه إلى التأثير في آراء المخاطبين وسلوكياتهم وتوجيه عقولهم، لذلك نجده يوظّف الكثير من الأساليب والآليات الحجاجية، وهي الروابط والعوامل الحجاجية.

الفصل الأول
التركيب القرآني وأهمية النحو فيه

المبحث الأول: التركيب القرآني

المبحث الثاني: خصائص التركيب القرآني وأهميته

المبحث الثالث: أهمية النحو في التركيب القرآني

المبحث الأوّل: التركيب القرآني.

إنّ القرآن الكريم كشف للباحثين والدارسين وهم يبحثون في وجوه إعجازه عن بحر ليس له ساحل، لا تنقضي عجائبه وأسراره، وقد شكل ولا يزال مرتكزا معرفيا هاما في العبقرية العربية، فهو من جهة يمثّل ثروة بلاغية هائلة لا تنضب، ومعينا لغويا لا ينفد، ومن جهة أخرى قدرة تشريعية خارقة، ورسالة سماوية رائدة، ومن ثمة سيبقى القرآن منبعا للمعرفة وأصلا لها، تطلّب ذلك الوقوف على مفهوم التركيب اللغوي وأنواعه عامة ثم الاتجاه إلى التركيب القرآني وخصائصه وأهميته وعلاقته بالنحو حتى تتضح العلاقة بينه وبين التراكيب اللغوية بنوعيها الفعلي والاسمي فهي تستعمل في سياق النص العام ككتل مترابطة، ولا يمكن الحصول على هذا التركيب العجيب والتناسق الرائع والتكوين السليم قاعديا ودلاليا إلا في النص القرآني، ولا تجتمع هذه الخصائص في غيره من الكلام.

1/- مفهوم التركيب:

أ/- لغة: مصدر من الفعل " ركَب " في الكلام التأليف، ضم الكلام بعضه إلى بعضه الآخر في الجملة، وضع شيء على شيء، جاء في لسان العرب والقاموس « ركب الشيء: وضع بعضه على بعض، وقد تركَّب وتراكَب ويقال تراكب السحاب: صار بعضه فوق بعض»[1] وفي النحو ما تركَّب من كلمتين فأكثر.

ووردت بمعنى أن يتبع شيء شيئا، ويفيد الضم والالتئام في نظام واحد، وهو يرد للتراكم ووضع الشيء على الشيء نفسه، فركّب الشيء إذا ضمّه إلى غيره فصار شيئا واحدا، وهو يرد للتراكم ووضع الشيء على الشيء نفسه، فركّب الشيء إذا ضمّه إلى غيره فصار شيئا واحدا في المنظر، يقال: ركّب الفصّ في الخاتم وركّب السنان في الرمح، وركّب الكلمة أو الجملة[2].

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج01، ص423

[2] ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج01، ص281.

وقيل من « ركب الشيء تركيبا وضع بعضه على بعض فتركّب، وتراكب منه ركّب الفصّ في الخاتم، والسنان في القناة. والتركيب اسم المركب في الشيء كالفص يركب في كفة الخاتم لأن المفعل اسم المركب والمفعل كل يرد إلى فُعيل، تقول ثوب مجدد وجديد ورجل مطلق وطليق، وشيء حسن التركيب، وتقول في تركيب الفص في الخاتم، والنصل في السهم: ركبته فتركب، فهو مركب وركيب»[1]، والمركب: الأصل والمنبت، تقول فلان كريم المركب أي كريم أصل منبته في قومه[2]، والتركيب بمعنى التأليف، يقال «ركب الشيء: ضمه إلى غيره فصار بمثابة الشيء الواحد في المنظر، وركب الدواء ونحوه ألفه من مواد مختلفة»[3].

تجمع التعاريف السابقة على أن التركيب يقترن بالضم والجمع ومن هذا المنطلق نجد أن هذه التعاريف تلتقي في معنى واحد لا جمع ولا تأليف إلا بين ما كان مؤلفا من وحدتين فأكثر.

ب/ اصطلاحا: التركيب يدل على اجتماع كلمتين أو أكثر لعلاقة معنوية وهو مذهب سيبويه[4]، ولكل منهما معان وحكم أصبح لهما بالتركيب حكما جديدا وهو مذهب الخليل[5] والأصل في التركيب «أن تعتبر الحروف بأصواتها وحركاتها وانضمامها لحروف أخرى وانضمام الحروف في الكلمات، والكلمات في أنساق تؤدي موقعا من الدلالة المعنوية فيكوّن إذن نسيجا من العلاقات التي تقوم بين الحروف والكلمات وهذا ما بحثه العرب فيما يسمى

---

[1] ينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي بشري، د.ت، ج2، مادة (ركب)، ص 35-36، والجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: عطار أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990م، ج1، مادة (ركب)، ص139.

[2] ابن منظور، لسان العرب، ج3، مادة (ركب)، ص112.

[3] إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج1، مادة (ركب)، ص368.

[4] سيبويه، الكتاب، تح، عبد السلام محمد هارون، ط1، د.ت، ج1، ص134.

[5] السامرائي إبراهيم، فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين، بيروت، د.ط، 1987م، ص46.

بالإسناد»[1] فهو يختص بدراسة العلاقات داخل نظام الجملة، وحركة العناصر وانسجامها وتلاؤمها في نطاق تام مفيد، تتآلف فيه المعاني وتتناسق الدلالات لتؤلف وحدة متكاملة تتحصل بها الفائدة، وهذا ما أجمع عليه النحاة، ومنهم الجرجاني الذي نظر إلى التركيب باعتباره نظما، وقصد به اقتفاء آثار المعاني وترتيبها في النفس وهو عنده نظير التأليف والبناء.

التركيب هو الجملة عند القدماء ويسميه علماء اللغة المحدثين بالتركيب اللغوي ونعني به الجملة التي تتركب من عدد البنى اللفظية التي هي مكونات التركيب أو الجملة، وهذه البنى اللفظية تتكون من نظام متتال من الأصوات وفق قواعد علم الصرف، والتركيب هو الجملة المركبة من عدد الألفاظ وفق نسق معين، مؤديّا معنى مفيدا ومقصودا نسميه في العربية الجملة التي تنقسم إلى اسمية وفعلية، والتي تنقسم بدورها حسب مجالات استخدامها إلى ابتدائية، خبرية، بسيطة، مركبة، حال وصلة.

ورد في الكلّيات - معجم المصطلحات- «التركيب ضم الأشياء المؤتلفة كانت أوّلا مرتبة أو لا، فالمركّب أعمّ من المؤلّف والمرتّب مطلقا»[2]، وورد في كتاب التّعريفات «التركيب جمع الحروف البسيطة ونظمها لتكون كلمة»[3]، والتركيب اللغوي «لا يستقيم أمره إلّا وفق قواعد وأسس خاصّة، هي التي نطلق عليها القواعد النحوية، التي تضبط تكوين الجملة في اللغة العربية وغيرها من اللغات»[4].

---

[1] صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 1994م، ص102

[2] الكفوي أبو البقاء، الكليات "معجم المصطلحات"، تقديم محمود فهمي حجازي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1423هـ/2002م، ص288.

[3] الجرجاني السيد الشريف، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ص60.

[4] الثوري عبد الله علي علي، خصائص تراكيب اللغة العربية، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية، جامعة الأندلس للعلوم والتقنية، اليمن، مج3، ع9، 2016م، ص252-290.

إذن التركيب اللغوي هو المستوى التركيبي في اللغة، وهو اللغة في وضعها المتكامل المنسَق في بناء أصواتها وألفاظها وهو أعلى مستويات التركيب اللغوي، ومن أهم مستويات التحليل في اللسانيات الحديثة، ومن خلاله يمكن دراسة العلاقات التركيبية داخل الجمل لتصبح ذات دلالة واضحة.

ومنه التركيب من أهم الغايات التي يسعى الباحث في اللغة إليها، وهو خلاف التحليل الذي يتمثل في تجزئة العناصر إلى صرفية ثم صوتية، أما التركيب فهو تجميع لتلك العناصر تحت أنماط معينة، إذ أنّ «أساس التركيب في كلّ كلام هو أساس التعبير، لكن عندما تكون التراكيب على تنوّع موادها راجعة إلى منوال واحد أو منوالات متعدّدة بتعدّد أساليب التعبير الغالبة... فإن لُحمة مقالية مخصوصة تحدث بين التركيب والتعبير، فتتحوّل بمقتضاها العلاقة بينهما من علاقة عضوية اعتباطية إلى علاقة طبيعية مبرّرة، تعكس لُحمة مقامية وترقى بالكلام»[1].

أشار إلى ذلك الجرجاني بقوله «فليس الغرض بنظم الكلم أنْ توالت ألفاظها في النطق، بل أنْ تناسقَت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل»[2]. ويقول في موضع آخر « فينبغي أن يُنظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف، وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخبارًا وأمرًا ونهيًا واستخبارًا وتعجبًا، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلّا بضم كلمة إلى كلمة وبناء لفظة على لفظة...، وهل يقع في وهمٍ وإنْ جُهِد أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم؟... وهل تجد أحدًا يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلّا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها؟»[3] ثم يضيف «فالألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، إنّ الفضيلة

[1] الطرابلسي محمد الهادي، تحاليل أسلوبية، دار الجنوب، تونس، 1992م، ص128

[2] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص49-50

[3] الجرجاني عبد القاهر، المرجع نفسه، ص44-46

وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك مما لا تعلُّق له بصريح اللفظ».

ومن هنا إنّ النظم في جوهره «يقوم على التلازم والانسجام بين الأجزاء وائتلافها على نحوٍ يوفّر التماسك التركيبي، ويجعل أيّ تغيير في بناء النصّ يؤدي إلى تداعيه أو إلى تغيير معانيه وسماته»[1]، يقول الجرجاني في موضع آخر وهو يرافع عن أهمية نظم الكلام وتركيبه « واعلم أنك إذا رجعتَ إلى نفسك علمتَ علمًا لا يعترضه شك أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يُعلَّق بعضُها ببعض، وينبني بعضها على بعض وتُجعَل هذه بسبب تلك؛ هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس... إنّ اللفظ تبْعٌ للمعنى في النظم، وإنّ الكلمة تترتَّب في النطق بسبب ترتّب معانيها في النفس»[2].

ومنه لا يصحّ في التفسير أن يؤخذ اللفظ وحده معزولًا عن سياقه الخاص والعام، والسياق الخاص هو تعليقه في جملته وعلاقته التبادلية مع ما يكوّن معه جملة، والسياق العام هو النص كلّه فالكلمة في النّص يكون لها دلالة تختلف عن دلالتها في نصّ آخر، وبهذا ينبني المعنى ويتكامل[3]، لذلك لا يترك الجرجاني الأمر مبهمًا بل يسرد مجموعة من الوجوه التي يقوم عليها النظم وتركيب الجمل في الكلام « وذلك أنّا لا نعلم شيئًا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كلّ باب وفروقه، فينظر في (الخبر) إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيد منطلق وزيد ينطلق، وينطلق زيد ومنطلق زيد، وزيد المنطلق والمنطلق زيد وزيد هو المنطلق، و زيد هو منطلق. وفي الشرط والجزاء، وينظر في الجمل التي تُسرَد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل؛ ثم يعرف فيما حقّه الوصل موضع (الواو) من موضع (الفاء)، وموضع (الفاء) من موضع (ثُم)، وموضع (أو) من موضع (أَمْ)، وموضع

---

[1] ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، دار القلم العربي، سورية، ط1، 1418هـ/1997م، ص71.

[2] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص53

[3] عبد اللطيف حماسة، النحو والدلالة "مدخل لدراسة المعنى النحوي- الدلالي"، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1420هـ/2000م، ص16.

(لكنْ) من موضع (بل). ويتصرف في التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير في الكلام كلّه، وفي الحذف والتكرار، والإضمار والإظهار، فيصيب من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له»[1].

يضيف تمام حسان « لقد كانت مبادرة العلّامة عبد القاهر الجرجاني -رحمه الله- بدراسة النظم وما يتّصل به من بناء وترتيب وتعليق من أكبر الجهود التي بذلتها الثقافة العربية قيمةً في سبيل إيضاح المعنى الوظيفي في السياق والتركيب»[2]، يقول عبد الرحمن إكدير «إنّ تحليل النصّ ودراسة اتساقه حسب قرائن التعليق المعنوية تسمح بربط الصلة وإقامة العلاقة بين كلّ جزء من أجزاء السياق، ليس فقط في رصد إطار علاقة كلمة بأخرى داخل الجملة، بل أيضًا تتبع علاقة جملة بأخرى في إطار استمرارية خطيّة نصيّة، تجعل من النصّ نسيجًا من الكلمات والجمل تتعلَّق بعضها ببعض»[3].

2/ أنواع التركيب:

المركب قول مؤلف من كلمتين أو أكثر لفائدة سواء أكانت الفائدة تامة ومثاله : النجاة في الصدق ...، أم ناقصة ومثاله : نور الشمس، والمركب في اللغة العربية ستة أنواع وهي كالآتي:

1- المركب الإسنادي: وهو ما تركَب إما من جملة فعلية، أي من فعل مع فاعله أو نائب فاعله مثل "جاء المولى" و "فتح الله" و"سرّ من رأى"، وإما من جملة اسمية، أي من مبتدأ مع خبره مثل " الخير نازل " و"السيّد فاهم "، وكلّها أسماء أشخاص معاصرين إلا سُرّ من

[1] الجرجاني عبد القاهر، مرجع سابق، ص81-82

[2] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، 1994م، ص18

[3] إكيدر عبد الرحمن، دور التعليق في تحديد السياق النصي عند الجرجاني، مجلة جيل للدراسات الفكرية والأدبية، مركز جيل البحث العلمي الجزائر- فرع لبنان، مج5، ع 38، 2018م، ص85-100.

رأى فإنها اسم مدينة عراقية قديمة تُعرف الآن بـ "سامرّاء"، على الرغم من أنه لم يرد عن العرب علم منقول من جملة أصلها مبتدأ وخبر فإنه بمقتضى القياس جائز الوقوع [1].

2- المركب الإضافي: ما تألف من المضاف والمضاف إليه ومثاله : كتاب التلميذ ... فكتاب مضاف والتلميذ مضاف إليه.

3-المركب البياني: وهو ثلاثة أنواع :

أ- مركب وصفي: ما تألف من الصفة والموصوف ومثاله : نجح التلميذ المجتهد ... فالتلميذ الموصوف والمجتهد الصفة .

ب- مركب توكيدي: ما تألف من المؤكَّد والمؤكِّد ومثاله : جاء الطلاب كلّهم ... فالطلاب مؤكَّد وكلهم مؤكِّد .

ج- مركب بدلي: ما تألف من البدل والمبدل منه ومثاله : جاء خليل أخوك ... خليل البدل وأخوك مبدل منه.

4- المركب العطفي: ما تألف من المعطوف والمعطوف عليه ومثاله : ينال التلميذ والتلميذة الحمد والثناء .... فالتلميذ المعطوف والتلميذة معطوف عليه.

5- المركب المزجي: كل كلمتين ركبتا وجعلت كلمة واحدة أي امتزجتا بان اتصلت ثانيتهما بنهاية الأولى حتى صارتا كالكلمة الواحدة، من جهة أنّ الإعراب أو البناء يكون على آخر الثانية وهذا الرأي الأشهر، أمّا آخر الكلمة الأولى فقد يكون ساكنا، وقد يكون متحرّكا بالفتحة –وهذا هو الأكثر- نحو "بور سعيد وبعلبك" .

6- المركب العددي: وهو من أنواع المركب المزجي الذي يستعمل غير علم، وإن كان يرى آخرون أنّه ليس منه وأنّه يغايره [1]، ويُقصد به كل عددين كان بينهما حرف عطف مقدر وهو

[1] ينظر: الأشموني، شرح الأشموني على ألفية بن مالك، ضمن حاشية الصبان على شرح العلامة، المطبعة الخيرية، مصر، ج1، 1305هـ، ص 133.

من أحد عشر إلى تسعة عشر ...فكل منها مبني دائما على فتح الجزأين في محل رفع أو نصب أو جر، ماعدا اثني عشر واثنتي عشرة فإنّهما يعربان إعراب المثنى ، (أومن الحادي عشر إلى التاسع عشر)، أمّا واحد وعشرون إلى تسعة وتسعين فليست من المركبات العددية لأنّ حرف العطف مذكور وليس مقدر فهي من المركبات العطفية.

3/ أهمية المستوى التركيبي:

رغم التداخل بين المستوى النحوي والمستوى التركيبي، إلا أنّ بعض اللسانيين المحدثين، ومنهم موسى حامد في محاضرة له تحت عنوان الأسلوبية يعرّف المستوى التركيبي والنحوي منفصلين عن بعضهما بعضا من حيث يرى[2] أنّ المستوى التركيبي يقوم بوضع المفردات في أبسط صور للتّضام لتحمل المعاني الكلية للفكرة المراد التعبير عنها.

أما في المستوى النحوي فيدرك المتكلم ومنتج اللغة العلاقات التي تربط عناصر التركيب ببعضها البعض من خلال سلسلة من العلاقات الوظيفية النحوية أي أنّ المستوى النحوي ما هو إلا جسر يُسهّل الوصول إلى معنى التّركيب وهو جزء منه فقط، لا ينفصلان عن بعضهما، لأنهما يقومان على المفردات والمعاني التي تؤديها فغايتها واهتماماتها واحدة، لذلك قد نضطّر للتعامل مع المستوى التركيبي في التحليل على أنه مرادف للمستوى النحوي.

4/ مفهوم القرآن الكريم:

أ/ لغة: لفظ القرآن مشتق من مادّة الفعل قرأ بمعنى القرء؛ أي الضم والجمع، ومنه القول: قرأت الشيء؛ فهو قرآن؛ أي ألّفت بينه، وجمعت بعضه إلى بعض، وكانت العرب تقول: "ما قرأت هذه الناقة سلى قط"، والمقصود من قولهم أنّ هذه الناقة لم تضمّ في رحمها جنيناً أو ولداً أبداً، ويقول الإمام أبو عبيدة -رحمه الله تعالى-: أُطلق اسم القرآن على كتاب الله -تعالى؛ لأنّه يؤلّف بين السور، ويضمّ بعضها إلى بعض، وقد بيَّن الله -تعالى- ذلك في كتابه، فقال

---

[1] إحسان عباس، النحو الوافي، ج4، ص313.

[2] موسى حامد، المستويات اللغوية، المحاضرة الأولى، 2015م.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (سورة القيامة/17) أي ضم بعضه إلى بعض، وقال -سبحانه وتعالى- في آية أخرى﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (سورة النحل/98)أي إذا رتّلت بعض آياته في إثر بعض؛ حتى تأتلف وتجتمع آياته بعضها إلى بعض، وهو بذلك مماثل لمعنى الضمّ، والتأليف.

أُطلق على كتاب الله سبحانه وتعالى اسم القرآن، لأنّه يضم في ثناياه القصص والأخبار، والوعد والوعيد، والأوامر والنواهي، كما يجمع الآيات والسور بعضها إلى بعض، ويقول الإمام الباقلاني -رحمه الله تعالى- يأتي القرآن على صيغة المصدر كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ (سورة القيامة/17).

ويأتي على صيغة الاسم كما في قوله تعالى ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ (سورة الإسراء/45)، وقد بيّن الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- أنّ القرآن لفظ غير مشتق، وإنما هو اسم علم غير مهموز أطلق على كتاب الله -تعالى-، كالتوراة، والإنجيل، ولم يؤخذ من الفعل المهموز قرأت، ويقول الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى- القرآن، والتوراة، والإنجيل جميها على الصحيح ألفاظ مشتقّة.

القرآن هو أوّل اسم أطلق على كتاب الله -تعالى-، وهو أشهرها، وهو في أصل وضعه مرادف لمعنى القراءة، ثم تغيّر معناه المصدري ليصبح اسم علم لكتاب الله -تعالى- المنزل على خاتم أنبيائه ورسله، كما أن القرآن لفظ مشتق من الفعل المهموز قرأ، اقرأ، ويأتي بمعنى؛ تفهَّم، أو تدبَّر، أو تفقَّه، أو تتبَّع، أو تعلَّم، كما ويأتي بمعنى تنسَّك، أو تعبَّد، وتأتي اقرأ بمعنى تحمَّل، والمعنى المراد؛ تحمَّل هذا القرآن المنزل، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (سورة المزمل/5).

اختلف العلماء في المعنى اللغويّ للقرآن الكريم على أقوال[1]:

[1] ينظر: السيوطي، الإتقان في علم القرآن، ج1، ص 181-182.

- منهم من قال إنَّ القرآن اسم عَلَمٍ غير مُشتقٍّ من جذرٍ لغوي وغير مهموزٍ (أي قران)، وهو بذلك اسمٌ اختصَّ الله تعالى به الكتاب الذي نزل على النّبي -عليه الصّلاة والسّلام- كما في أسماء الكتب الأخرى التّوراة والإنجيل، وهذا القول مُنتقلٌ عن الشافعيّ وغيره.

- من العلماء من ذهب إلى القول إنَّ القرآن اسم مشتق من القرائن، لأنَّ الآيات يُصَدِّق بعضها بعضاً، ويُشابه بعضه بعضاً كالقرينات، أي المُتشابهات، وهذا قول الفرّاء.

- قيل إنّه لفظ مهموز (أي قرآن)، وهو مشتق من قرأ ومصدر له، وهذا ما ذهب إليه اللّحياني وغيره.

- ذهب الزّجّاج وغيره إلى القول بأنَّ القرآن وصف مشتق من القَرْءِ أي الجمع، ومثال ذلك: قرأت الماء في الحوض؛ أي جمعته فيه، وسُمِّي القرآن بذلك لأنّه جمع السّور بعضها إلى بعض، أو لأنّه جمع ثمرات وفوائد الكتب السّماويّة التي نزلت قبله كما قال الرّاغب الأصفهاني.

ب/ اصطلاحا: يُعرّف القرآن الكريم في الاصطلاح الشرعيّ بأنّه كلام الله تعالى المُعجَز، المُوحَى به إلى النّبي محمد -عليه الصّلاة والسّلام- بواسطة المَلك جبريل -عليه السّلام-، المنقول بالتّواتر، المَكتوب بين دفَّتَي المُصحف، المتعبَّد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة النّاس.

المقصود بأنّه مُعجَز أي أنَّ الله تعالى أنزل القرآن الكريم ليكون مُعجزة مُؤيّدة للنبي -عليه الصّلاة والسّلام-، وتمثَّل الإعجاز بما حواه القرآن الكريم من فصاحةٍ وبلاغةٍ، وإخبارٍ عن الغيب وقصصٍ للأمم السَّابقة، وما تضمَّنه من إعجاز علمي وتشريعي، يكمن الإعجاز في تحدّي القوم الكافرين بأن يأتوا بمثله أو بعشر سور منه أو حتّى آية واحدة من مثل آياته، ومازال التّحدي قائما، ومن ذلك قول الله تعالى﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (سورة الإسراء/88)

المُراد بالمُوحَى به أي أنَّ القرآن الكريم بكلِّ ألفاظه ومعانيه مُنزّل من الله تعالى على النبيّ محمد -عليه الصّلاة والسّلام- بواسطة المَلك جبريل -عليه السّلام-، وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿192﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴿193﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴿194﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴿195﴾ (سورة الشعراء)، المقصود بمتعبَّدٍ بتلاوته؛ أي أنَّ في تلاوة القرآن الكريم عبادةً وقربةً يتقرَّب بها المُؤمن من الله تعالى، ويحظى بها بالأجر والثَّواب العظيم، وكذلك أنَّ الصَّلاة لا تصحُّ إلا بقراءة آياتٍ من القرآن الكريم، ومن ذلك قول النّبي ﷺ « **لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ**»[1].

أمّا المراد من أنّه منقول بالتّواتر؛ أي أنّه نقل من جمع إلى جمع بحيث يستحيل اتّفاقهم على الكذب في نقله؛ فقد تلقَّاه الصّحابة -رضوان الله عليهم- مُشافهةً من النّبي -عليه الصّلاة والسّلام-، ونقلوه إلى جيل التّابعين من بعدهم ثمَّ إلى من بعدهم، بحيث يُجزم بصدق النَّقل ودقَّته[2].

أسماء القرآن الكريم: للقرآن الكريم أسماءٌ أُخرى جاءت آية القرآن الكريم نفسها على ذكرها، ومنها:

الكتاب: في قول الله تعالى ﴿حم﴿1﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴿2﴾ (سورة الدخان).

الفرقان: في قول الله تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (سورة الفرقان/1).

الذّكر: في قول الله تعالى ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ۚ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ (سورة الأنبياء/50).

النّور: في قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ (سورة النساء/174).

---

[1] البخاري، في الجامع الصحيح، عن عبادة بن الصامت، ج1، ص 152، حديث رقم: 756

[2] البغا مصطفى، محي الدين مستو، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب، دمشق، ط2، 1998م، ص 15-23.

التّنزيل: في قول الله تعالى﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة الشعراء/192).

ومنه القرآن الكريم هو معجزة الإسلام الخالدة التي لا يزيدها التّقدم العلمي إلا رسوخا في الإعجاز، أنزله الله –سبحانه وتعالى- على محمد –ﷺ- ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى الصراط المستقيم، فكان عليه الصلاة والسلام يبلغه لصحابته فيفهمونه بسليقتهم، وإذا التبس عليهم فهم آية من الآيات سألوا رسول الله – ﷺ- عنها[1].

5/ خصائص القرآن الكريم:

- لم يقتصر القرآن الكريم على الأفعال في التعبير عن الوعيد والترهيب بل اعتمد الجملة الاسمية لما فيها من دلالة على الإثبات والاستقرار في تأكيد حقيقة وقوع الحساب وتحقيق الوعيد[2].
- لغة القرآن مفهومة في عمومها، لكن المعاني الدقيقة التي يحملها لا يتوصل إليها إلا الخاصة الذين استوعبوا تلك الأسرار بالدراسة والبحث فضلا عما تزيده كتب التفسير والمعاجم التي تمكن المخاطب من إدراك المغازي الدقيقة لهذا الخطاب.
- هو خطاب عقلي وجداني في آن واحد بمعنى أنّه خاطب النفس البشرية، وحرّك فيها نوازع الخير في صراعه مع الشر، وخاطب أيضا العقل البشري من أجل إقناعه بقضايا فكرية[3].
- القرآن شيء كثير يصعب تأويله على من يريد أن يحمله على ما يتعارفه أهل زمانه[4].
- يتّسم باتّساق ألفاظه في صياغته، وطرق نظمها وتجانس بعضها مع البعض الآخر، والاتساع في معانيها[1].

---

[1] القطان منّاع، مباحث في علوم القرآن، مكتبة القاهرة، ط1، 2000م، ص5/1.

[2] الخالدي كريم حسين ناصح، الخطاب النفسي في القرآن، ص104.

[3] الخالدي كريم حسين ناصح، المرجع نفسه، ص21.

[4] الجرجاني عبد القاهر، شرح رسالة الرماني في إعجاز القرآن، تحقيق زكريا سعيد علي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1997م، ص46.

- يختلف عن سائر النصوص والتراكيب بفصاحته وبيانه ويكتسب أهمية خاصة كونه تنزيل من الله سبحانه وتعالى.[2]

المبحث الثاني: خصائص التركيب القرآني وأثره.

إنَ في آيات القرآن الكريم الجواهر اللغوية والمعنوية التي لم يتم اكتشافها بعد بل لا نهاية لها مما يقتضي التّسلح بما يناسب من الآليات اللسانية لإظهار الإتقان في تركيب القرآن، وبعبارة أدق إنَّ القرآن الكريم له أسرار لغوية كثيرة في مفرداته ومعانيه وتراكيبه، وهذه الأسرار اللغوية تقتضي من الباحث أن يغوص في بحر اللغة القرآنية، وقبل توضيح بعض الآليات اللسانية يجدر بنا أوّلا أن نظهر أهمّ خصائص التركيب القرآني.

أوّلا- خصائص التركيب القرآني:

يسعى هذا المبحث إلى استنباط بعض خصائص التركيب القرآني واكتشاف أسراره وتحديد مواطن جمالياته ومظاهر الإتقان فيه، وتعميق النظر في بعض جمله وتراكيبه وبيان فاعلية النحو في تراكيب النص القرآني من خلال استثمار أدوات وآليات لسانية حديثة .

إذا تأملنا لسانيا في تركيب القرآن بدقة يتبيّن أنّه تركيب محكم فريد معجز، نُسجت مفرداته بطريقة محكمة، حيث انصهرت هذه المفردات في بوتقته الدلالية والبيانية، فإذا هي وصف آخر من السبك والنظم، مما يجعله في غاية الحسن والجمال، إنّه تركيب غير عادي، إذ هناك إتقان في تركيب القرآن بل هناك إعجاز تركيبي؛ ويتمظهر ذلك من حيث البنية التركيبية للجمل، ومن حيث هندسة الكلمات المؤلفة لهذه الجمل. والإعجاز نلمسه من حيث تركيب ما يعرف بالحروف المقطعة في فواتح السور في القرآن الكريم.

---

[1] الخالدي كريم حسين ناصر، الخطاب النفسي، ص17.

[2] الخالدي كريم حسين ناصر، المرجع نفسه، ص16.

إنَ النص القرآني يحترم واقع القوانين اللغوية، وتتداخل فيه قواعد النحو وفنون البلاغة، وتتبّع ظواهره يقتضي معرفة شاملة بقواعد النحو واللغة والمعاني، فهو يمثّل بناء محكما مضبوطا تخضع فيه الجملة لهندسة دقيقة ولنظام من الأحكام اللغوية والضوابط العلمية؛ حيث انضمّت فيه الوحدات المعجمية بطريقة لسانيّة مضبوطة، مما يجعل النص القرآني بنية محكمة البناء تضبطه سلسلة من العلاقات التركيبية المحكمة بين مفرداته وجمله وآياته وسوره، كما خضعت هذه الوحدات لعمليات انتقائية محكمة، وانتقاء كلمة دون أخرى وراءه حكمة، وهذا مظهر من مظاهر الإعجاز فيه.

1- **الخصائص اللسانية للتركيب القرآني:** يمكن أن نجمل بشكل موجز أهم الخصائص اللسانية للتركيب القرآني فيما يلي:

أ – **على مستوى اللغة:** يتميز برعاية قوانين اللغة وقواعدها.

ب – **على مستوى المفردات:** هناك هندسة دقيقة جدا تتمثل في وضع كل كلمة في موضعها التركيبي اللائق بها، وأن أي تغيير تركيبي وراءه حكمة، مما يدل على دقة الإتقان في تركيب المفردات في القرآن. وعليه إنّ التّركيب القرآني يجري على نسق بديع خارج عن المعروف من نظام جميع كلام العرب، ويقوم في طريقته التّعبيريّة على أساس مباين للمألوف، نتأمّل قوله تعالى: ﴿ حم ﴿1﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴿2﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴿3﴾ (سورة فصلت) فهذه الآيات بتأليف كلماتها العجيب وهندستها المتقنة، ونظمها البديع حينما سمعها عتبة بن أبي ربيعة، وكان من فطاحل البيان استولت على أحاسيسه، ومشاعره، ووقف في ذهول وحيرة، ثم عبّر عن حيرته وذهوله بقوله: والله لقد سمعت من محمد قولاً ما سمعت مثله قطّ، والله ما هو بالشّعر ولا بالسّحر ولا بالكهانة... والله ليكونن لقوله الذي سمعته نبأ عظيم[1]، وهذه الحقيقة توجد في سائر كتاب الله لا تتخلّف في

[1] ابن كثير عماد الدين أبو الفداء اسماعيل القرشي، البداية والنهاية، ج3، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ص50.

سورة من سوره ولا في آية من آياته، ومن أجل ذلك عجز أساطين البيان عن الإتيان بأقصر من مثله.

ج – على مستوى البنية التركيبية للجمل في القرآن:

هناك هندسة دقيقة على مستوى البنية التركيبيّة للجملة، وتتمثل في انسجام أجزائها والتئامها، بل إنّ التركيب القرآني جار على نسق واحد من السموّ في جمال اللّفظ، وعمق ودقّة الصّياغة وروعة التعبير، نجد في القرآن مجموعة من الآليات اللسانية التي يمكن استثمارها لإظهار الإتقان في التركيب القرآني نجملها في النقاط الآتية:

التحويل: إنّ التحويل آلية لسانية تمكّننا من الانتقال من المستوى العميق إلى المستوى السطحي في تركيب القرآن، أي إنها وسيلة للانتقال من المستوى العميق المجرد إلى عالم التحقق الصوتي، وبمعنى أدق إنها وسيلة للموائمة بين العمق المقدر والسطح الظاهر، ويظهر ذلك من خلال تحليلنا لبعض التراكيب القرآنية.

في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ (سورة مريم/4) هذا التركيب القرآني محول عن تركيب عميق، فالتمييز في هذا التركيب محول عن الفاعل، والبنية العميقة للآية السابقة هي: واشتعل شيب الرأس[1]، أي انتشر الشيب وعم الرأس.

ولنتأمل قوله تعالى ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ (سورة القمر/12)، يدفع التأمّل بدقة إلى ملاحظة أنّ التمييز "عيونا" محول عن مفعول به، وعليه فبنيتها العميقة هي وفجّرنا عيون الأرض، ثمّ أصبحت الجملة كما هي عليه في بنيتها السطحية بعد تطبيق آلية التحويل.

[1] ينظر: الأشموني، شرح الأشموني، ج2، ص195

التقدير: هو آلية لسانية لرد بنية فرعية إلى بنية أصلية في التركيب القرآني بناء على تأويل العناصر الخفية تأويلا دلاليا واضحا، وإجرائيا هو استحضار عنصر أو عدة عناصر مغيبة من البنية التركيبية، ويرتبط التقدير ارتباطا وثيقا بالدلالة كما يرتبط التقدير بالحذف[1] ، فإذا كان هذا الأخير هو إسقاط عنصر أو أكثر من البنية التركيبية فإن التقدير هو استرجاع العنصر المحذوف من نفس البنية، وإذا أردنا استثمار الجهاز المفاهيمي للسانيات وخاصة التوليدية منها صح أن يميز بين مستويين لسانيين، فالحذف يشكل المستوى السطحي للجملة أو تركيبها الظاهر، بينما يمثل التقدير المستوى العميق أو تركيبها الخفي، وهذا الجهاز المفاهيمي يمكن استثماره في تفسير تركيب القرآن.

في قوله تعالى ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (سورة الفجر/ 24) تمثّل هذه الآية بنية سطحية أو مستوى سطحي؛ فنظرا لاستحالة مجيء الباري تعالى؛ لأن المجيء من سمات الحدوث، اقتضى الأمر تقدير محذوف يمكّن من الوصول إلى المستوى العميق للبينة السابقة وتكون على الشكل الآتي: وجاء أمر ربك أو عذابه أو ملائكته.

والتحليل نفسه يصدق على معظم تراكيب القرآن، مما يظهر أنّ في آيات القرآن الكريم الجواهر اللغوية والمعنوية واكتشافها يقتضي التسلح بما يناسب من الآليات اللسانية، هذه الأدوات والآليات التي يمكن أن تساهم في إظهار الإتقان في تركيب القرآن.

3- الإعجاز التركيبي (الجملة القرآنية):

سبقت الإشارة إلى عمل عبد القاهر الجرجاني في "دلائل الإعجاز" حيث جعل النظم هو المعيار الحقيقي للبلاغة، وجعل مدار الإعجاز البياني عليه، ونسوق هنا بعض مظاهر الإعجاز في تركيب الجملة القرآنية:

أولاً: الاتساق اللفظي والإيقاع الداخلي:

[1] ينظر: الغريسي محمد، اللسانيات العربية والإضمار دراسة تركيبية دلالية (تفاصيل حول قيمة الحذف والتقدير في التفسير اللساني.

الجملة القرآنية مؤلفة من كلمات وحروف ذات أصوات يستريح لتآلُفِها السمع والصوت، والنطق، ويتكون من اجتماعها على الشكل الذي رتبت عليه نسق جميل ينطوي على إيقاع خفي رائع، ما كان لِيَتِمَّ إلا بالصورة التي جاءت عليها الآيات، وأي وجه من التغيير أو التبديل أو النقص أو الزيادة يضيع معه هذا الجمال والإبداع القرآني.

وفي قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴿11﴾وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴿12﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴿13﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ14﴾ (سورة القمر) تأمل تناسق الكلمات في كل جملة منها، ثم دقّق نظرك وتأمّل تآلف الحروف الرخوة مع الشديدة ومع المهموسة والمجهورة وغيرها، ثم أمعن في تآلف الحركات والسكنات والمدود وتعاطفها مع بعضها، فإنك إذا تأملت في ذلك علمت أن هذه الجمل القرآنية إنما صُبّتْ من الكلمات والحروف والحركات في مقدار، وأن ذلك إنما قُدِّر تقديرًا بعلم اللطيف الخبير، وهيهات للمقاييس البشرية أن تقوى على ضبط الكلام بهذه القوالب الدقيقة[1].

ثانيًا: دلالتها بأقصر عبارة على أوسع معنى:

وهذه ظاهرة جلية تستطيع أن تتبيّنها في طريقة التعبير القرآني، مهما اختلفت بحوثه وموضوعاته، لا تجد في الجملة القرآنية كلمة زائدة يصلح المعنى مع الاستغناء عنها، ولا تستطيع أن تترجم معناها بألفاظ عربية من عندك إلا في عدد من الجمل مهما حاولت الإيجاز والاختصار، فقد تحدّث القرآن الكريم عن الضمانات التي أعطاها لآدم بعد خلقه، مِمَّا يحتاجه الإنسان في حياته من كل ما يدخل في مقومات بقائه ورفاهية عيشه، لقد وضع البيان الإلهي هذه الاحتياجات كلها في جملتين فقط وهما قوله عز وجل خطابًا لآدم عليه السلام: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴿118﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿119﴾ (سورة طه) يدفع إلى تأمّل هاتين الجملتين وألفاظهما، وكيفية صياغتهما، وكيف أنهما جَمَعَتَا أصول معايش

[1]القاسمي محمد جمال الدين، تفسير القاسمي، ج15، ص5599.

الإنسان كلها من طعام وشراب وملبس ومأوى، والنظر إلى كيفية التعبير عن تأمين حاجته إلى المسكن والمأوى بقوله (وَلاَ تَضْحَى)، أي لك أن لا تصيبك شمس الضحى أو يؤذيك لفحها بما نهيّئه لك من المسكن الذي يأويك.

يحاول الزمخشري التعبير عن معنى هذه الآية بألفاظ عربية من عنده « ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل معنى هذه الآية، لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ مؤدية عن المعنى الذي أُودِعَتْه حتى تبسط مجموعها، وتصل مقطوعها، وتُظْهِر مستورها، فتقول: إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانةً أو نقضًا، فأَعْلِمْهم أنك قد نقضت ما شرطت عليهم، وآذِنهم بالحرب، لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على استواء»[1].

يكفي العلم أنّ الآيات المتضمنة لأحكام التشريع، قد لا تزيد على ثلاثمائة آية إلا شيئًا يسيرًا، وهي لا تبلغ معشار النصوص الفقهية التي دوّنها الفقهاء فيما بعد، ولكن قد ثبت بما لا يدع مجالا للشّك أنّ من أبرز مظاهر الإعجاز في هذه الآيات أنّ الطريقة الفريدة في صياغة وتراكب جملها، تجعلها متسعة للدلالة على ذخر من المعاني الكثيرة التي لا يمكن التعبير عنها بطريقتنا المألوفة، إلا بواسطة مجلدات.

نذكر على سبيل المثال هذه الآية من قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴿233﴾ (سورة البقرة) .

فهذه آية واحدة صيغت من ستة أسطر قرآنية، أي ما لا يزيد عن ستين كلمة، وقد تضمنت ثلاثة وعشرين حكما ممّا يتعلّق بنظام الأسرة، لم يُسْتَخْرَجْ واحد منها تَمَحُّلاً ولا

[1] الزمخشري، الكشاف، ج2، ص165.

تكلُّفًا، بل هو بَيْنَ أن تكون الآية دلّت عليه بصريح المنطوق أو بجلي المفهوم أو بمقتضى النص، ولو أخذ يحاول التّعبير عن هذه الأحكام بصياغة جلية دون اختصار مُخِلٍّ أو إطالة من غير لزوم، لاقتضى ذلك ما لا يقل عن خمسة وعشرين سطرًا من الكلام، أي خمسة أضعاف عدد أسطر الآية من النص القرآني[1].

ووجب النّظر إلى أحكام الميراث في كتاب الله تعالى، وتأمّل كيف صيغت فيما لا يزيد على ثلاثة عشر سطرًا من أسطر القرآن، موزعة في آيتين:

1- قال الله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ۚ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (سورة النساء/11).

2- قال الله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿12﴾ (سورة النساء).

حَوَتْ هاتان الآيتان ـ في غير إخلال ولا تكلّف ـ أحوال الوارثين ونصيب كل منهم في كل حال من الأحوال، ولقد انبثق من هاتين الآيتين علم مستقل برأسه يمثّل شطرًا كبيرًا من الأحكام الشرعية الإسلامية، وهو ما يسمى بعلم الميراث، وقد كتبت فيه مؤلفات مستقلة، ويعجب كيف اتسع مضمون آيتين من القرآن لمدلولات كتاب برأسه، ولكن بالنّظر والتأمّل

[1] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص 167.

والمقارنة، يجد أنّ هذا الذي تعجّب منه ورد في قوله تعالى ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴿1﴾ (سورة هود).

ذلك خير ما توصف به الجملة القرآنية، فهي بناء قد أحكمت لبناته ونُسِّقَتْ أدقّ تنسيق، لا تُحِسّ فيها بكلمة تضيق بمكانها أو تنوب عن موضعها أو لا تعيش مع أخواتها، حتى صار من العسير بل من المستحيل أن تغيّر في الجملة كلمة بكلمة، أو أن تستغني فيها عن لفظ أو أن تزيد فيها شيئًا، وصار قُصارَى أمرهم إذا أرادوا معارضة جملة في القرآن أن يرجعوا بعد طول المطاف إليها، كأنما لم يخلق الله لأداء تلك المعاني غير هذه الألفاظ، وكأنما ضاقت اللغة فلم يجدوا فيها ـ وهي بحر خضم ـ ما تؤدي به تلك المعاني مما اختاره القرآن لهذا الأداء[1].

والجملة القرآنية تتبع المعنى النفسي فتصوره بألفاظها لتلقيه في النفس، حتى إذا استكملت لجملة أركانها برز المعنى ظاهرًا فيه المهم والأهم، فليس تقديم كلمة على أخرى صناعة لفظية فحسب، ولكن المعنى هو الذي جعل ترتيب الآية ضرورة لا انفصام عنها، وإلاَّ اختلَّ البناء وانهار، من أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (سورة الفاتحة/05) فتقديم المفعول به هنا؛ لأنّه موضع عناية العابد ورجاء المستعين، فلا جَرَمَ وهو مناط الاهتمام أن يتقدم كما يتقدّم كل ما يُهَتمّ به ويُعْنَى.

وفي قوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (سورة البقرة/127) فإسماعيل معطوفًا على إبراهيم فهو كأبيه يرفع القواعد من البيت، ولكن تأخره في الذكر يوحي بأن دوره في رفع القواعد دور ثانوي، أما الدور الأساسي فقد قام به إبراهيم عليه السلام قالوا: كان إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله

[1] ينظر، الزمخشري، الكشاف، ص170.

الحجارة فنزلت الآية وكأنما ستنسى دور إسماعيل لثانويته، ثم ذكرته بعد أن انتهت من تكوُّنها[1].

في قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ (سورة البقرة/45) المستعان عليه في الآية غير مذكور، لا تخففًا من ذكره ولكن ليوحي هذا الحذف إلى النفس أن كل ما يقوم أمام المرء من مشقّة وما يعترضه من صعوبات يُستعان على التغلُّب عليه بالصبر والصلاة.

تمضي الجملة القرآنية، وقد كُوِّنت من كلمات قد اختيرت، ثم نُسّقت في سلك من النظام، فلا ضعف في تأليف ولا تعقيد في نظم، ولكن حسن تنسيق ودقّة ترتيب وإحكام في تلاؤم، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴿2﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿3﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴿4﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴿5﴾ (سورة البقرة).

آيات قد التحم نسجها، وارتبط بناء بعضها ببعض، تُسلَّم الجملة إلى أختها في التئام واتساق، فالجملة الأولى قد وصفت القرآن بالكمال، ووصفته الجملة الثانية بأنه لا يعلق به الريب، لا في أخباره ولا في نسبته إلى الله، وفي الجملة الثالثة جعله هاديًا لأولئك الذين يخشون الله ويتقونه، ومضت الآية الثانية تصف هؤلاء الذين ينتفعون بالقرآن الكريم، فهم الذين يوقنون بما أنبأهم به من أمور غائبة لا يرونها، ويقومون بواجبهم لله فيؤدون الصلاة كما يجب أن تؤدى، وواجبهم للمجتمع فيقدِّمون من أموالهم ما يساعدون به البائس والفقير، ولا يتعصبون لرسول دون رسول، بل يؤمنون بما أنزل على محمد ﷺ وما أنزل من قبله، ورأس الإيمان وأساسه هو إيمانهم باليوم الآخر؛ لأنّ ذلك الإيمان يدفع إلى العمل الصالح، وينهى عن المنكر والبغي، فلا جرم أن كان أولئك على هدى من ربهم وكانوا هم المفلحين.

[1] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص96.

ذلك مثل من أمثلة الارتباط القوي بين جمل الآية القرآنية، وكثير من الجمل في القرآن توحي إليك ألفاظها بمعانٍ لا يستطيع لفظ أن يستوعبها، بل يترك للنفس أمر إدراكها، وحسبنا أن نشير من ذلك إلى قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿84﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴿85﴾ (سورة البقرة).

أولاً: توحي جملة (ثُمَّ أَنتُمْ هؤُلاء) بالفرق بين ما كان يجب أن يكونوا عليه، وما هم عليه حقيقة، فأي خيبة أمل تملأ النفس منهم ؟.

ثانيًا: تدل هذه الجملة القصيرة على سخط شديد، وتعجب لأمور ما كان ينتظر حدوثها، ونتائج كانت المقدمات تمهد لغيرها[1].

ومن ذلك استعمال أحد الفعلين الماضي والمضارع موضع صاحبه، فيأتي بالمضارع مكان الماضي لإحضار صورة الفعل أمام السامع حتى كأنه يشاهده؛ وليس ذلك ما يثيره الفعل الماضي؛ لأن سامعه قد يكتفي بأن يتخيل فعلاً قد مضى، وربما لا يستحضر صورته أو تكرره، قال الله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (سورة البقرة/87) يصوّر الفعل المضارع جريمتهم كأنهم يرتكبونها في اللحظة الحاضرة، وفي ذلك من التشنيع عليهم ما فيه.

وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴾ (سورة فاطر/09)، ففي تثير ما يحضر تلك الصورة الطبيعية الدالة على القدرة الباهرة، وقوله تعالى: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ

[1] بدوي أحمد أحمد، من بلاغة القرآن، ص105-107

فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴿31﴾ (سورة الحج)؛ ففي ذكر المضارع استحضار صورة خطف الطير له، وهُوِيّ الريح به.

ويستخدم الماضي مكان المضارع إشارة إلى تأكيد وقوع الفعل حتى كأنه قد وقع، وذلك يكون فيما يُسْتَعْظَم من الأمور، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿87﴾ (سورة النمل)، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴿47﴾ (سورة الكهف)، وقوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (سورة النحل/1)، وفي قوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴿21﴾ (سورة إبراهيم).

وفي الإتيان بالماضي هنا من إيقاع الرهبة في النفوس ما فيه؛ لأنّ الفعل كأنه قد تَمّ والقرآن يتحدث عنه[1]، وفي استخدام الماضي في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴿160﴾ (سورة البقرة) إشارة إلى ما اتّسم به هؤلاء التائبون من مبادرة وإسراع إلى التوبة، وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴿165﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴿166﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴿167﴾ (سورة البقرة) تأكيد لما سيحدث في المستقبل حتى كأنّه حدث[2].

كانت محاولة لإثبات أنَ التضام بمفهومه الشامل الذي يعني الجمع والتأليف والربط والتعليق جزء لا يتجزأ من خصائص أسلوب القرآن الكريم ومميزات مفرداته وتراكيبه، فهو

[1] بدوي أحمد أحمد، من بلاغة القرآن، ص108-109.

[2] بدوي أحمد أحمد، المرجع نفسه، ص111-112

بحث في ظلال قضية الإعجاز أماط اللثام عن بعض النصوص المتعلقة بأسلوب القرآن الكريم بتضام حروفه وكلماته وجمله.

ثانيا- أثر التركيب القرآني.

إنّ العمق في فهم التراكيب العربية له أثر بارز جدّا في فهم انسجام النصّ ذاته، ومسالك اتساق خطابه، وكيفيات انتقاله من حال لآخر، وبيان أسباب استعماله لأسلوب معيّن في موطن معين، وأنّ هذا الأسلوب لا يمثل قطعا دلاليّا بقدر ما يطرح ثراءً في المعنى يتحقّق به انسجام النصّ على صورة بديعة، ويفضي لتكامله واتساق نظمه؛ ومن هنا يبرز أثر التعمق في فهم التراكيب القرآنية في عملية الفهم للخطاب القرآني، وبيان درجة الانسجام الحاصلة فيه.

إنّ أساليب التركيب التي استعملها القرآن الكريم تشمل الكثير من الأمور، ويندرج في طيّاتها العديد من المسائل النحوية والبيانية التي يمكن أن يتأتّى عليها نسق بناء الجمل والعبارات في النصّ، سأحاول أن أقف على علاقة التركيب بالسياق والنظم.

1/ التركيب والسياق:

مفهوم السياق:

أ- **لغة:** جاء في لسان العرب مادة سوق «السوق معروفة وساق الإبل يسوقها سوقا وسياقا، وهو سائق وسوّاق ...»[1] ، والمساوقة المتابعة كأن بعضها يسوق بعضا، وساق إليها الصداق والمهر سياقا وأساقه وإن كان دراهم أو دنانير، لأنَ أصل الصداق عند العرب الإبل، وهي التي تساق فاستعمل ذلك في الدرهم والدينار وغيرهما، وساق فلان من امرأته أي أعطاها مهرها قال الله تعالى ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (سورة ق/21)، قيل في التفسير سائق يسوقها إلى محشرها، وشهيد يشهد عليها بعملها وجاء في حديث الرسول ﷺ "لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه".

قال امرؤ القيس:

[1] ابن منظور، لسان العرب، ، مادة سوق.

لَنَا غَنَمٌ نُسَوّقُهَا غزَارٌ كَأَنَّ قُرُونٌ جَلَتْهَا العصيُّ.

والسياق نزع الروح كأن الروح تساق من البدن.

وورد في كتاب أساس البلاغة «وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده»[1]، وفي جمهرة اللغة وردت مادة سقو «السوق مصدر سقت البعير وغيره، أسوق سوقا، والسوق غلظ الساقين، ورجل أسوق وامرأة سوقاء، والسوق معروفة تؤنث وتذكر وأصل اشتقاقها سوق الناس إليها بضائعهم، وسويقة موضع معروف»[2]، أما في المعجم الفلسفي السياق في الفرنسية contexte وفي الإنجليزية context سياق الكلام أسلوبه ومجراه. نستخلص من المعاجم قديمها وحديثها أنّ معاني كلمة سياق مشتركة والمقصود بها التّتابع والسير والملائمة والاتفاق والنظم.

ب- اصطلاحا: تبيّن لنا من المعنى اللغوي أنّ السياق يدلّ على انتظام في السير وتتابعه، وذلك لبلوغ غاية محددة بينه، ولما كان المفهوم الاصطلاحي مرتبطا بالمعنى اللغوي كان تحديد هذا الرابط بينهما أمرا مهما، لذا كان لابد أن ينطلق المعنى الاصطلاحي من الأصل اللغوي لنلمح الأصالة العلمية الفكرية للمصطلح التفسيري، والذي يظهر أنّ تعريف السياق القرآني هو «تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود دون انقطاع أو انفصال»[3].

تستمد دلالة السياق القرآني أهميتها من كونها تفسيرًا للقرآن بالقرآن نفسه، حيث إنها بيان المعنى من خلال تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة، بل إنّ سياق الآية وسياق المقطع من أعلى تفسير القرآن بالقرآن، لأنه في محلّ واحد[4].

---

[1] الزمخشري جار الله، أساس البلاغة، تعليق محمد أحمد قاسم، المكتبة العصرية، لبنان، ط1، 2003م، ص422.

[2] ابن دريد، أبو بكر محمد الحسن البصري، جمهرة اللغة، تحقيق: داوود عبده، دار صادر، بيروت، مادة (سقو).

[3] المثنى محمود عبد الفتاح، نظرية السياق القرآني، دار وائل، الأردن، ط1، 2008م، ص15.

[4] العزب محمد عطا الله، أثر السياق القرآني في الترجيح عند المفسرين، كلية الدراسات الإسلامية الشرقية، الديدامون، ص20

تكمن علاقة التركيب بالسياق باعتبار السياق إطارًا عامًّا تنتظم فيه عناصر النصّ ووحداته اللغوية، ومقياسًا تتصل بواسطته الجمل فيما بينها وتترابط، وبيئة لغوية وتداولية ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النصّ للقارئ.

ويضبط السياق « حركات الإحالة بين عناصر النصّ، فلا يفهم معنى كلمة أو جملة إلّا بوصلها بالتي قبلها أو بعدها داخل إطار السياق...، وإنّ التحليل بالسياق يعدُّ وسيلة من بين وسائل تصنيف المدلولات؛ لذلك يتعيّن عرض اللفظ القرآني على موقعه لفهم معناه ودفع المعاني غير المرادة»[1]، وبهذا المعنى فإنّ السياق « يتّسع ليشمل ما هو مكاني، زمني وموضوعي ومقاصدي وتاريخي، لكن الألصق بالتركيب هو اللغوي، وهو دراسة النصّ القرآني من خلال علاقات ألفاظه بعضها ببعض والأدوات المستعملة للربط بين هذه الألفاظ، وما يترتب على تلك العلائق من دلالات جزئية وكلية»[2].

فالسياق متّجه إذن إلى المعنى بالكلية، «والنظم متّجه إلى كيفية صياغته في الجملة، ولماذا جيء به على نحوٍ دون غيره، فمعرفة نظم الآية وأسراره البيانية، مساعدة على معرفة سياقها، كما أن سياقها مساعد على معرفة دقائق نظمها، فإدراك نكتة التعريف والتنكير والمجاز من الحقيقة في نظم قرآني لابد من معرفة سياق الآية الذي هو موضوعها والمراد من الخطاب بها، كما أنّ تحليل نظمها والعلاقات بين مفردات جملها مساعد على معرفة سياقها، فالعلاقة إذن تلازمية»[3].

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿5﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿6﴾ (سورة مريم)، في سياق تضرع زكريا عليه السلام إلى ربه ليهب له الولد، ولا ريب أن المعنى

---

[1] بودرع عبد الرحمن، الخطاب القرآني، مركز الدراسات القرآنية، الرابطة المحمدية للعلماء، ط1، 1434هـ/2013م، ص181.

[2] بودرع عبد الرحمن، المرجع نفسه، ص182

[3] الشطاب الطيب، نظرية النظم عند الجرجاني وأثرها في تفسير القرآن الكريم، بحث ضمن المؤتمر العالمي الثالث للباحثين في القرآن وعلومه، ص801

ينصرف في حق الأنبياء إلى وراثة النبوة والعلم، يقول الراغب الأصفهاني في قوله تعالى: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾(سورة مريم/6) فـ «إنّه يعني وراثة النبوة والعلم والفضيلة دون المال، فالمال لا قدر له عند الأنبياء حتى يتنافسوا فيه، بل قلما يقتنون المال ويملكونه، ألا ترى أنه قال عليه الصلاة والسلام: «إنا لا نورث، ما تركناه صدقة»[1]، وقالوا: ما تركناه هو العلم، وهو صدقة تشترك فيها الأمة، وما روي عنه عليه الصلاة والسلام من قوله: «العلماء ورثة الأنبياء»[2] فإشارة إلى ما ورثوه من العلم، واستعمال لفظ الوراثة لكون ذلك بغير ثمن ولا منّة.

2/ التركيب والنظم:

وذلك من خلال ما أشار إليه الجرجاني قائلًا « وجملة الأمر أنّه لا يكون ترتيبٌ في شيء حتى يكون هناك قصدٌ إلى صورة وصفة، إن لم يُقَدَّم فيه ما قُدِّم، ولو يؤخَّر ما أُخِّر، وبُدِئ بالذي ثُنِّي به، أو ثُنِّي بالذي ثُلِّث به، لم تحصل لك تلك الصورة وتلك الصفة. وإذا كان كذلك، فينبغي أن تنظر إلى الذي يقصد واضعُ الكلام أن يحصل له من الصورة والصفة»[3].

وفي ضوء هذه الأهمية المنهجية لأمر مراعاة التركيب في فهم النصوص وبيان اتساقها نجد أنّ العلماء اعتنوا بالتنبيه عليها في فهم النصّ القرآني وتفسيره، فقد سجّلوا تقريراتٍ نفيسة وأنظارا معتبرة في هذا السياق، وضرورة العناية بتأمّل طرائق التراكيب القرآنية في فهم انسجام الخطاب القرآني واتساق نظمه، من ذلك قول بدر الدين الزركشي « والذي ينبغي في كلّ آية أن يبحث أول كلّ شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم

[1] ينظر: مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت256ه)، طبعة استنبول، ج9، ص204.

[2] البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة)، الجامع الصحيح، طبعة دار الحديث، ج1، ص119 وينظر، أبو داوود سليمان بن الأشعث الجتاثي (ت 275ه)، طبعة دار الحديث، ج10، ص49

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص364

المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟»[1]، وقال أيضًا « فنقول: النظر في التفسير هو بحسب أفراد الألفاظ وتراكيبها، وأمّا بحسب التركيب فمن وجوه أربعة:

الأول: باعتبار كيفية التراكيب بحسب الإعراب ومقابله من حيث إنها مؤدّية أصل المعنى، وهو ما دلّ عليه المركّب بحسب الوضع، وذلك متعلّق بعلم النحو.

الثاني: باعتبار كيفية التركيب من جهة إفادته معنى المعنى، أعني لازم أصل المعنى الذي يختلف باختلاف مقتضى الحال في تراكيب البُلَغاء، وهو الذي يتكلَّف بإبراز محاسنه علم المعاني.

الثالث: باعتبار طرق تأدية المقصود بحسب وضوح الدلالة وحقائقها ومراتبها، وباعتبار الحقيقة والمجاز، والاستعارة والكناية والتشبيه، وهو ما يتعلق بعلم البيان.

والرابع: باعتبار الفصاحة اللفظية والمعنوية والاستحسان ومقابله، وهو يتعلّق بعلم البديع»[2].

مستلهمًا هذه الرؤية وناسجًا على هذا المنوال، يقدّم الشيخ حسن حبنكة الميداني جهدًا معتبرًا في بيان كثير من القواعد المحققة للقراءة النسقية للخطاب القرآني، من ذلك عنايته بقضية التركيب تحقيقًا واستدلالًا، فيقول «إنّ مثل الجمل القرآنية وما تحمل من معانٍ ودلالات كمثل حبّات نفيسات الجوهر، نُظِمَت في عِقد متكامل تمثّله السورة القرآنية... والتوزيع في الحبّات أو الجواهر النفيسة توزيع فني بديع، والسلك الناظم لها أو الأرضية الجامعة لها أمر يُدْرَك بالفكر الثاقب، وقد لا يلاحظ في اللّفظ ما يدلّ عليه، وذلك كما نُدرِك التّناسق والترابط في الأشكال الهندسية التي تنضد على وفقها مجموعة من أنفَس الحجارة الكريمة في قطعة من الحُلِيّ، نادرة الصياغة، بديعة التنضيد. وعلى المتدبّر العميق التفكير أن يكتشف ويحلّل ويُبرِز عناصر الترابط، ويضع أسهم التناسق والترابط بين النفائس الموزعة أبدع توزيع. ويتأكّد على المتدبّر أن يكتشف الروابط الفكرية بين الجمل المقترنة، ولو كان كلّ منها

[1] الزركشي بدر الدين (794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط 01، 1376هـ-1957م، ج1، ص37.

[2] الزركشي بدر الدين، المرجع نفسه، ج2، ص174

يتحدّث عن حقيقة من الحقائق منفصلة في الظاهر عن الحقيقة الأخرى التي جاءت مقترنة بها في اللفظ»[1].

ويقول ابن عاشور «إنّ بلاغة الكلام لا تنحصر في أحوال تراكيبه اللفظية، بل تتجاوز إلى الكيفيات التي تؤدّى بها تلك التراكيب؛ فإنّ سكوت المتكلّم البليغ في جملة سكوتًا خفيفًا قد يفيد من التشويق إلى ما يأتي بعده ما يفيده إبهام بعض كلامه، ثم تعقيبه ببيانه، فإذا كان من مواقع البلاغة نحو الإتيان بلفظ الاستئناف البياني، فإنّ السكوت عند كلمة وتعقيبها بما بعدها يجعل ما بعدها بمنزلة الاستئناف البياني ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴿15﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴿16﴾ (سورة النازعات)، فإنّ الوقف على قوله: "مُوسَى" يُحدِث في نفس السامع ترقُّبًا لما يبيّن حديث موسى، فإذا جاء بعده: "إِذْ نَادَاهُ رَبُّه"...إلخ، حصل البيان مع ما يحصل عند الوقف على كلمة " مُوسَى" من قرينة من قرائن الكلام»[2].

وقال في موضع آخر: « إنّ القرآن الكريم يتضمّن من المعاني ما يحتاج إليه الناس في كلّ زمان ومكان، وإنّ بلاغة التركيب التي تعدُّ من أبرز سماته لَهي ميدان خصب لاستمرارية عطاء القرآن دون نفاد، ومن دون شكّ فإن اللسان العربي يطاوع بشكلٍ كبيرٍ في تحقيق هذه المهمّة، من حيث القدرة الهائلة على تكثيف المغازي ورصد الدروس والعبر...، وإذ قد كان القرآن وحيًا من العلّام سبحانه وقد أراد أن يجعله آية على صدق رسوله وتحدَّى بلغاء العرب بمعارضة أقصر سورة منه...، فقد نسج نظمه نسجًا بالغًا منتهى ما تسمح به اللغة العربية من الدقائق واللطائف - لفظًا ومعنى - بما يفي بأقصى ما يراد بلاغة إلى المرسل إليهم، فجاء القرآن على أسلوب أبدع مما كانوا يعهدون وأعجب...، فالقرآن من جانب إعجازه يكون أكثر معاني من المعاني المعتادة التي يودِعها البلغاء في كلامهم؛ وهو لكونه كتابَ تشريع وتأديب وتعليم كان حقيقًا بأن يودَع فيه من المعاني والمقاصد أكثر ما

[1] الميداني عبد الرحمن حسن حبنكة، قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل، دار القلم، بيروت، ط1، 1400هـ/1980م

[2] ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج1، ص117

تحتمله الألفاظ، في أقلّ ما يمكن من المقدار، بحسب ما تسمح به اللغة الوارد هو بها، التي هي أسمح اللغات بهذه الاعتبارات؛ ليحصل تمام المقصود من الإرشاد الذي جاء لأجله في جميع نواحي الهدى...، والقرآن ينبغي أن يودَع من المعاني كلَّ ما يحتاج السامعون إلى عِلْمه، وكلَّ ما له حظ في البلاغة، سواء كانت متساوية أم متفاوتة في البلاغة إذا كان المعنى الأعلى مقصودًا وكان ما هو أدنى منه مرادًا معه لا مرادًا دونه، سواء كانت دلالة التركيب عليها متساوية في الاحتمال والظهور، أم كانت متفاوتة بعضها أظهر من بعض، ولو أنْ تبلغ حدَّ التأويل وهو حمل اللفظ على المعنى المحتمل المرجوح»[1].

نخلص مما سبق بيانه في النقول والاقتباسات المذكورة أنّ مراعاة التركيب الذي يستخدمه النصّ أمر بالغ الأهمية وضرورة علمية وحاجة منهجية؛ لأنه يسهم في تحقيق:

- بيان اتساق الدلالات في النصّ وتساوقها في الخطاب، والذي يبرز تماسُك النصّ واتساق نظمه.

- ثراء المعنى، ولكن بضوابط علميّة وليس على طريقة النصّ المفتوح عند أصحاب القراءات الحداثية الخالية من كلّ قيد أو ضابط.

كما أنّه يمكن أن يسهم وأن يكون عاملًا مساعدًا في:

- ردّ التأويلات المتعسفة التي ينبو عنها التركيب وتجافيها قواعد اللغة؛ لأنّ عند مراعاة التركيب نأخذ كلّ المباحث اللغوية التي يستدعيها المقام، فيفضي ذلك إلى تلمّس المعنى على هدى وبصيرة.

- تجنّب الاستدلالات المبتورة والممزوعة الأوصال عن المعاني السابقة واللاحقة، فذلك مدعاة إلى اطّراح توهُّم وإيهام مناقضة النصوص الشرعية بعضها لبعض.

- المفاضلة والترجيح بين المعاني ليس بناء على الذوق والتشهّي، ولكن بقواعد العلم المعتبرة.

[1] ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير ، ج1، ص93

ولابد من الإشارة إلى أهمية مراعاة التركيب وفهمه، وكيف أنه يُعِين بقوة على تحقيق الانسجام في الخطاب القرآني، ومن هنا سأحاول أن أعمِّق النظر في أهمية مراعاة استحضار نسق التركيب في فهم انسجام الخطاب القرآني كتفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير) كونه من أبرز من اعتنى بتتبُّع أمر التركيب في تناول التفسير، وحلّ إشكالات النظم والإجابة عنها بصورة علميّة من خلال تحليلات التراكيب التي يستخدمها النصّ وكذلك يظهر من بيان خطته في التفسير، والتي أوضح أنّ قوامها على أمرين:

- تفسير التراكيب القرآنية جريًا على تبيُّن معاني الكلمات بحسب استعمال اللغة العربية، ثم أخذ المعاني من دلالات الألفاظ والتراكيب وخواص البلاغة.
- استخلاص المعاني المدلولة منها بدلالات المطابقة والتضمُّن والالتزام، مما يسمح به النظم البليغ، ولو تعددت المحامل والاحتمالات[1].

وإنّ الناظر في هذين الأمرين يجد أنّ التحليل عند بن عاشور للنصّ القرآني يأتي تركيبيًّا، أي إنّه يقوم على دراسةِ البنيات المتحكمة في إنتاج المعنى، وتفكيكِ أنساق الجملة، ثم ربطِ الأجزاء بعضها ببعض، وكشفِ العلاقة بين الكلمات والمركبات، وذلك بمراعاة مجموعة من صيغ الكلام ومحدّداته من تقديم وتأخير وحذف وعطف واستئناف واعتراض، والتدقيق في القرائن والسياق السابق واللاحق، لإدراك دلالات كلّ من الأمر والنهي والاستفهام وما يفيد العموم والخصوص وشبه ذلك، وهو الأمر الذي جعله من أبرز التفاسير التي تهتم بحلّ إشكالات النظم وتبيُّن كيفيات اتساقه من خلال التعمُّق في تحليل التراكيب العربية التي توسلها النصّ في إنتاج خطابه، وذلك نظرًا لاتساع أمر الأساليب والتراكيب العربية التي استخدمها القرآن الكريم.

ومن الظواهر التي عالجها ظاهرة الفصل والوصل في القرآن الكريم من أكثر الظواهر التي قد يستشكل معها أمر النظم وترتيب التناسق الدلالي في النصّ، ومن ثم يكون لحسن فهمها أثر مهم في بيان دلالة النصّ القرآني بدقّة وبكلّ أبعاده، فقد يربط بين جملتين أو

[1] ابن عاشور محمد الطاهر، أليس الصبح بقريب، التعليم العربي الإسلامي، دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، دار السلام- القاهرة، ط1، 2006م، ص164

يفصل بينهما، وذلك من أجلِ الإحاطة بجزئيات النصّ كلّها وعرضها في نسق لافت وبأشكال متعدّدة، من دون فوات في الدلالة، وفي هذا مراعاة لإثارة عقول المخاطبين بمختلف درجات استيعابهم وإثارة نفوسهم ونزعاتهم من أجل الامتثال للخالق، ويعدُّ هذا المبحث «من المسائل الدقيقة في علم التراكيب، بل من أعقدها... فهو في عرف البلاغيين: العلم بمواضع العطف والاستئناف والتهدي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها أو تركها عند عدم الحاجة إليها»[1].

ومن خلال الاستئناف البياني والجملة المعترضة يمكن أن ندلّل كذلك على أنّ الدراسة البيانيّة ليست فقط من أجل الكشف عن الجوانب الفنية في القرآن الكريم، أو المظاهر الإعجازية، وإنما لها تعلُّق وثيق بتلمُّس المعنى والمفاضلة بين الدلالات.

يتّضح مما سبق أهمية مراعاة التركيب في تحقيق الانسجام والتسلسل الدلالي للنصوص، وأن عناية العلماء بالتنبيه على مراعاة التركيب في التعاطي مع القرآن الكريم وبيان انسجام أجزائه كانت عناية كبيرة وموغلة في القدم في التراث الإسلامي، وذلك لعميق أثر مراعاة التركيب وطريقته في التعامل مع النصّ القرآني وتحقيق انسجامه وتتابعه الدلالي، ومنه تبرز أغراض الاستعمال لتكشف عن روعة التركيب في ساحة النصّ القرآني.

المبحث الثالث: أهمية النحو في التركيب القرآني

1/ أهمية النحو في فهم التركيب القرآني:

إنّ أهميّة علم النحو تأتي من كونه العلم الذي تُفهَم من خلاله اللغة، ومن دون فهم اللغة لا يمكن فهم القرآن أو تفسيره، وقد غلّظ الأئمّة على من يحاول تفسير القرآن وهو غير عالمٍ باللغة، وقد ورد عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس -رضي الله عنه- أنّه قال إن جيء له

[1] الدلالة التركيبية في كتابي (معاني القرآن لأبي جعفر النحاس، ومعاني القرآن للفراء)، ص299

برجل يفسّر كلام الله -تعالى- وهو غير عالم بلغة العرب فإنّه سيجعله نكالًا[1]، وقد ذكر أئمّة الدين واللغة أنّ تعلّم النحو فرضُ عينٍ على قارئ الحديث والقرآن الكريم.

وقالوا كذلك « إنّ تعلّمه واجبٌ وجوبًا صناعيًّا على المشتغل بالتفسير والفقه والتوحيد وغيرها من باقي علوم الشريعة الإسلاميّة، وقد أنشدَ بعضهم يستشهد لحديثه عن ضرورة تعلّم النحو، لو كُنت في الفقهِ كالنُّعمان أو زُفَرٍ أو ابن إدريسَ أيضا وابن شيبانِ وفاتك النّحو لم تُحسبْ -إذا اجتمعت فضائل النّاس- إلّا نصف إنسان»[2]، مما سبق يتبيّن علاقة النّحو بعلوم الشريعة عمومًا.

وعلم التّفسير بخاصّة تأتي من كون علم النحو هو المفتاح لفهم هذه العلوم والخوض فيها، فقد يُغيّرُ من لا علم له بالنّحو أو اللغة حركةً في آيةٍ من آيات القرآن الكريم تودي به إلى المهالك وتحريف كتاب الله تعالى، كذلك الأعرابيّ الذي قدِمَ المدينة ولا علم له بالقرآن، فأقرأه رجلٌ من العامّة آية من سورة التوبة على غير ما أُنزِلَت فكفر الأعرابيّ بالنّبيّ وتبرّأ منه ظنا منه أنّ الآية تتبرّأ من الرسول عليه الصلاة والسلام وعندما علمَ أنّ الذي قد أقرأه الآية أخطأ عاد وتبرّأ ممّا قاله، وصدر أمر من أمير المؤمنين عمر -رضي الله عنه- أن يُمنع أن يُقرِئ القرآن من لا علم عنده باللغة.

فالمفسّر ينبغي له أن يفهم كلام العرب ويكون عالمًا بأشعارهم، ويكون مطّلعًا على أقوال النحاة المتقدّمين والمتأخّرين منهم، فابن عبّاس -رضي الله عنه- يرى الرجوع إلى أشعار العرب للبحث عن معاني آيات القرآن الكريم، وهذا طبعًا بابٌ من أبواب علم النحو، فذهب أهل العلم إلى أنّ النحو بالنسبة لتفسير القرآن كالرأس بالنسبة للجسد، وقال بعضهم إنّه لو سقط علم النحو لسقط فهم القرآن.

---

[1] البرهان في علوم القرآن، فصل في أنواع علوم القرآن الكريم، النوع 18 معرفة غريب القرآنislamweb.net، اطلع عليه بتاريخ23-8-2020م.

[2] ابن هشام، رسالة الشيخ عبد القادر القصاب الدير عطاني في مدح النحو في مقدمة كتاب شرح قطر الندى، ط4، دمشق، مكتبة دار الفجر، ص14.

نقل الإمام السيوطي إجماع الأمّة على أنّه لا يجوز الاشتغال بتفسير القرآن الكريم ما لم يكن الرجل عالمًا بالعربيّة مُلمًّا بها، ولذلك كان شرط العلم باللغة العربيّة شرطًا من الشروط التي وضعها أئمّة التفسير لمن يريد الاشتغال بتفسير كتاب الله تعالى، وقد نُقِلَ عن الزمخشريّ -رحمه الله- أنّه قال "يجب على المفسر أن يكون فارسًا في علم الإعراب".

قد لاحظ أهل اللغة بأن النحو ضرورة للغوي فهما ودرسا، وللنحوي تطبيقا وتفصيلا، فهو من أهم العلوم اللغوية في الترجيح بين الأقوال المتباينة واستنباط القواعد النحوية، قد يخطئ من يظن بأنّ الدلالة اللغوية تختصر على المستوى المعجمي، ولا تتجاوزه إلى المستوى النحوي الذي يمثّل في الحقل اللغوي كل الأنماط التركيبية.

2/ خصوصية النحو في التركيب القرآني:

اهتمّ العلماء بلغة القرآن الكريم لما فيها من إعجاز لغوي في تأصيلها، فهي تعطي النّص تماسكا وقوة، وجدوا فيها وسيلة لتوطين النظام اللغوي خاصة التناسق المنطقي بين مستوياته، ومنها النحوي واللغوي اللذان يردان في النّص لدوافع سياقية وللتنويع في أساليب التّعبير زاخرين بالمعاني النفسية يحملان أسرارا جمالية، إنّهما من أعمق الظواهر اللغوية في النّص القرآني يؤديان دورا لغويا متميّزا، لهما تأثير واضح في إسقاط الزيادة، وتحقيق الانسجام الذي يستريح له ذوق المتلقي[1].

ظهر اتجاه نحويّ نشأ في رحاب القرآن وتوجّه وجهة نحوية قرآنية خالصة وهو "النحو القرآني" فقد أظهر القرآن الكريم النحو العربي في حلّة جديدة وأعاد الوجه المشرق للنحو العربي فقد أسّس النص القرآني نظاما نحويا خاصا كان تأسيس النحو فيه يستنبط من روح النص القرآني ومعانيه وأساليبه المعجزة، لا يقوم مشروع التراكيب النحوية ودلالتها في القرآن الكريم بتحليل التراكيب النحوية القرآنية فقط، وإنما يتصدى لمحاولة استقصاء

[1] بن فطة عبد القادر، أهمية النحو في فهم لغة القرآن، حوليات الآداب –المسيلة- الجزائر، مجلد5، عدد10، 2018م، ص248.

مختلف دلالات هذه التراكيب انطلاقًا من النحو، حيث يتعانق النحو مع الدلالة ويتشكّل المعنى القرآني على وفق نسيج متكامل من الأدوات المنهجية وإمكانات البحث بها، إذ إنّه يجعل من الخطاب القرآني الأداة والوسيلة والغاية في الفهم، ويقرّب علم النحو وأبوابه للذهن، فيجمع بين حبّ العربية بنحوها وصرفها وفنونها، وحبّ القرآن الكريم بنظمه وإعجازه وعلومه، وهو يحاول عن طريق هذا الجمع فهم كلام منزِّلِه سبحانه وتعالى، يقول الشيخ عبد الرحمن الشهري «فإنّ للقرآن عُرفا خاصاً لا يَصحُّ أن يُحمل على شواهد الشعر في أحيان كثيرة ، وإن بدا ذلك للناظر المتعجِّل»[1].

ولذلك قال ابن القيم «لا يجوز أَن يُحمل كلام الله عزَّ وجلَّ ويُفسَّر بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام، ويكون الكلام به له معنى ما، فإنّ هذا المقام غلِط فيه أكثر المعربِين للقرآن ، فإنَّهم يفسرون الآية ويعربونها بِما يحتمله تركيب تلك الجملة، ويُفهم من ذلك التركيب أَيُّ معنى اتفق، وهذا غلط عظيم يقطع السامع بأنّ مُراد القرآن غيره، وإن احتمل ذلك التركيب هذا المعنى في سياق آخر وكلام آخر، فإنَّه لا يلزم أن يحتمله القرآن»[2].

وهذا لأنّ للقرآن الكريم عُرفا خاصا ومعانٍ معهودة، لا يناسبه تفسيره بغيرها. ولذلك فإن الشاهد الشعري مع أهميته في توجيه القراءات من حيث اللغة والإعراب إلا أنه ينبغي ألا يكون مهيمناً عليها بحيث ترد القراءة الصحيحة لمخالفتها له في رأي بعض النحويين، وإنما يستشهد بالشاهد الشعري في موضعه المناسب دون إفراط، كما صنع المفسّرون في جُلِّ مواضعِ احتجاجهم بالشعر.

فالدلالة القرآنية هي «أبعد مقصودا وأوسع مفهوما من أن يستدلّ عليها بالكلمة ومعناها أو العودة إلى المعجمات اللغوية ذلك أنها تستنبط من دلالات التراكيب وما يقتضيه

---

[1] أحمد الفقيه، خصوصية إعراب القرآن الكريم مستوحاة من الشاهد الشعري في تفسير القرآن، 2010/11/10، الأربعاء 4ذو الحجة 1431هـ، 1:59 .

[2] ينظر: السيوطي جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، ج2، ص260-266

المعنى القرآني في النظم والسياق»[1]، فدور السياق عادة يتمثّل في تحديد وتخصيص دلالة التركيب لا غير، ومنه سياقات التراكيب تحدد المعنى الدقيق لكل تركيب.

لا جرم في كون القرآن الكريم في تراكيبه ونظمه نمطا واحدا في القوة والإبداع مادامت ألفاظه ومفرداته من النظم والتأليف في موضع واحد هو النص المبارك وتنسيق العبارات بتخير الألفاظ ثم ترتيبها في نسق خاص يبلغ في البيان أعلى درجاته، وقد أكثروا الأقوال في فنونه وبلغوا غايتها حتى أضحت تراكيبه كامنة في صفة إعجازه[2].

أما ما يتعلّق بالمعنى النحوي فإنّ الكلمة قد تحتمل معنيين نحويين أو أكثر في الآية فيختار المعنى الذي يقوى في القياس والاستعمال، فمثلا في قوله تعالى: لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ۚ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ۚ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (سورة النساء/162) يجوز أن يوجّه إعراب المقيمين على أنها نصبت على المدح، ويجوز أن تجعل معطوفة على الضمير في منهم، وهذا ضعيف في القياس والاستعمال لأنه لا يعطف على الضمير المجرور دن إعادة الجار، فضلا عما فصل بين المعطوف والمعطوف عليه، فلا يوجه إعرابها هذا التوجيه.

لكن إذا وردت القراءة مخالفة للقياس والاستعمال فتتبع ولا يقاس عليها كقراءة حمزة قوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا (1) ﴾ (من سورة النساء/01) عندما نعي العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار.

يبقى للخصوصية معان أخرى منها كيفية التعامل مع أسماء الله وصفاته في الإعراب، والتأدّب في ذلك بأدبٍ خاص، لعلَّ الأولى أن يُفَرَّقَ بين ما هو مِنْ قبيل الآداب وليس له تأثير في المعنى ، وغير ذلك مما هو إلى القواعد أقرب منه إلى الآداب، ومثال الأوّل: التأدّبُ عند

[1] العوادي مشكور، البحث الدلالي في تفسير الميزان، ص64.

[2] الرافعي مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة القرآنية، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط8، 1965م، ص172.

إعراب لفظ الجلالة، والقول في إعراب قوله تعالى ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ (7) ﴾ (سورة البقرة/7) الله: (لفظ الجلالة) فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والقول في إعراب ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ (سورة الفاتحة/6)، اهدنا: فعل تضرع ودعاء (لم نقل فعل أمر) لفظه لفظ الطلب، وهكذا يُقال في كُلِّ ما يَسْتَحِقُّ الإجلال والتعظيم.

ومن المعلوم أنّ ما كان من هذا النّوع فإنّه لا يُغيّر المعنى.

وأما النوع الثاني ، فالمفهوم من كلام العلماء أنَّ المعنى هو الأصل الذي يحتكم إليه في إعراب القرآن الكريم ، فالمعنى أصل والإعراب فرعٌ عنه، يقول السيوطي في الإتقان «...وهو أول واجب عليه: أن يفهم معنى ما يريد أن يعربه مفردا أو مركبا قبل الإعراب ، فإنّه فرع المعنى»[1].

وقال أيضا « قد يتجاذب المعنى والإعرابُ الشيءَ الواحد ، بأن يوجد في الكلام: أن المعنى يدعو إلى أمر والإعراب يمنع منه ، والمتمسَّكُ به صحةُ المعنى ، ويُؤَوَّل لصحة المعنى الإعرابُ. وذلك كقوله تعالى: (إنه على رجعه لقادر * يوم تُبلى السرائر) ، فالظرف الذي هو "يوم" يقتضي المعنى أنه يتعلق بالمصدر وهو "رجْع" أي: إنه على رجعه في ذلك اليوم لقادر. ولكن الإعراب يمنع منه ، لعدم جواز الفصل بين المصدر ومعموله ، فيجعل العامل فيه فعلا مُقدَّرًا دلَّ عليه المصدر»[2] .

ومن قبل كان ابن جني قد ذكر نحوًا من هذا « فإن أمكنك أن يكون تقدير الإعراب على سَمْت تفسير المعنى فهو ما لا غاية وراءه ، وإن كان تقدير الإعراب مخالفا لتفسير

[1] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص384.

[2] السيوطي، المرجع نفسه، ص390.

المعنى تقبَّلت تفسير المعنى على ما هو عليه ، وصحَّحت طريق تقدير الإعراب ، حتى لا يشذ شيء منها عليك ، وإياك أن تسترسل فتفسد ما تُؤثِر إصلاحه»[1] .

وهناك جملة من القواعد تندرج تحت هذا الأصل وإذا كان ذلك كذلك ، فإنّه يجب على مُعْرِب القرآن الكريم «أنْ يتجنب الأمور البعيدة ، والأوجه الضعيفة ، واللغات الشاذة. ويخرج على القريب والقوي والفصيح ، فإن لم يظهر فيه إلا الوجه البعيد فله عذر...أما التنزيل: فلا يجوز أن يُخرَّج إلا على ما يغلب الظن إرادته ، فإن لم يغلب شيءٌ فليذكر الأوجه المحتملة من غير تعسف»[2] .

وعليه فالمفهوم من كلام العلماء أنَّ الأصلَ أَنْ يُحمل القرآن على أقوى الوجوه الإعرابية وأصحها في اللغة والنحو بما يوافق المعنى ويعضده... المفسِّر النحويَّ أقدر على ذلك من غيره إذا صحَّ لدينا أنَّ الإعراب فرْع الْمَعْنى، كل هذه الآداب والضوابط والأصول والقواعد في إعراب القرآن الكريم داخلة في معاني الخصوصية.

3- الإعجاز الدلالي في التركيب القرآني:

للتركيب ثبات فالتركيب يأتي منقادا للدلالة القرآنية كما أنَ الدلالة تنقاد للتركيب لقوله الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿30﴾ (سورة فصلت) يوجب النص القرآني المحور الأسمى هو الاستقامة ولها أبعادها التي ترتبط بالتوحيد فلا يظنن أحد نفسه أنه صار على جادة الجنة ورضى الله وهو يشهد أن لا إله إلا الله ولكن بعيد عن الاستقامة وهي النتيجة التي يجب أن تتحقق وتأتي بعد التوحيد وُضّحت بهذا النظم، فلا يمكن لأحد أن يأتي ليزعم شيئا ويمسخ دلالة ويحيلها إلى فهم آخر لم يردها الله تعالى.

---

[1] ابن جني، الخصائص، ج1، ص283-284.

[2] السيوطي، مرجع سابق، ص386.

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاء وَأَمْوَاتًا وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاء فُرَاتً ﴾ (المرسلات 25-27)، ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿30﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿31﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿32﴾ (النازعات/ 30-32)، يتبيّن من قوله تعالى "الجبال أرساها" أن فعل الرسو قد وقع على الجبال فأصبحت رواسي وقوله أيضا "رواسي شامخات" والشموخ من الارتفاع والعلو ولا شيء في الأرض طبيعي يرتفع غير الجبال، إذاً "الجبال هي الرواسي".

"هذه جبال راسية" تركيب خبري نخبر فيه عن وصف الجبال بأنها راسية وهو وصف اعتيادي له غاية عند المتكلم إذا ما أراد عدم الإشارة إلى إبهام هذا الرسو وإلى عدد الجبال الراسيات فإنه يقول " هذه جبال راسيات " فراسيات تخصيص للجبال بالرسو والرسوخ والثبات " هذه جبال راسية " أخذ صفة راسية فعم بها الجبال كلها وكأن رسوها وثباتها ورسوخها شيء واحد لا اختلاف فيه مطلقا أما إذا قلنا " هذه جبال راسيات " فراسيات وصف لجمع جاء بصيغة الجمع، لكل جبل رسوخ ورسو وثبات وهيكل اختص به دونما الجبال المرادفة له قربا أو بعدا[1]، ومنه إنّ تذوّق النّص القرآني لا يبقينا في هذه القوقعة المقيتة التي ينظر من زاويتها إلى نظم القرآن بحمله على نظم آخر لمسخ دلالته وفهمها فهما سطحيا.

قالوا هم على لسانهم ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿80﴾ (سورة البقرة/ 80)، منهم من ذهب إلى أن لفظ "معدودة" مفرد يدل على الكثرة ولو استعملت معدودات لدلت على القلة ومنهم من فهم الأمر بالعكس، فذهب إلى أن معدودة تدل على القلة ومعدودات على الكثرة، كما في الآيات الأخر التي فهمت في ضوءها الدلالة العميقة لهذا النص، بصرف النظر عن حملها على النظير أو بفهم الموضوع في جسم واحد في القرآن كله.

[1] ابن جني، الخصائص، ج1، ص286.

نحن بفهمنا للنص القرآني وهو كلام الله تعالى ولكنه جاء لسان حال لهؤلاء المناوئين وهو يتحدث عن فهم اليهود لعلاقتهم بالله تعالى وإفهامهم للآخرين بها، استعملوا في وهمهم المس وليس اللمس أو المكوث لم يقولوا "لن نمكث في النار، لن نعذب في النار، لن تلمسنا النار، والمس: الشيء السطحي لا يكاد يذكر، مسست غير لمست، المس: أن يأتي عليك جسم آخر تشعر لوهلة بسيطة بوجوده، صغروا بوهمهم عذاب النار وأبعدوا هذا المس بالنفي للمستقبل ب"لن" (الإبعاد المستقبلي) ثم انتقلوا إلى ذكر ما يعذبون به من زمن وهو أيام وذكروا هذا الوصف بالمعدودة.

المسّ الذي أشرنا إلى ذكره وله ربط وثيق بقولهم " أيام معدودة" إنما هو المس الذي قصدوه هنا من باب توهين العذاب وتسهيله على أنفسهم وتسهيله على السامعين من أبناء جلدتهم من عتات اليهود الذين كانوا يقنعون أنهم على صواب وهذا الفهم للمس لا يدرج على المس في القرآن الكريم كله فالمس له ربط وثيق بالعلقة الروحية الإيمانية كما في قوله ﴿ لَا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾ (سورة الواقعة/79) هؤلاء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا لهم مس ومساسا بالقرآن الكريم لا يبلغه أحد ...، أما المس الذي هنا فهو التوهين بحسب المقام ولسان حال المتحدثين.

وضع العلماء والباحثون "إلا" في قالب الاستثناء لم يحرّروا هذه الأداة لاستعمال آخر، أينما ترد إلا في سياق النفي وما قرب منه فإنها لا صلة لها بالاستثناء إنما هي أداة للتوثيق بالحصر والقصر والتوكيد، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿80﴾ (سورة البقرة) " لن تمسنا النار إلا أياما معدودة " هنا يؤكدون بـ " لن" و "إلا " أنّ هذا العذاب هيّن عليهم لأنّه مسّ ولا شيء عليهم من هذا المسّ والأيام المعدودة بحسب التفاسير عمر الدنيا 7000 عام وسيعذبون عن كل عام بيوم واحد فقط لذلك هانت عليهم الأيام السبعة أو الأربعون يوما التي أذنبوا وعصوا موسى فيها ... هينة يسيرة، سينعمون النعيم بعدها فأحجموا عن ذكر عددها بالتحديد ولم يأت بمعدودات لأنه يدل على العدد الواضح الذي يعلم

للجميع، ومعدودة يأتي للعدد المبهم الذي لا يعلمه إلا المتكلم هذا من باب بعض الأفهام التي سيقت لهذه الآية.

" هذا يوم" لا أستطيع القول " هذا أيام " بل " هذه أيام " وإذا قلنا " مر يوم " فإنّ الفعل أسند للمذكر، ولكن في الجمع لابد من القول " مرت أيام" أو الأيام، فلفظ الأيام مؤنث وهو جمع للمفرد المذكر يوم وصف هذا اللفظ لتأنيثه بصفة مؤنثة، ولم يقل "إلا أياما معدودا" لأن المعدود لا يعود صفة على لفظ اليوم وإنما يعود صفة على لفظ أيام، وأيام لفظ مؤنث فجاءت معدودة أيضا لفظا مؤنثا، كي يتطابق الوصف من جهة تأنيث اللفظين لما هم بلسان حالهم جاء النص القرآني يعبر أياما معدودة هذا التوهين اختصروا به فكرة المس وبعد فكرة إبعاد العذاب (لن للمستقبل غير القريب).

وهذا توكيد بأنّ هذا العذاب لن يطول أمده عليهم، جاؤوا أيضا بلفظة الأيام وهي على وزن "أفعال" كأحمال وهو وزن قلة من جموع التكسير، ثم جاؤوا اختزلوا هذا الجمع وهو أيام بصفة واحدة فقط كي يقتلوا التعديد المستمر والتعديد المتوالي، هؤلاء اليهود آمنوا ويريدون من الآخرين أن يؤمنوا أيضا أنهم شعب الله المختار وأنهم المقربون إلى الله وأنهم الذين لا تجب عليهم النار لقربهم هذا وصلاحهم أما ما صدر عنهم من تقصير وذنوب فهذا لوهمهم لا يوجب عليهم إلا أياما معدودة بحسب اختزالهم لهذا العذاب.

سَلم النص القرآني في نظر جميع من بحث في قضاياه وعلى اختلاف مشاربهم ومذاهبهم من الرد نحويا أو معجميا، حين أذعنوا له بعلو اللغة، وارتقاء الدلالة وصحة التراكيب وسلامة الانتقاء اللغوي، إلى درجة فاقت قدرات أصحاب اللغة أنفسهم فإنَ العلاقة بين النّحو والمعجم فيه على درجة عالية من الصلة بحيث لا يمكن الفصل بينهما، وعلى هذه الاعتبارات استوت نظرة ابن باديس التفسيرية[1].

[1] ينظر: ابن باديس عبد الحميد، تفسير بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص 22.

اهتمّ ابن باديس بالربط بين الألفاظ والمعاني ومدلولاتها في العبارات وقواعد اللغة ، ولأنّ التفسير الباديسي تفسير استدلالي رأيناه يبدأ تفسيره به، فيستدل أولا بآيات القرآن والحديث ثم يستدل بأدلة المنطق والبرهان العقلي ثم يربط تلك الاستدلالات بالشواهد الواقعية وملاحظات التجربة والمواقف السياسية والاجتماعية ومختلف مظاهر التغير والتطوير، مستدلا في كل ما يذهب إليه بأحكام السنة وشرائعها لأنها الطريق العملي والتطبيق السلوكي لأحكام القرآن.

اجتهد بن باديس في استنباط ما بين عناصر الآية من علائق نحوية، وتوظيفها في نسج وثيق بين المعنى والنحو عبر تشكيلات متعددة «فالنظم في الآية الشريفة له معنى أول وهو لا يحتاج إلى أكثر من معرفة المعنى اللغوي وهي مدلولات التراكيب والألفاظ التي تسمى علم النحو –أصل المعنى- وهي عامة في كل كلام، وشائعة في كل قول، وهناك معان ثانية، لا يدركها إلا صاحب ذوق وإحساس، وهي لا تكون إلا في النص الأدبي، وتعظم وتسمو في نظم القرآن الكريم حتى تصل إلى درجة الإعجاز»[1]، حيث تناول تراكيب الآيات تحت عنوان (الألفاظ والتراكيب) ليعالج الدلالة المعجمية والنحوية.

صرّح بأهم مصادره المعتمدة في التفسير، موجها إليها طالب الاستزادة، وأظهر ما يستدعي النظر فيها هو تراثيتها، وتنوعها الفكري والمعرفي ألا وهي: جامع البيان في تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (310هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود بن عمر الزمخشري (538هـ)، مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، البحر المحيط لأبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي النحوي (745هـ).

لم ترتكز الدراسة النحوية عند ابن باديس على الأحوال النحوية المفردة إعرابا ورتبة، بل كانت تقدم النظر في العلائق النحوية بين الكلم، ويبدو تشكل الحس النحوي لابن باديس متأثرا بقطبين من أقطاب التوظيف النحوي، بعد أن استوت العلوم، أما أحدهما فهو محمد بن

[1] لاشين عبد الفتاح، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ، الرياض، د.ط، د.ت، ص95

عمر الزمخشري الذي وثَّق الصلة بين النحو واللغة، وجاء عنه في مقدمة الكشاف اشتراطه على المفسّر أن يكون «متصرفا ذا دراية بأساليب النظم والنثر ...قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف، وكيف ينظم ويرصف»[1] وألزم نفسه باشتراطه فأجاد في تطبيق نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني (471هـ) حين جمع بين ضبط العلائق النحوية للتراكيب ودلالاتها البيانية والجمالية، وأثر ذلك في صياغة المعاني الجليلة أما الثاني فهو أبو حيان الأندلسي (794هـ) في تفسيره المحيط والذي عرف بنزعته التجديدية في الفكر والعلوم فغطى تفسيره نزعة استعراض الوجوه النحوية والاختيار.

تناولت اللسانيات الحديثة المستوى النحوي انطلاقا من طبيعة المفردة وأثر العملية الاشتقاقية من الجذر، وما يتولد عنه من صيغ «فبينما يقتضي محور المركب الترتيبي (النحو) اقتضاء فوريا فكرة النظام المرتب المتتالي مع قدر معين من العناصر فإن الألفاظ المتداعية على محور الاستبدال لا تنحصر لوازمها وأخواتها في مقدار معين من العناصر ولا في ترتيب معين»[2]، وهو الذي يكتشف بممارسة عمليات التقديم والتأخير والحذف والذكر، وضروبها في الكلام.

أ- **مقام الحذف والذكر:** أدرك النحاة العرب ما للحذف والذكر من أهمية في إنتاج الدلالة والتأثير في المتلقي، حيث له بعد تداولي لسياق الحديث متعلق بعلم المخاطب وما يملكه من معلومات خاصة بعملية التلفظ وبالتالي قسم سيبويه الأفعال إلى ثلاثة أقسام «فعل مظهر لا يحسن إضماره، وفعل مضمر مستعمل إظهاره، وفعل متروك إظهاره» يحكم هذا التحكيم قواعد سياقية، فإن أوجب السياق ذكر الفعل لجهل المخاطب به وجب إيراده .

حدَد سيبويه المواضع التي يضمر فيها الفعل مع القدرة على ذكره بشرط علم المخاطب به، منه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ

[1] الزمخشري، الكشاف، توثيق: أبي عبد الله الداني، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، 2008م، ج1، ص18.

[2] دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، ص197.

الْمُشْرِكِينَ ﴿135﴾ (سورة البقرة) أي بل اتَبع ملة إبراهيم حنيفا كأنه قيل لهم اتبعوا، حيث قيل لهم " وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ " وأمثلة ذلك من الذكر الحكيم متعددة والتي يضمر فيها الفعل لعلم السامع به.

تسعى التداولية إلى إثبات ذلك المعنى من خلال نظرة متفحصة على أبعاد الخطاب الخارجية، التي تسهم في توضيح قوة التركيب الإنجازية.

ب- التعريف والتنكير: قال الله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿123﴾ (سورة البقرة) فلننظر إلى ما يحدثه التنكير من أثر دلالي من الحسن والروعة في السياق التركيبي للآية وأثر نفسي لدى المتلقي الذي يأنس ويرتاح عند سماع اللفظة غير معرفة في قوله ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿15﴾ (سورة مريم) وردت لفظة سلام نكرة والمراد بها مطلق السلام، وهذا يجعل المتلقي يعمل عقله لتحديد هذا السلام، أما في قوله تعالى:

﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿33﴾ (سورة مريم) يتمنى عيسى عليه السلام "السلام" بقدر ما يعرفه هو وقومه من أشكال السلام، فجاءت لفظة السلام معرفة وهذا يتناسب والحدث الكلامي، لو نكرت الكلمة لا احتمل الموقف سخرية وشك قوم عيسى عليه السلام من مطلق السلام.[1]

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿64﴾ (سورة العنكبوت) أعطى التعريف هنا معنى إضافيا إذ جعل الآخرة هي الحياة الحقيقية لأنّها دائمة وفي هذا ما يشير إلى أنّ الحياة الدنيا إنما هي " الحياة " ولكنها ليست الحياة لأنّها مؤقتة لا تعدو أن تكون لهوا ولعبا ومتاعا زائلا.[2]

[1] الزمخشري، الكشاف، ج1، ص10.

[2] تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص359.

ج- التقديم والتأخير: قال عنه عبد القاهر الجرجاني " هو باب كثير الفوائد جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قُدّم فيه شيء وحوّل اللفظ من مكان إلى مكان"[1] ليكون آلية في القول يتم فيها تقديم ما أريد التنبيه عليه والالتفات إليه وبتأخر ما يبدو أقل شأنا من الموضوع المقدّم.

سُئل قوم ابراهيم " أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم " الشك هنا كان في الفاعل وليس في الفعل وكيف يشكّون في الفعل والأصنام محطمة أمامهم، ولهذا كان جواب ابراهيم " بل فعله كبيرهم هذا " لأنهم يسألون عن الفاعل ولو سألوا عن الفعل وقالوا أفعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم لكان جوابه فعلت أو لم أفعل، لو قابلوه خارج المعبد قبل أن يروا الأصنام وقد حطمت لسألوه وقتها، أفعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم، لأنهم حتى اللحظة لم يتأكدوا من وقوع الفعل.

قال الله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿5﴾ (سورة الفاتحة) إعادة ترتيب أبواب الجملة هي: نعبدك ونستعينك، وإنما جاء هذا التّقديم ليدلّ على أنّ العبادة والاستعانة لا تكونان إلا لله سبحانه وحده، وذلك يقرّب المعنى من قولنا: لا نعبد ولا نستعين إلا إيّاك.[2]

السبب الوحيد في التقديم والتأخير حسب النحويين هو الاهتمام بالمتقدّم والعناية به إلا أنّ الجرجاني انتقد ذلك ودعى إلى البحث والنظر في الدقائق والفروق التي تخرج بالتقديم والتأخير إلى معاني يدركها السامع ويجول بها خاطره، وذلك بمراعاة السياق، وكذا الغرض الذي من أجله بان القول واتجه إلى المخاطَب ومنه لا يكفي الحكم على " التقديم والتأخير " أنّه قدّم للعناية وإنما ثراءه يكمن في معرفة دقائق النظم والفروق التي تعرض من جهة نقل الخبر .

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص106.

[2] تمام حسان، البيان في روائع القرآن ، ص378.

الفصل الثاني
التضام أصوله وامتداداته

المبحث الأوّل: التضام في النحو العربي.

المبحث الثاني: التضام بين الدراسات النحوية والنصية.

المبحث الثالث: التضام والتركيب القرآني.

سعى الكثير من اللغويين المعاصرين إلى البحث في التراث اللغوي ولقد تهيّأت لهم أسباب البحث فيه ودواعي التّأصيل المنهجي الجديد، فنحوا في دراساتهم اللغوية منحى لغويا يربط بين ما استقر في التراث النحوي العربي وما استجدّ في البحث اللغوي المعاصر، ولم يكتفوا في أبحاثهم بالتّنظير، بل عكفوا على التأصيل لهذه الرؤية بجهاز مفاهيمي خاص بهم، ومصطلحات لغوية تفرّدوا بها، ومن بين هذه المصطلحات نجد مصطلح التضام، الذي ظهر في شكل ملاحظات متفرقة في مؤلفات تمام حسان اللغوية ثم غدت من أهم المصطلحات التي يعوّل عليها الدرس النحوي العربي الحديث فهو يربط بين الدراسات النحوية القديمة والحديثة، ولها أثر كبير في تضافر المبنى والمعنى، ومنه نقف على مصطلح التضام في موروثنا العربي من خلال بيان أصول هذا المصطلح وتمثلاته اللغوية والاصطلاحية.

المبحث الأوّل: التضام في النحو العربي

أمّا النظام النحوي فهو مجموعة الوشائج الرابطة للمعاني النحوية، وهي الوظائف التي تضمن بها الروابط أو الأدوات حين تضم بعضها إلى بعض لتدلّ على معنى نحوي عام، ثمّ تختص بحسب معانيها المعجمية بوظيفة خاصة بموجب اختيار المنتج اللغوي بها للتعبير عن مراده خبرا أو إنشاء، وهو تعبير عن علاقة المجاورة والتضام والمصاحبة والملازمة والتكميل والتوضيح والتخصيص، وذلك بالإسناد والنسبة والجهة والمطابقة والإضافة والتعدية والتعليق لحاجة المفردة إلى بيان وظيفتها داخل الكلام وإن كان لها استقلالية ذاتية في مفهومها عرفيا ومعجميا.

إلا أنها تفتقر إلى ما يتم معناها الوضعي إثباتا أو نفيا في سلسلة من المتلازمات لتأدية المقصود من ذكرها أو حذفها ومن إضمارها أو إظهارها وتعريفها وتنكيرها، ومن إعرابها أو بنائها أو تقديمها و تأخيرها ومن رتبتها وموقعها وموضعها ومن كنايتها وتأويلها ونسبتها ومن صحتها وإعلالها ومن صيغتها الفعلية أو الاسمية أو المصدرية أو الوصفية، أو من تضمينها معنى آخر أو تركيبها في المركبات المبنية أو المعربة، فقد تكون ذات افتقار متأصل كحروف المعاني والظروف والغايات والمبهمات وهي تعبّر عن علاقات وظيفية في

السياق كما يعبر الإسناد والنسبة والجهة عن علاقات المجاورة إخبارا أو حديثا أو توضيحا أو تخصيصا أو وصفا وتكميلا وبيانا، وهي علاقات متممة رابطة توصل بين الكلم، فهي وسائل النظام النحوي المعنوية أما الأدوات فهي وسائله التعليقية القائمة على القرائن اللفظية.[1]

1- بين التضام والتلازم:

أوّلا- مفهوم التضام:

أ/- لغة: ورد مفهوم التضام في معاجم وقواميس عربية كثيرة منها ما جاء عند ابن منظور في لسان العرب «مصدر من الفعل ضمم، الضّم، ضمّ الشيء إلى الشيء أي جمعه، وضَمّه إليه يضمّه ضمّا فانضمّ وتضامّ، تقول ضممت هذا إلى هذا، فهو ضامٌّ ومضموم، تضام القوم إذا انضمّ بعضهم إلى بعض»[2].

وفي الصحاح للجوهري «ضممت الشيء إلى الشيء فانضم إليه وضامَه وفي حديث هني ضمّ جناحك عن الناس أي ألن جانبك لهم وأرفق بهم وفي حديث زبيب العنبري: أعدني من رجل من جندك ضمّ مني ما حرّم الله ورسوله أي أخذ من مالي وضمّه إلى ماله، وضامّ الشيء الشيء انضم معه، وتضامّ القوم إذا انضمّ بعضهم إلى بعض ومعناه الاشتمال»[3] .

فَأَلْفَى القَوْمَ قَدْ شَرِبُوا فَضَمُّوا أَمَامَ القَوْم مَنْطقُهُمْ نَسيفُ.

يقصد أنهم اجتمعوا وضموا إليهم دوابهم ورحالهم، فحذف المفعول وحذفه كثير. وفي القاموس المحيط باب الميم فصل الضاد: «الضم قبض شيء إلى شيء ضمّه فانضمّ إليه

---

[1] حمد حسن عبد الوهاب، النظام النحوي في القرآن الكريم – دلائل النظام النحوي - ، دار صفاء للنشر، عمان، ط1، 1431هـ/2010م، ص288.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مج8، باب (ضمم)، ص88.

[3] الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، مج 6، ص 1972.

تضامّ وضامه واضطمّ الشيء جمعه إلى نفسه، الإضمامة بالكسر الجماعة، الأضاميم: جماعات خيل واضطم عليه اشتمل»[1].

ضم «الضاد والميم أصل واحد يدل على ملائمة بين شيئين، يقال ضممت الشيء إلى الشيء، فأنا أضمّه ضمّا وهذه إضمامة من خيل أي جماعة ويقال أسد ضمضم وضماضم يضم كل شيء»[2].

يقول الجوهري الضم «الاشتمال تضام القوم إذا انضم بعضهم إلى بعض واضطمت عليه الضلوع أي اشتملت»[3]، والملاحظ أن المعاني التي حملتها هذه المادة المعجمية – مادة ضمم- تدل في مجملها على عبارات الاشتمال والمعانقة والانطواء والقبض، وفي ما يلي استعمالات مادة (ضمم) ومشتقاتها في الجزء السادس عشر الخاص بإعجاز القرآن.

مادة ضمم ومشتقاتها	الصفحة
حتى اجتهدوا في ضمّ ذلك	157
ضمّ إلى القرآن	162
فتُضمّ إلى مواضع من السور	165
إنما تظهر في الكلام بالضّمّ	199
ولابدّ مع الضّمّ	199
بالمواضعة التي تتناول الضّمّ	199
إذا انضمّ بعضها إلى بعض	199

[1] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص 1143.

[2] ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، د.ت، ج3، باب ضم، ص357

[3] الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، مج 6، ص 1973

عند الانضمام	199
أن تعلم أفراد الكلمات وكيفية ضمّها وتركيبها	208
إذا انضمّ بعضها إلى بعض	210
إذا انضمّ بعضه إلى بعض	211
وبين ما إذا انضمّ بعضه إلى بعض	212
كيفية ضمّه	213
إذا ضمّ على طريقة من الصّور المختلفة	223
أن يضمّوا	301
يضمّون إليه	351

ب- اصطلاحا: لابد من الإشارة إلى أنّ التضام كمصطلح مرّة أو كمفهوم مرّة أخرى وجد بقوة في التراث اللغوي العربي القديم وليس وليد أو صنيع المدرسة اللسانية الحديثة، حيث وجد في الدرس اللغوي والدرس النحوي قديما لكن بمعان مختلفة شيئا ما عن معناها الحديث، وفي ذلك تقول نادية رمضان «اهتمّ القدماء بعلاقة التّضام وإن كانوا لم يصطلحوا على تسميتها فعرفت بمصطلحات عدّة منها: الضّم، النّظم، الرّصف والمعاضلة ...، كما عرفت عند اللغويين بالتّلازم والتركيب والتضام»[1].

[1] نادية رمضان النجار، التضام والتعاقب في الفكر النحوي، مقال ، ص77. w.w.w NADIA .RAMDAN.GTE.NET

كما أطلق الباحثون على التضام مصطلحا آخر وهو المصاحبة المعجمية حيث يعرفّه أسامة عبد العزيز جاب الله المصاحبة المعجمية (collocation) ويراد بها العلاقات القائمة بين الألفاظ في اللغة مثل علاقة التضاد والتقابل والجزء بالكل والجزء بالجزء مما يشيع في اللغة[1]، يقول الأستاذ البطاشي خليل بن ياسر «هي توارد زوجين من الكلمات لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك والعلاقة التي تربط هذين الزوجين لا يشترط أن تكون بالإيجاب دائما، فقد تكون علاقة تعارض أو تقابل...»[2]، وغيرهم ممن أطلق مصطلح المصاحبة المعجمية وهو يريد التضام فكلاهما واحد وما عناية اللسانيين بذلك إلا لأهميته كعنصر اتساقي بارز يساهم في تماسك النص وترابطه، كما يساهم في جودة بنائه وإخراجه للقارئ المتلقي بشكل حسن.

ثانيا- المقابلات الموافقة لمصطلح التضام:

التضام أو المصاحبة أو التلازم: مصطلح المصاحبة عند الدّارسين العرب المحدثين ما هو إلا ترجمة لمصطلح فتعدّدت مسمياته عندهم وإن كان المضمون واحدا في الغالب فأطلق عليه عدّة مصطلحات هي:

1- المصاحبة 2- التلازم 3- الاقتران اللفظي

4- الرّصف والنّظم 5- التضام 6 - قيود التوارد

يمكن تلخيص أهم المقابلات للمصطلح الوافد collocation كما يلي:

المقابل العربي	اسم المترجم	الموضع من الكتاب

[1] مصطلحات اللسانيات النصية، مقاربة تحليلية، IBN MONK Z 2005 YAHOO.COM ، ص.75

[2] البطاشي خليل بن ياسر، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير، عمان، ط1، 2001م، ص209.

الرَصف	د. أحمد مختار عمر د. صبري ابراهيم السّيد د. عواطف كنوش	علم الدلالة، 74 معجم مصطلحات العلوم اللغوية، 22 الدلالة السياقية عند اللغويين، 167
المصاحبة اللغوية	-نخبة من اللغويين العرب -المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم د.رمزي منير بعلبكي د.شحدة فارع وآخرون د. خالد محمود جمعة د. محمد العبد د. فريد عوض حيدر د. محمود عكاشة	-معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، 11 -المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، 27 -معجم المصطلحات اللغوية، 98 -مقدمة في اللغويات المعاصرة،186 -مدخل إلى علم الدلالة(بالمر)،169 -إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي، 103 -فصول في علم اللغة التطبيقي، 136 -التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، 187
التلازم اللفظي	د.محمد محمد حلمي خليل د.عبد الرزاق بن عمر د.محمد محمد داود	-الترجمة والمعنى دليل التكافؤ بين اللغات (لارسون)، 233. -توارد المتلازمات اللفظية في المعاجم اللغوية العربية، بحث 143.

التضام	د. تمام حسان	- اللغة العربية معناها ومبناها، 21
	د. عبد السلام المسدي	- قاموس اللسانيات، 236
	د. رمزي منير بعلبكي	- معجم المصطلحات اللغوية، 98
	د. أحمد مختار عمر	- صناعة المعجم الحديث، 134
	د. محمد الخطابي	- لسانيات النص، 24
	د. محمد الشاوش	- أصول تحليل الخطاب، 142/1

نلاحظ أنّ الدارسين لم يتفقوا في تناولهم الظاهرة على مصطلح أو مسمى واحد وإن اتفقوا في المضمون، حيث تعدّدت المسمّيات وكل يعبّر عن المصطلح بما يحلو له، وكان الأولى والأجدر توحيد المصطلح تيسيرا على الدّارسين أو السّير على مصطلح محمد أحمد أبو الفرج بحكم أنّه أَوّل من ترجم مصطلح فيرث تحت اسم "المصاحبة".

ثالثا- التلازم التركيبي:

تتحدّد قيمته في أنّه يسهم في الحكم على التركيب بأنّه أصبح يؤدي المضمون، وكذلك يقيس به البلاغيون فصاحة الكلام فلابد أن تتعلّق معاني الكلمات بعضها ببعض، ويكون بعضها بسبب بعض، يقول عبد القاهر الجرجاني «وجملة الأمر أنّا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكنّا نوجبها لها موصولة بغيرها، ومعلّقا معناها بمعنى ما يليها»[1].

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص402.

يتحدث هنا عن ضمّ لفظة إلى أخرى، ويشير بذلك إلى التلازم ويرى تمام حسان أنّ غرض عبد القاهر الجرجاني ليس النّظم في ذاته ولا التّرتيب وإنما كان التّعليق، والهدف منه إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية عن طريق ما يسمّى بالقرائن.[1]

1- **التّلازم:** هو صدى حاجة المفردة إلى لفظة أخرى، فيكون لهما معا خصوصية تركيبية والحديث عن التلازم يدفعنا إلى الكشف عن اللّزوم، فإذا كان الأوّل علاقة بين مفردتين متلازمتين أو أكثر، فالثاني هو حاجة اللفظة لغيرها من الكلمات، لتكوين الجملة.[2] وهناك صدى لتجاوز الكلمات نحويا ليس فقط في كون أحدها عاملا أو معمولا، فقد يوهم ذلك بشكل إعرابي مخالف للأصل وهو ما عُرف بالجوار، وهو أنّ الشيء يُعطى حكم الشيء إذا جاوره، كقول بعضهم: هذا جحر ضبّ خرب بالجر.[3]

2- **اللّزوم:** هو حاجة اللفظة إلى موقعية محدّدة أو رتبة مخصوصة تحتفظ به، حتّى تؤدي دورها في التركيب مع الوحدات الأخرى، وبلزومها يتحقّق التلازم مع بقيّة الوحدات المكوّنة للنّص.

3- **أشكال التلازم التركيبي:** يتّخذ أشكالا مختلفة من حيث الالتحام والانفصال بين الوحدات المترابطة.

أ- التلازم المدمج "التساهمي":

يتّضح التلازم المدمج في شدّة الارتباط بين العنصرين المتلازمين بشكل ملتصق، فلا يقعان منفصلين في التركيب ولا يوجد فاصل بينهما حتّى إنّ المصطلح اللغوي الذي يطلق عليهما، مأخوذ من مادّة لغوية واحدة ويتحقّق هذا من خلال خمسة أشياء: الجار والمجرور، المضاف والمضاف إليه، الفعل والفاعل، الصفة والموصوف، الصلة والموصول، وما يميّز هذه المتلازمات أنّها بمنزلة شيء واحد.

---

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص188.

[2] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز ، ص55.

[3] السيوطي جلال الدين، الأشباه والنظائر، ج2، ص10.

ب- **التلازم المنفصل:**

قد يجوز انفصال المتلازمين فيتباعدان في الشّكل التركيبي، مع عدم التّأثير في تحقّق علاقة التلازم بينهما، للارتباط النحوي والدلالي بينهما، ويتحقق في علاقة الفاعل بمفعوله، وعلاقة المبتدأ بخبره وغيرها، فهي وإن كانت علاقة تلازمية لكنها انفصاليّة ليست مدمجة، وقد يكون هناك فاصل بينهما نحو: زيدٌ الذي جاء من السّفر مجتهدٌ، نلاحظ الفصل بين المبتدأ والخبر بالاسم الموصول وصلته ولكن إذا وردت الجملة دون الخبر وهو أحد العناصر المكوّنة للجملة، فإنّها تفقد الوجه الصّحيح لها ولا يصحّ ذلك إلا إذا وقع ذلك في موضع يصحّ فيه الحذف عندما يوجد في السّياق ما يدل على المحذوف حالا أو مقاما.[1]

4- **التضام عند تمام حسان:** لخّص مفهوم التضام في وجهين:

الوجه الأول: التضام هو الطرق الممكنة في رصف جملة ما فتختلف طريقة منها عن الأخرى تقديما وتأخيرا وفصلا ووصلا ...ويمكن أن نطلق على هذا الفرع من التضام مصطلح " التوارد " وهو بهذا المعنى أقرب إلى اهتمام دراسة الأساليب التركيبية البلاغية الجمالية منه إلى دراسة العلاقات النحوية والقرائن اللفظية.

الوجه الثاني: يقصد به أن يستلزم أحد العنصرين التحليليين النحويين عنصرا آخر فيسمى التضام "بالتلازم"، أو يتنافى معه فلا يلتقي به ويسمى التنافي، وعندما يستلزم أحد العنصرين الآخر فإنَ هذا الآخر قد يدل عليه بمعنى وجودي على سبيل الذكر أو يدل عليه بالمبنى العدمي على سبيل التقدير بسبب الاستتار أو الحذف [2] عدم ظهور العلامة الإعرابية، وتجنبا للبس يكون الذكر قرينة على المعنى المراد.

ومنه نستنتج أنه استقى هذه الظاهرة من التراث النحوي البلاغي العربي حيث نجد عبد القاهر الجرجاني في قوله «فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها التأليف وقبل أن

[1] محمود أحمد نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، ص 114-120

[2] تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، ص 216.

تصير إلى الصورة التي يكون بها الكلم إخبارا وأمرا ونهيا واستخبارا وتعجبا، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل لإفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة وبناء لفظة على لفظة»[1].

والتضام في نظره ليس اتصال اللواصق بالكلمة، فاتصال اللواصق ضم جزء كلمة إلى بقية هذه الكلمة بل هو تَطلب إحدى الكلمتين للأخرى في الاستعمال على صورة تجعل إحداهما تستدعي الأخرى، فياء النداء كلمة مستقلة وليست جزء كلمة والعلاقة بينهما وبين المنادى علاقة التضام لا علاقة الإلصاق.

نلاحظ أن تعريف تمام حسان للتضام وفهمه له، صاحبته معاني الاستلزام والرصف، وقد أوجز مظاهره في التركيب القرآني في الحذف، الزيادة، الفصل، الاعتراض، إدخال اللفظ على غير مدخوله، التضمين وإغناء أحد العنصرين عن الآخر والشروط التركيبية الضرورية لتأليف ألفاظ السياق.

رابعا- التضام قرينة لفظية: «إنّ تأليف الجملة من مفرداتها لا يتم بالمصادفة بل تحكمه مبادئ وقواعد تتوقف عليها إفادة الكلام، فالكلمة داخل الجملة تتطلب كلمة أخرى تقع في حيزها بشروط خاصة تتصل بإحدى القرائن كالإعراب أو الرتبة ولقد فسر النحاة هذا الشرط بالنسبة للإعراب مثلا بفكرة العامل النحوي لا بمطالب الحيز في نظم الجملة فقالوا الكلمات يعمل بعضها في بعض نصبا أو جرا ... واضطروا إلى الاعتراف بالعمل المعنوي حينما لا يوجد عامل لفظي فكان ذلك تعبيرا غير مباشر عن الاعتراف بفكرة الحيز الذي يحدد وظيفة الكلمة»[2].

يعدّ طابع الحيّز بين الافتقار والاختصاص والمناسبة النحوية والمعجمية، فأما الافتقار فمعناه أنّ لفظا ما لا يستقل بالإفادة ولا يوقف عليه في الكلام غالبا وإنما يتطلب في حيزه

[1] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص35.

[2] تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها ، ص223- 224.

لفظا آخر لا غنى له عنه...، ويترتب على مبدأ الافتقار ألا يستغنى بحرف الجر عن المجرور ولا بحرف العطف عن المعطوف ولا بالحروف المصدرية عن الفعل ولا بالموصول عن صلته...، وكذلك يفتقر المحذوف إلى دليل الحذف أو إلى العوض وتفتقر جملة الصلة والنعت والحال والخبر إلى ضمير يعود إلى مرجع مذكور أو متصيد أو مدلول عليه بالسياق وتفتقر المبهمات إلى ما يخصصها من وصف أو تمييز أو إضافة ويفتقر الظرف والمجرور إلى ما يتعلقان به وكل فعل لابد له من فاعل أو نائب فاعل ولابد للمبتدأ من خبر، وعكس الافتقار الاستغناء في مصطلح النحاة إذ إن اللفظ قد يستغني بنفسه عن غيره كاستغناء الفعل اللازم عن المفعول به.[1]

يضع متكلم اللغة كلامه وفق مبادئ وقواعد ليحقق بذلك الفائدة بين ما يحكم مفردات التركيب من سبك وتراص وتضامها فيما بينها. يقال التضام قرينة لفظية لأنّ الاسم الموصول مثلا قرينة على أنّ الجملة التي بعده صلة وأنه لو لم يتقدمها الموصول لصلحت بصورتها الخبرية أن تكون صفة إذا تطلبها الموصوف أو حالا لصاحب الحال أو خبرا لمبتدإ أو في محل جر بالإضافة ... فالذي يتطلب هذه الجملة هو الذي يحدد معناها.[2]

ومن المظاهر التي تثبت قرينة التضام أنَ الاسم الواقع بعد الأدوات التي لا تدخل إلا على الأفعال في الاشتغال لا يكون إلا منصوبا على المفعولية لفعل محذوف مقدَر يفسره المذكور لأنه لو ارتفع لكان مبتدأ أو لعدَت هذه الأدوات داخلة على الأسماء على عكس حظَها من التضام يقول الأشموني «ولا يجوز رفع الاسم السابق على أنَه مبتدأ لأنَه لو رفع والحالة هذه لخرجت هذه الأدوات عما وضعت له من الاختصاص بالفعل»[3].

[1] تمام حسان، الخلاصة النحوية، عالم الكتب ، ط1، 1420-2000م

[2] تمام حسان، المرجع السابق ، ص223-224.

[3] الأشموني، شرح الأشموني، ص185

فالتضام مبرر قبول التقدير سواء عند الاستتار أو عند الحذف فالاستتار والحذف إنما يكونان للعناصر التي تتطلبها عناصر أخرى فيكون هذا التطلب أساسا لقبول تقدير المستتر أو المحذوف أو متعلق الظرف والجار والمجرور وتتضافر معه بالطبع قرائن أخرى كسبق الذكر عند الحذف وكدلالة الصيغة عند الاستتار وقد شرح ذلك تمام حسان في ظاهرة تضافر القرائن حيث قسَم قرائن التعليق إلى لفظية ومعنوية، كلاهما تعرف من المقال لا المقام وجعل تحت كل قرينة منهما عناصر وفروعا[1] .

1- القرائن المعنوية: هي معاني النحو أو العلاقات السياقية[2]، الإسناد، التخصيص، النسبة، التبعية، المخالفة[3]، المصاحبة (المفعول معه)، الغائية (المفعول لأجله)، الظرفية (المفعول فيه).

2-القرائن اللفظية: هي ما يقدّمه علما الأصوات والصرف للنحو من قرائن صرفية ونحوية[4] تشمل الإعراب، الرتبة، الصيغة، المطابقة، الربط، **والتضام** والأداة والنغمة[5]، يقول أحمد قدور «التضام قرينة لفظية لأنَها ذات أثر في انسجام العناصر النحوية ولأنها تحدد وظائفها، وما تشير إليه من معان في السياق النحوي، ومن الأمثلة على ذلك أن اسم الموصول وصلته يمثَلان عنصرين لا يقوم أحدهما على الاستغناء عن الآخر أو الحلول محله، فقولك " جاء الذي أنتظره" يعني انصراف معنى الصلة إلى (الذي) مباشرة دون تطرق احتمال كونها خبرا أو صفة لأنها جزء متمم للصلة لا يغنى عنه، كما أنَ الموصول مفتقر لهذا الجزء أي الصلة افتقارا واضحا، كذلك الشأن بين المضاف والمضاف إليه فالظرف الذي يهيأ للإضافة لابد من الاتصال بالمضاف إليه، وإن لم يكن اسما صريحا فقد يأتي بعد تركيب نحوي مستقل

[1] أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط2، 1419هـ/1999م، ص228

[2] حسين رفعت، الموقعية في النحو العربي، تمام حسان، عالم الكتب، ط1، 2005م، ص19

[3] تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، ص192.

[4] أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص228.

[5] تمام حسان، المرجع السابق، ص192 وما بعدها.

يحل محل المفرد لأنَ الفائدة لا تتم إلا به نحو قوله تعالى ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيًّا ﴾ (سورة مريم/33)، يظهر من الآية الكريمة أنَ المضاف والمضاف إليه وهو جملة هنا لا يقوى على الانفراد بالمعنى لأنَ المعنى شركة بين الجزأين معا»[1].

2- أقسام التضام وأنواعه.

أوّلا - أقسام التضام: ينقسم التضام إلى ضربين معجمي ونحوي، ما يهمّنا في بحثنا هو التضام النحوي.

1-التضام المعجمي: هو انتظام مفردات المعجم في طوائف يتوارد بعضها مع بعض ويتنافر مع بعضها الآخر، فالأفعال طوائف تتوارد كل طائفة منها مع طائفة من الأسماء وتتنافر مع الأسماء الأخرى. وهذا هو معنى قول البلاغيين «إسناد الفعل إلى من هو له أو إلى غير من هو له فمن غير المعقول أن يقال " انكسر الخيط "»[2]، لأن في الخيط من المرونة ما يحول بينه وبين الوصف بالكسر. فهذه التراكيب رغم أنها تشتمل على كلمات متنافرة وتفتقد عنصر الإفادة إلا أنه تحققت فيها صحة التركيب النحوي حيث يمكن إعرابها لذلك نقول أنها تتسم بـ"الإحالة المعجمية".

2- التضام النحوي: هو العلاقة التي تنشأ بين عنصرين "التابع والمتبوع" داخل المنظومة النحوية أو بمعنى آخر هو استلزام أحد العنصرين التحليليين النحويين عنصرا آخر، فسمي التضام هنا "التلازم" وأهم نماذجه الاختصاص وتلازم الصفة والموصوف، المعطوف والمعطوف عليه أو يتنافى معه فلا يلتقي به ويسمى هذا بالتنافي، وهو قرينة سلبية تندرج تحت التضام.

يظهر هذا التضام النحوي بوضوح بين التابع والمتبوع، والمفسّر والمفسَّر، والتمييز والمميز، والضمير ومرجعه وتحمل الضمير وعدمه والمطابقة بين العنصرين والرتبة بينهما

[1] أحمد محمد قدور، المرجع السابق، ص335-337، حسين رفعت، الموقعية في النحو، ص21.

[2] تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص155-156.

والفصل والوصل والافتقار والاختصاص والاقتران والعامل والمعمول وتقرير الجملة والتركيب...إلخ[1]، ويستدل على هذا التضام بإحدى طريقتين هما:

1.2طريقة الذكر: وفيها يكون العنصران المتلازمان مذكورين في نص الكلام وهو إما "ذكر اختصاص" وإما " ذكر افتقار".

2.2 طريقة العدم (الحذف): وفيها يستدل بقرائن سبق الذكر، أو الاستلزام على العنصر غير المذكور في النص إما لاستتار واجب أو لحذف.

وتتمثل أهمية التضام النحوي في «التوصيل إلى البنية السطحية الخاصة بالنص، وكذلك العلاقات الخاصة بين مكوناته وأجزائه، وتكشف العلاقات التركيبية عن تلك القواعد أو الأعراف الأساسية التي تكمن خلف عمليات إنتاج النصوص وتفسيرها»[2].

ثانيا- عناصر التضام (أنواعه):

1-الاختصاص: هو «من صفات الحروف والأدوات لأنّ الأداة إمّا أن تدخل على نوع معيّن من الكلمات لا تتعدّاه إلى غيره، فتسمى " مختصّة" كاختصاص " إنّ وأخواتها" بالأسماء وكذلك "حروف الجر"»[3]، وإما أدوات غير مختصة تدخل على الأسماء والأفعال مثل "أدوات النفي" فهي لا تؤثر إعرابيا، لقول النحاة: «إنّ الحروف لا تعمل إلا إذا كانت مختصة»[4]، وإنما نصبت الأسماء ورفعت الأخبار لأنّها أشبهت الأفعال لفظا ومعنى، أما اللفظ فمن وجوه أحدها: أنّ أواخرها مبنية على الفتح كالفعل الماضي، وثانيها أنها تخفف من مضعف كالأفعال، وثالثها: اتصال نون الوقاية بها إذا دخلت على ياء المتكلم كالأفعال،

[1] تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص153.

[2] دانيال تشاندلر ، معجم المصطلحات الأساسية في علم العلاقات ، ص217-218 .

[3] سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977، ج1، ص419-131.

[4] ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط بيروت، المكتبة العصرية،1414هـ/1993م، ج1، ص730.

ورابعها: أنها مركبة من ثلاثة أحرف فصاعدا كعدد حروف الأفعال، وأما المعنى فمعانيها كمعاني الأفعال فمعنى إنَّ وأنَّ: أكدت، وكأن: شبهت، وليت: تمنيت، لعل: ترجيت، ولكن: استدركت.

من خلال استقراء بعض كتب النحو، لاسيما كتب الخلاف والأصول، قد استنبطت بعض القواعد الخاصة بضميمة الاختصاص ومنها:

- تختص "إنّ وأخواتها" بالدخول على الأسماء فهي ناصبة لاسمها رافعة لخبرها وإنما عملت لكون الحروف لا تعمل إلا إذا كانت مختصة[1].
- الخفض يختص بالأسماء[2].
- تختص حروف النداء بالدخول على الأسماء[3].
- تختص علامات التثنية والجمع بالأسماء [4].
- تختص نون الوقاية بالدخول على الأفعال، فنقول أرشدني وأسعدني ولا نقول مرشدني ولا مسعدني[5].
- تختص (أفعل) بنصب النكرات بعدها على التمييز[6].
- يختص الإسناد بالجمل[7].

2- الافتقار: وهو قسمان: افتقار متأصل وافتقار غير متأصل.

---

[1] ينظر: الموصلي عبد العزيز، شرح الألفية ابن معطي، تح علي موسى الشوملي، مكتبة الخانجي، الرياض، 1990م، ج2، ص8 وما بعدها.

[2] ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج1، مسألة 14، ص97-98

[3] الموصلي عبد العزيز، شرح الألفية ابن معطي، ج1، مجلد 14، ص99

[4] الموصلي عبد العزيز، المرجع نفسه، ج1، مجلد 11، ص80

[5] الموصلي عبد العزيز، المرجع نفسه ، ج1، مجلد 15، ص129

[6]الموصلي عبد العزيز، شرح ألفية بن معطي، ج1، مجلد 15، ص132

[7] الموصلي عبد العزيز، المرجع نفسه، ج1، مجلد21، ص174

1.2 الافتقار المتأصل: يمثّل العناصر التي لا يصح إفرادها في الاستعمال، وإن صحّ ذلك عند إرادة الدراسة والتحليل مثال ذلك افتقار حرف الجر إلى المجرور، وحرف العطف إلى المعطوف، افتقار الصفة إلى الموصوف[1]، افتقار الأسماء الموصولة لجملة صلة في ذلك يقول ابن يعيش «الذي وما نحوه من الموصولات بمنزلة الحرف من الكلمة، من حيث كان لا يفهم معناه إلا بضم ما بعده إليه»[2].

وكذا افتقار الأفعال القاصرة في تعديلها إلى حرف الجر ويفسر ابن جني ذلك الافتقار بأنّ حرف الجر يعدّ جزءً من الاسم الذي بعده لافتقار هذا الحرف إلى اسم يعمل فيه، ويدلل على ذلك بأن الحرف وما بعده في محل نصب مفعول به، حيث اشترط النحاة لجملة الصلة شروطا غير الشروط المذكورة أعلاه، وهي أن تكون خبرية، جملة معلومة السامع.[3]

2.2 الافتقار غير المتأصل: يكون للباب النحوي بحسب تركيبه، كافتقار المضاف إلى مضاف إليه، والحال إلى حدث يلابسه، سمي بذلك لأنه غير منسوب إلى الكلمة لأنها غير مفتقرة بحسب الأصل، وإنما يكون الافتقار للباب، فكل كلمة تقع هذا الموقع يفرض الباب هذا النوع من الافتقار.[4]

وضّح " الصبان" في حاشيته الفرق بين هذين القسمين من الافتقار قائلا " أما الافتقار المتأصّل فهو أن يفتقر الاسم إلى الجملة افتقارا مؤصّلا أي لازما، كالحرف في إذ، إذا حيث

---

[1] السيوطي، الأشباه والنظائر، مراجعة طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، الكليات الأزهرية، 1388هـ/1975م، ج1، ص173.

[2] ابن يعيش، شرح المفصل،ج3، ص150

[3] ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، 1955م، ج1، ص 341.

[4] تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص154

الموصلات الاسمية"[1] وسماه بالشّبه الافتقاري لأن كل عنصر فيه يفتقر افتقارا متأصلا إلى ما بعده، فهما لا يفترقان.

أما الافتقار غير المتأصل فهو افتقار الكلمة "سبحان" إلى مفرد أو جملة افتقارا غير لازم، كافتقار الظرف " يوم" إلى جملة بعده، كما في قوله تعالى ﴿ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿119﴾ (سورة المائدة) وذلك لأن افتقار "يوم" إلى الجملة بعده ليس لذاته، وإنما هو لعارض كونه مضافا إليه، والمضاف من حيث هو مضاف مفتقر إلى المضاف إليه ودليل ذلك أن كلمة يوم في سياق آخر مثل " هذا يوم مبارك" لا تفتقر إلى جملة.[2]

افتقار كاف التشبيه غير الاسمية إلى اسم بعدها، إلا أنّها قد وردت أحيانا دون مشبه، كما في قوله تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿151﴾ (سورة البقرة)، وقوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿143﴾ (سورة البقرة)، تفتقر جملة الصلة إلى ضمير عائد على الموصول، لتعلّق الحكم بهما معا، وإلا كانت جملة الصلة أجنبية[3]، وقد يحذف العائد من الصلة كحذفه من الصفة، وحذفه من الصلة أولى لطول الكلام، كما في "زيد الذي ضربت" أي ضربته[4] .

---

[1] الشافعي علي الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت، ط1، ص 54 .

[2] الشافعي علي الصبان، المرجع نفسه، ج1، ص55

[3] الأشبيلي، شرح جمل الزجاجي، تحقيق: صاحب أبو جناح، العراق، 1400هـ/1980م، ج1، ص93.

[4] السهيلي، الأمالي، ط السعادة، القاهرة، 1970م، ص91.

ذكر صاحب " شرح المفصل" أسماء غير ظروف تلزم الإضافة ولا تكاد تفترق عنها حتى ولو أفردت فهي على معنى الإضافة، نحو: مثل، شبه، غير، بيد، قيد، قدا، قاب، قيس، والثلاثة الأخيرة بمعنى مقدار، نحو قوله تعالى ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿9﴾ (سورة النجم)، ولكون هذه الأسماء تلزم الإضافة لا يجوز دخول " ال" التعريف عليها، فلا يمكن أن نقول: المثل، الشبه، الكل، البعض، لأن ذلك كالجمع بين الألف واللام والإضافة، وكذلك "ذو" تقول " رأيت رجلا ذا مال، جاء رجل ذو مال، مررت برجل ذي مال" وكذلك في المثنى والجمع لقوله تعالى ﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿33﴾ (سورة النمل/33)، ومؤنثها "أولات".

وفي قوله تعالى﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿4﴾ (سورة الطلاق)

يفتقر المبتدأ إلى الخبر، لأن كلا منهما عين الآخر، فإذا قلت: " زيد قائم وعمرو منطلق "، كان "قائما".

ورد في كتب النحاة أمثلة عن الافتقار المتأصّل وغير المتأصّل سنذكر بعض أمثلتها:

الافتقار المتأصل "الشّبه الافتقاري"	الافتقار غير المتأصل

-افتقار الصفة إلى الموصوف [2]. - افتقار الأسماء الموصولة لجملة الصلة، فيقول " ابن يعيش " (الذي وما نحوه من الموصولات بمنزلة الحرف من الكلمة، من حيث كان لا يفهم معناه إلا بضم ما بعده إليه)[3]. - افتقار الأفعال القاصرة في تعديلها إلى حرف الجر، ويفسّر "ابن جني" ذلك الافتقار بأن حرف الجر يعدّ جزءً من الاسم الذي بعده، لافتقار هذا الحرف إلى الاسم الذي بعده، ولافتقار هذا الحرف إلى اسم يعمل فيه، ويدّل على ذلك بأن الحرف وما بعده في محل نصب مفعول به [4] . - افتقار حرف الجر "الجار" إلى اسم مجرور. - افتقار حرف العطف إلى اسم معطوف. - افتقار الفعل إلى فاعل.	- افتقار " كاف التشبيه " غير الاسمية إلى الاسم بعدها، إلا أنها قد وردت أحيانا دون مشبه، كما في قوله تعالى " كما أرسلنا فيكم رسولا منكم" (البقرة 151)، "وكذا جعلناكم أمة وسطا" (البقرة 143). - تفتقر جملة الصلة إلى ضمير عائد على الموصول لتعلّق الحكم بهما معا، وإلا كانت جملة الصلة أجنبية[1]، وقد يحذف العائد من الصلة كحذفه من الصفة، وحذفه من الصلة أولى لطول الكلام، كما في زيد الذي ضربته. - الحال إلى حال يلابسه. - الظرف إلى جملة بعده. - افتقار المضاف إلى مضاف إليه.

[1] الشافعي علي الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني، ج1، ص55.

[2] السيوطي، الأشباه والنظائر، مراجعة طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، الكليات الأزهرية، 1388هـ/1975م، ج1، ص 173.

[3] ابن يعيش، شرح المفصل، ج1، ص150.

[4] ابن جني، الخصائص، ج1، ص341.

3- التنافي: بيّن أنّ « قواعد النحاة في ذلك سلبية لا تخلو من (لا) النافية كقولهم: لا يدخل الحرف على الحرف، ولا تدخل حروف الجر على الأفعال ولا تدخل الجوازم على الأسماء»[1]، فالتنافي عكس التضام وإن «أُدخل تحته باعتباره قسيما للتلازم، وهو قرينة سلبية على المعنى يمكن بواسطتها أن نستبعد من المعنى أحد المتنافين عند وجود الآخر».[2]

ومن تناول تمام حسان للظاهرة يظهر أنّه تناولها على المستوى النّحوي وهو عنده "قرينة في السياق"[3] تعين على تحديد مواقع الكلمات في الجملة.

يمكن ترجمة المفاهيم السابقة والجدول بالمخطط الآتي:

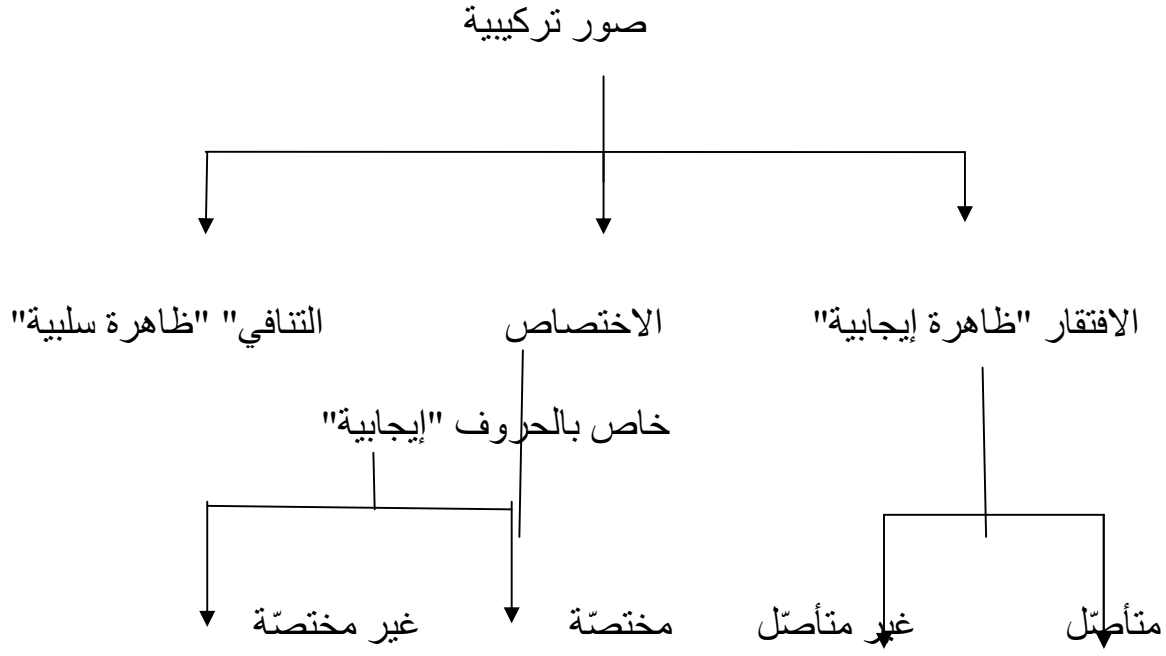

[1] تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص90.

[2] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص221.

[3] تمام حسان، المرجع السابق، ص88.

قسّم التضام إلى صورتين إيجابية وأخرى سلبية، أما الإيجابية فتتمثّل في الافتقار والاختصاص، والسلبية في التنافي أو التنافر"[1] ثم أشار إلى أنّ الافتقار والاختصاص والتنافي من ظواهر استعمال العناصر التركيبية.

يعود مفهوم التضام في مدلولاته الاصطلاحية إلى تمام حسان، فقد بعث هذا المصطلح من مصنفات اللغويين والبلاغيين، ليجعله قرينة من قرائن التعليق اللفظية في النحو العربي، إذ لم يكن مصطلح التضام معدودا في مصطلحات النحو العربي أو البلاغة العربية لولا جهود تمام حسان، فهو من عرّف به، وحدّه بحدود ووظائف ومجالات، وإليه يرجع تفصيل أنواعه وأقسامه، وكذا بعث الكثير من المسائل النحوية، وخلق الكثير من الاصطلاحات البلاغية وربطها بالدرس اللغوي المعاصر، كالتنظير لقضية القرائن اللفظية والمعنوية والتوارد وتضافر القرائن وغيرها من القضايا التي توفرت عليها جملة من كتبه نحو: البيان، ولغة القرآن والسبع المثاني، وبحوثه عن الدراسات القرآنية، وأثر ذلك في تفسير النص بلاغيا.

المبحث الثاني: التضام بين الدراسات النحوية والنصية.

نروم في هذا المبحث الرجوع بمصطلح التضام إلى تراثنا النحوي حيث عالجنا موقع التضام في بعض الأبواب النحوية، كحضوره في باب الجمل وباب ظن وأخواتها، وباب النعت وباب الحروف وحضوره في كتاب المقتصد الذي رأينا أن يكون نموذجا يجسد هذا الموقع والحضور وتطرقنا إلى التقسيم السباعي للكلم الذي استحدثه تمام حسان، ثم انتقلنا إلى علاقة التضام بلسانيات النص.

1/ التضام في الدراسات النحوية:

لابد من الإشارة إلى أنّ التضام كمصطلح مرة أو كمفهوم مرة أخرى وجد بقوة في التراث العربي القديم وليس وليد المدرسة اللسانية الحديثة، حيث وجد في الدرس اللغوي

[1] تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ج2، ص 89.

والنحوي قديما لكن بمعان مختلفة شيئا ما عن معناها الحديث «اهتم القدماء بعلاقة التضام وإن كانوا لم يصطلحوا على تسميتها فعرفت بمصطلحات عدة منها الضّم، النّظم، الرّصف، والمعاضلة ... كما عرفت عند اللغويين بالتلازم، التركيب، والتضام».[1]

ليس من اليسير أن نربط بين الدراسة النحوية وموضوع التضام ، وأن نرجع بهذا الأخير إلى دراسات النحاة السابقين لأسباب كثيرة كما سبق وأن أشرنا أهمها كثرة المفاهيم وتعدد الرؤى وتداخل الدراسات، وتعدّ قضايا التركيب والدلالة والإعراب من أبرز المجالات التي تقترب من موضوع التضام.

وجد المتقدمون «أنّ تصوّر اللغة أو فلسفتها يحتاج إلى تعديل أساسي، ورأوا أن الاهتمام بموضوع تأليف الكلمات وربطها وتنظيمها يكفل توضيح القيم الكامنة في كثير من الشعر»[2]، ورأوا كذلك أنّ «دراسة الظّرف أو الضّمير أو الأداة بمعزل عن التّركيب أو السياق محاولة مشكوك في قيمتها وأنّه لا يمكن لأيّ تحليل أن يفصلها عنه ... واهتموا بأجزاء العبارة الأدبيّة وما تنطوي عليه من تعريف أو تنكير أو تقديم أو تأخير أو حذف أو فصل ووصل أو تأكيد».[3]

تحدث البلاغيون في كتبهم عن مصطلح يقترب كثيرا من مفهوم التضام بل يكاد يكون هو أطلقوا عليه اسم " الائتلاف في المعنى" وهو أن يشتمل الكلام على معنى معه أمران أحدهما ملائم للآخر، والآخر بخلافه فتقرنه بالملائم، والضرب الثاني: أن يشتمل الكلام على معنيين متلائمين له، فتقرن لاقترانه مزية، كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿118﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿119﴾ (سورة طه)» وهذا ما قاله القزويني والمراغي وغيرهما، وهو كلام يقترب في جوهره من التضام، كما سجلوا بالإضافة إلى ذلك

[1] نادية رمضان النجار، التضام والتعاقب في الفكر النحوي www nadia ramdan.gte.net ، ص77.

[2] سامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ص26.

[3] سامر سلوم، المرجع نفسه، ص26

الكثير من المصطلحات البلاغية التي تقترب من مفهوم التضام كمصطلح "المزاوجة" و "مراعاة النظير" وغيرهما مما حفلت به كتب البلاغة.

ومن اللغويين المحدثين الذين تناولوا الظاهرة محمود فهمي حجازي فقد ترجم مصطلح collocation تحت اسم التضام ويعني «ارتباط أكثر من كلمة في علاقة تركيبية ويكون معناها مفهوما من الجزئيات المكوّنة لها»[1]، ومثّل لذلك بكلمة كرسي التي تستخدم في عدّة تراكيب حول معنيين اثنين، أوّلها يظهر في التراكيب: جلس على الكرسي، صنع كرسيا، .....، أما المعنى الثاني فهو في تراكيب مثل: كرسي الفلسفة، كرسي علم اللغة، كرسي الأستاذية، فالمعنى الأوّل داخل في المجال الدلالي للأثاث، والمعنى الثاني داخل في المجال الدلالي للوظائف.[2]

أولا- موقع التضام في أقسام الكلم: يمكن تمثيل الظاهرة النحوية في عمومها بجزأين كبيرين، جزء تجسده الكلمات والآخر يتمثل في العلاقات، والمشكلة ليست في الوحدات نفسها، وإنما في نظام تصنيفها الذي خالف فيه كثير من اللغويين المعاصرين نحاتنا القدامى خلافا بعيدا[3]، فبعد أن استقر عند النحاة في الموروث العربي أن الكلم ثلاثة أقسام، اسم وفعل وحرف، اتخذت مناهج جديدة لدراسة اللغة، وأصبح ما يعرف بالمنهج الوصفي سائدا في الدراسات الغربية والعربية على حد سواء، وكان نتيجة ذلك أن كثر الخلاف في مسائل نحوية متعددة، لعل أهمها قضية تقسيم الكلم في العربية حيث " قدّم هذا الدرس الوصفي لأقسام الكلم مسلمات متعددة، منها اعتمادها على المنطق والفلسفة، وعدم صلاحيتها للدرس اللغوي الوصفي، وقيامها على ثمانية أقسام على ما انتهت إليه لغويات الحضارة اللاتينية

[1] محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ص157.

[2] محمود فهمي حجازي، المرجع نفسه، ص157.

[3] محمد عبد العزيز عبد الدايم، النظرية اللغوية في التراث العربي، دار السلام، القاهرة، ط 01، 1427هـ/2006م، ص211

وساد القرون الوسطى، بعد أن كانت قد وصلت إلى عشرة أقسام على يد اليونانيين، وهذا ما انعكس في درسنا العربي المعاصر، وذلك في كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها)[1].

إنّ معرفة نوع الكلمة يقود بالبحث إلى معرفة المعاني التي تتضمنها الجملة في ضوء معرفة القرائن الأخرى، وبالتالي فمسألة التفريق بين أقسام الكلم تعد أساسا في تعيين المعنى المقصود في الجملة، فلابد من استحضار دراسات أرسطو وطريقة تناوله للكلم «أرسطو لم يدرس اللغة للغة، بل درس اللغة للفكر، ولذلك فدراسته لبعض الظواهر اللغوية لم تكن إطلاقا ذات نية ولا علاقة بالبحوث اللغوية بل كانت جزء من المنطق والفلسفة»[2] حديثه عن الرابطة لم يضف شيئا إلى ما كان يسميه النحاة العرب الحرف لدى البصريين أو الأداة لدى الكوفيين «ترتبط عنده بالقضية وكل قضية تتكون من اسم وفعل ورابط»[3]، أما الدرس العربي فقد ظهرت فيه تقسيمات أخرى لتأتي محاولة إبراهيم أنيس «أول محاولة تنقد أسس النحو العربي ومنهجه نقدا ينزع إلى الشمول بهدف أن يغير منهج البحث اللغوي»[4]، حيث ضم صوته إلى أصوات بعض المحدثين الذين نادوا بضم علم المعاني إلى علم النحو، ومن هؤلاء المحدثين مهدي المخزومي أحد تلامذته وهو أول من طبق أفكار أستاذه وتوسع فيها، يقول « دارسون آخرون سموا بعلم المعاني، وهم النحاة الحقيقيون فيما أزعم، وهم الذين دفعوا بالدرس النحوي إلى الأمام وقدّما للدارسين فيه نتائج طيبة خليقة بأن يستفاد منها»[5]، أما فيما يخص تقسيم الكلم فإن مناهج الدراسة اختلفت حسب منهج كل واحد من المحدثين في تحديد المعايير المستعملة في التفريق بين الكلمات، ومن هؤلاء المحدثين:

---

[1] محمد عبد العزيز عبد الدايم، المرجع نفسه، ص112

[2] مرتاض عبد الجليل، في رحاب اللغة العربية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط01، 2004م، ص16

[3] مرتاض عبد الجليل، المرجع نفسه، ص16

[4] عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية، بنية الجملة العربية، التراكيب النحوية والتداولية، علم النحو وعلم المعاني، دار الحامد للنشر، عمان، ط01، 1424هـ/2004م، ص183.

[5] ينظر: المخزومي مهدي، النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي بيروت، ط02،1406هـ/1986م.

1. **إبراهيم أنيس:** حيث قسّم الكلم إلى أربعة أقسام يقول «وفق المحدثون إلى تقسيم رباعي أحسب أنه أدق من تقسيم النحاة الأقدمين، وقد بنوه على تلك الأسس الثلاثة التي أشرنا إليها، الاسم، الضمير، الفعل، الأداة»[1]، من هذه الأسس يقول من رأينا أنه يجب أن تتخذ في تحديد أجزاء الكلام وتعريفها أسسا ثلاثة: المعنى، الصيغة، وظيفة اللفظ في الكلام.

2. محمد صلاح الدين مصطفى: قسّم الكلم إلى ستة أقسام، الاسم، الفعل، الوصف، الظرف، الضمير، الأداة[2].

3. تمام حسان: وكانت بدايته الأولى مع كتاب "مناهج البحث في اللغة" حيث يقول «إذا قسمنا الكلمات العربية على هذه الأسس الخمسة المذكورة، فسنجد أنّ هذه الأقسام التي تنتج من ذلك أربعة: الاسم، الفعل، الضمير، الأداة »[3]، إلا أنه أعاد النظر في هذا التقسيم بعد مدة، وخرج بتقسيم آخر «جعل فيه للكلم سبعة أقسام: الاسم، الصفة، الفعل، الضمير، الخالفة، الظرف، الأداة»[4].

إنّ الملاحظ في تقسيم تمام حسان أنه اعتمد على معايير معنوية وأخرى شكلية.

4. فاضل مصطفى الساقي: وتعدّ آراؤه امتدادا لآراء أستاذه تمام حسان، حيث وضع كتابا قسم فيه الكلم من حيث الشكل والوظيفة[5].

ونتيجة لهذا الاعتماد أصبحت أقسام الكلم سبعة بدلا من ثلاثة، ذلك أنّ نحاتنا القدامى لم يقدموا تقسيما وحيدا للكلمة، بل قدموا اثنين جاء كل واحد منهما بحسب الغرض منه، قدّموا تصنيفا عاما يضمّ أقسام الكلمة الرئيسة من أقسام فرعية كأقسام الاسم الفرعية التي تتمثل في الضمير والصفة والظرف، وأضافوا على ذلك فذكروا الأقسام الفرعية لكل قسم

---

[1] ينظر: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلومصرية، ط07، 1985م، ص292-294

[2] الصادق خليفة راشد، دور الحرف في أداء معنى الجملة، جامعة قار يونس، بنغازي، د.ط، 1996م، ص15

[3] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص236-237

[4] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص90

[5] ينظر: أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، تقديم تمام حسان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1398هـ/1977م.

فرعي، كحديثهم عن المشتق العامل والمشتق غير العامل وحديثهم عن أقسام الصفة (المشتق العامل التي تتمثل في اسم الفاعل، وصيغة المبالغة، الصفة المشبهة، وكأقسام الضمير)، ليس ثمة قسم عرضه هذا التقسيم الجديد لم يدركه النحاة، فقد كتب مصطفى الساقي كتابه مراعيا فيه الجانب الشكلي والوظيفي لتقسيم الكلام فقد فاته أنّ العرب قد «سلكوا منهجا تتآزر في الشكلية والوظيفية والدلالية»[1]، وحُقّ للزجاجي أن يقول «ليس ثمّة قسم رابع»[2]، لأن تقسيم نحاتنا القدامى يظهر أنه الأقرب لوظيفة اللغة.

ومهما تعددت وجهات الرأي حول تقسيم الكلم، فإن هذا البحث منوط بأن يتناول أقسام الكلم في ضوء قضية التضام، وليس البحث في دقة هذا التقسيم أو ذاك إذ الجدل فيه كثير والكتابات متضاربة قد يجمعها مفهوم واحد[3] أوضحه ابن السراج بقوله «الاسم ما دلّ على معنى مفرد... والفعل ما دلّ على معنى ذا زمان... أما الحرف فلم يزيدوا على ما حدّه به سيبويه شيئا مفيدا سوى اختلافهم في دلالته على المعنى إذ عدوا ذلك ناقصا، لأنّ الفعل يدلّ على معنى والاسم كذلك لذا زادوا في غيره لأنّ الاسم والفعل جاء المعنى في أنفسهما، والحرف ليس كذلك لأنه لا معنى له إلا باسم أو فعل ينضمّ إليه»[4].

فيما يخص الفرق بين التقسيمين في النظرة الحديثة كشف عن عموم في مفهوم الاسم لدى النحاة يشمل أقساما أخرى كالصفات والضمائر والظروف، وأن الفعل اتسع فشمل بعض الخوالف والنواسخ، وأنّ مفهوم الأداة في الفهم الحديث يشمل الحروف والنواسخ كما فهمها النحاة على الرغم من أنّ الحرف والأداة عند نحاتنا القدامى يتجه إلى معنى واحد يفيد في غيره فكلاهما «يحدّد بأنه ما دلّ على معنى في غيره بتوظيفه داخل التركيب اللغوي واقترانه

---

[1] مرتاض عبد الجليل، في رحاب اللغة العربية، ص17.

[2] الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص42.

[3] الخالدي كريم حسين ناصح، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، ص179.

[4] ابن السراج أبو بكر، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ/ 1985م، ج01، ص36 .

بعناصر الجملة»[1]، فالقضية قضية مصطلح فالبصريون يستعملون الحرف في حين أنّ الكوفيين يستعملون الأداة للتعبير عن بعض الأبواب النحوية كأدوات الاستفهام والشرط مثلا.

ثانيا- جهود عبد القاهر الجرجاني في التضام:

يعتبر عبد القاهر الجرجاني من أوائل المتحدّثين عن التضام وأشار إليه عند حديثه عن نظريته المعروفة بالنظم حيث جعله من الأسس العامة لهذه النظرية، فهو يرى أنّ الكلمة لا تكون ذات فائدة إلا بضم كلمة إلى كلمة، ورصّ لفظة بجوار لفظة، حيث يقول «وهل يقع في وهم وإن جهد، أن تتفاضل الكلمتان المفردتان، من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم، وهل تجد أحدا يقول: (هذه اللفظة فصيحة)، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملائمة معناها لمعنى جارتها، وفضل مؤانستها لأخواتها»[2].

تحدّث عن الفصاحة في قوله «إنّ الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات، وإنما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة، فقولهم بالضم لا يصح أن يراد به النطق باللفظة بعد اللفظة من غير اتصال يكون بين معنييهما، لأنه لو جاز أن يكون لمجرد ضم اللفظ إلى اللفظ تأثير في الفصاحة لكان ينبغي إذا قيل " ضحك خرج " أن يحدث من ضم (خرج) إلى (ضحك) فصاحة، وإذا بطل ذلك لم يبق إلا أن يكون المعنى في ضم الكلمة إلى الكلمة توحي معنى من معاني النحو فيما بينهما، وقولهم على طريقة مخصوصة يوجب ذلك أيضا، وذلك أنه لا يكون للطريقة – إذا أردت مجرد اللفظ – وهذا سبيل كل من قالوه إذا أنت تأملته تراه في الجميع قد دفعوا إلى جعل المزية في معاني النحو وأحكامه من حيث لم يشعروا ذلك لأنه أمر ضروري لا يمكن الخروج عنه»[3].

---

[1] ديدوح عمر، الأدوات العاملة في التراكيب العربية، دراسة لسانية صورية، مخطوط رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2003م/2004م، ص111 .

[2] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص 44-45.

[3] الرماني وآخرون، ذخائر العرب، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط 3، د.ت، ص 202 وما بعدها.

ومنه التضام هو أن تستدعي الكلمة كلمة أخرى في السياق أو الاستعمال أو هو إيراد كلمتين أو أكثر لخلق معنى أعم من معنى أيها كضم حرف النداء أو حرف الجر إلى أمم أو ضم الصلة إلى الموصول أو ضم فعلي الشرط إلى أداة الشرط.

تجمع كل هذه المعاني في عبارة واحدة ترتبط بالجمع والاشتمال والضم والاحتواء والوصل، حيث نجد عبد القاهر الجرجاني يلحّ في دراساته على معاني النحو ويهتم بالتركيب النحوي، حين راح يقارب بين قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي **وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا** وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿4﴾ (سورة مريم)، وبين اشتعل شيب الرّأس أو اشتعل الشّيب في الرّأس، ورأى أنّ نشاط الاستعارة[1] الجمالي يجب أن يتذوق في ضوء التركيب النحوي المستخدم في تركيبها، ويلحّ على أنّ الاهتمام بمعاني النحو يكفل توضيح فاعلية اللّغة والشعر فضلا عن فاعلية الاستعارة[2].

إنّ دراسة النحو وموضوع التضام ذات خاصية مشتركة بينهما لأنّ دراسة النحو تفرض علينا ملاحظة العلاقات المتشابكة في الجمل بعضها ببعض[3]، الأمر الذي ينهض به موضوع التضام، إذ إنّ التركيب يحمل في تعريفه مفهوم الضّم وهذا ما تطرقت إليه في المبحث الأول من الفصل الأوّل. فبناء اللغة وتركيبها وتضام الكلمات يشكّل ما يسمّى النظام وهذا النظام منطلقه البنية المتشكّلة كذلك من تضام الحروف والأصوات والكلمات فإذا تعدّدت وصارت بنى يتماسك بعضها إلى بعض تماسكا كليا، ثم ارتصفت أفقيا وعموديا في تجاور حينا وتراكب حينا آخر تأسست منضدة متكاثفة لها طواعية الإذعان إلى قوانين علم التصنيف المعرفي، وعندئذ تتحول

[1] الجرجاني عبد القاهر، المرجع السابق، تحقيق: محمد علي زينو، ص90

[2] تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ص282

[3] ينظر، تمام حسان، اللغة العربية بين المعيارية والوصفية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، د.ط،1958م، ص158

البنى المتراصّة إلى نظام[1]، ومن جهة أخرى فإنّ «تجميع عناصر الكلمات المفردة لابد أن يتسم بالتآلف من حيث الصوت، ومن حيث الدلالة ومن حيث التركيب ليأخذ صورة النظم المتكامل»[2].

إذا كان التركيب على قدر كبير من الأهمية وذا صلة بالتضام فإنّ الأمر نفسه حين يتعلّق موضوع التضام بموضوع الدلالة، إذ ليس من المعقول أن تضم الكلمات والحروف كيفما جاءت وعلى أي جهة أردنا، وإنما على أصول ثابتة وعلى قواعد تمليها عليك اللغة والنظام مراعيا في ذلك جانب الدلالة والمعنى والوضوح. إنّ العلاقات داخل نظام اللغة لها أهميتها الخاصة، فمثلا يرى البنيويون أن هناك نوعين من العلاقات يمثلها محورهم الشهير، المحور الرأسي أو محور التقليب، والمحور الأفقي أي محور التركيب، وهذا ما يوضحه المخطط التالي:[3]

[1] المسدي عبد السلام، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، 1986م، ص149.

[2] محمد عبد المطلب، النحو بين عبد القاهر وتشومسكي، مجلة فصول، مجلة النقد العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج 05، العدد01، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، 1984م، ص30

[3] نادية رمضان النجار، التضام والتعاقب في الفكر النحوي، مجلة علوم اللغة، مجلد 3، عدد 4، دار غريب، القاهرة، 2000م، ص102.

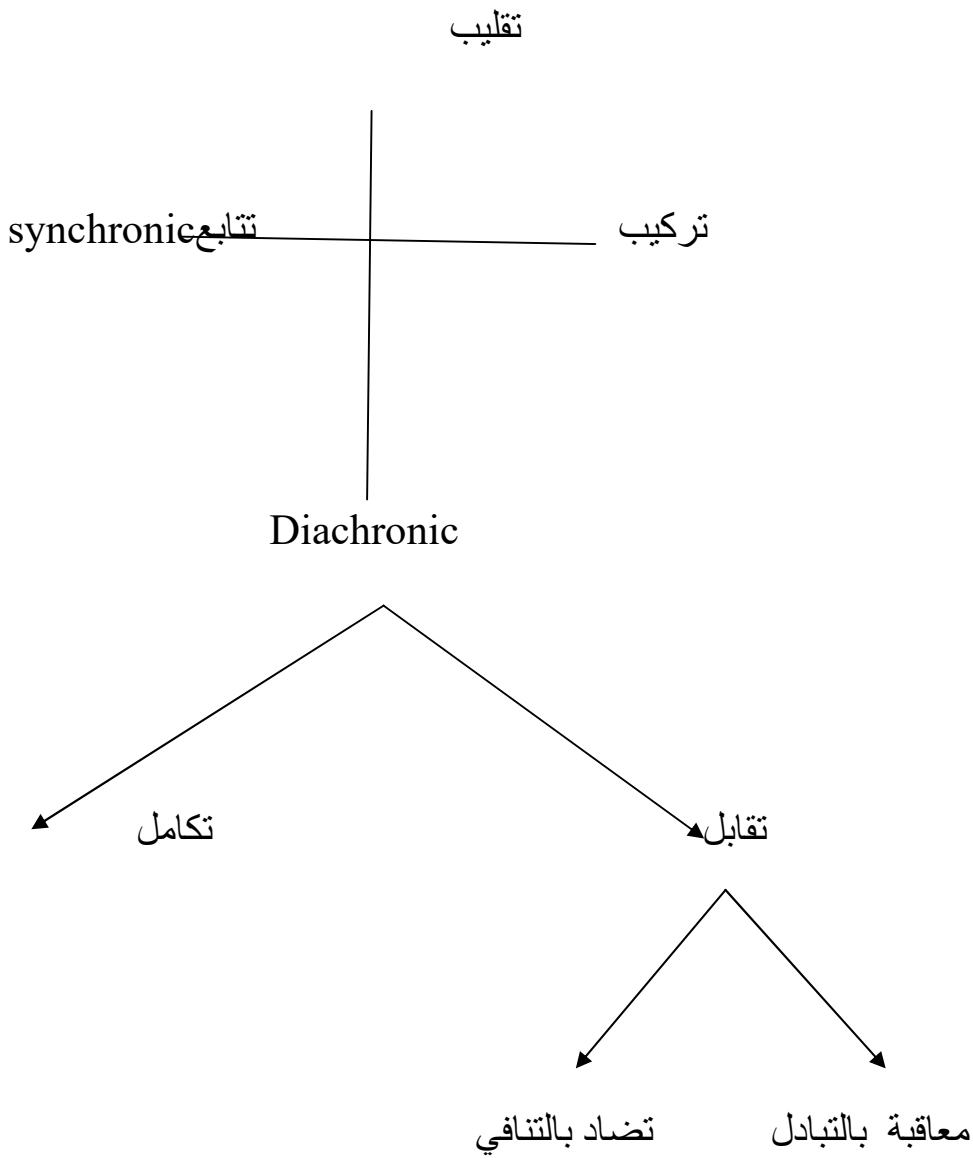

المقصود بهما أنّ العلاقات داخل نظام اللغة لها أهميتها الخاصة، فالعلاقة التركيبية تحكم الترابط بين مفردات الجملة، وعناصر النص، والتقليبية تكشف عن التنوع داخل المصفوفة[1].

[1] تمام حسان، البيان في روائع القرآن ،ص84.

2/ التضام في الدراسات اللسانية النصية:

تجاوز الدارسون منذ خمسينات القرن المنصرم حدود الجملة إلى مستوى أكبر من الجملة هو النص، ليصبح النص في إطار ما يعرف بعلم اللغة النصي أو لسانيات النص، هذا العلم الذي يبحث في تماسك النص من الحرف إلى عمل ذي متواليات متتابعة من الجمل، فكان همّ لسانيات النص البحث في الانسجام النصي والارتباط الذي يحدث بين النصوص، وقد عرّف هذا العلم جملة من العلماء في أكثر من مناسبة، وسنسوق بعضا من هذه التعريفات لنقرّب المفهوم ونوضّحه.

إنّ اللسانيات النصية حسب تعريف روك هي «ذلك العلم الذي يهتم ببنية النصوص وكيفية جريانها في الاستعمال، وتحاول تأسيس الدراسة اللسانية على قاعدة أخرى غير الجملة، هي النص»[1] والنص بهذا المفهوم يشمل كل أنواع النصوص المتداولة في المجتمع المكتوبة وغير المكتوبة، الإبداعية وغير الإبداعية، فهي علم يولي اهتمامه بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى انطلاقا من أسس ومعايير.

ووظيفة هذا العلم أن يكون قادرا على وصف وتفسير الملامح المشتركة والمتباينة بين مجموعة من النصوص وأنماط مختلفة منها[2]، وهو «العلم الذي اقترح من خلاله مقترباته النظرية والإجرائية الاهتمام بالظواهر المرتبطة بالانسجام النصي»[3]، وقد يصطلح على هذا العلم النصية أو نحو النص، لأنها تعنى أولا وأخيرا بدراسة مميزات النص من حيث حده وتماسكه، ومحتواه الإبلاغي أو التواصلي[4]، مادامت قائمة على عنصري التواصل والتماسك النصي ويقصد بها «التخصص الذي موضوعه النصية (textualité) أي خصائص

[1] الإبراهيمي خولة طالب، مبادئ اللسانيات، الجزائر، دار القصبة للنشر، د.ط، 2000م، ص167.

[2] ينظر:عبد المنعم عبد الجليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص337

[3] مسيس رياض، لسانيات النص، حول بعض المفاهيم، المرجعيات، والأبعا، مجلة المبرَز، عدد خاص بالملتقى الوطني حول دور اللسانيات في العلوم الإنسانية، الجزائر، 2002، ص161

[4] مداس أحمد، لسانيات النص، نحو منهج تحليل الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1،2007م، ص247 .

الاتساق والانسجام التي تجعل النص عبارة عن تسلسل الجمل، وإنّ تحديد حقل اللسانيات النصية مثال جدال وسجال»[1]، ولعل اختلاف مفهومه عند الباحثين وصعوبة تحديده راجع إلى تنوّع مفهومهم للنّص وتعيين معايير النّصيّة ووفرة المصطلح وتنوّع الترجمة.

لقد شغل النّص اهتمام الكثير من النقاد والباحثين، وأخذ تعريفات متعددة في حقل اللسانيات، ولعل أهمها تعريف روبرت ألان دي بوجراند (DE BEAGRAND) و وولفجانج أولرخ دريسلار (Wolfrang Ulirch DRESLER) من حيث إنّه «حدث تواصلي(communicative occurrence) يلزم لكونه نصا أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير، وهي السبك (cohésion) والحبك (cihérence) والقصد (intentionality) والقبول (acceptability) والإعلام (informativity)، والمقامية (situationality)، والتناص (intertextuality) »[2]، والنص من حيث هو ملفوظ « يشبه جبل الجليد العائم يبرز للعيان جزء يسير منه هو شكله الصوتي، وهو ما يمثل الجانب الفيزيائي فيه الذي ينتسب به إلى صاحبه ويستقلّ به عن سائر النصوص»[3].

يذكر هاليدي (HALLIDAY) ورقية حسن (RUQAIYA HASSAN) أن كلمة نص تستعمل في اللسانيات لتشير إلى مقطع منطوق أو مكتوب، يشكّل كلا متّحدا[4]، وأنّ التضام عندهما مصطلح تغطية للاتصال الذي ينتج عن توارد العناصر المعجمية التي يرتبط أحدها بالآخر، مثل ما تقدمه هذه الأزواج [5]: الولد/البنت – الطبيب /سيارة الإسعاف –

---

[1] دومينيك مانغونو، ترجمة: محمد يحياتن، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب الجزائر، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 1428هـ/2008م، ص129.

[2] مصلوح سعد عبد العزيز، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة، ص225.

[3] الأزهر الزناد، نسيج النص "بحث فيما يكون به الملفوظ نصا"، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993، ص169 .

[4] M.A.K.HALLIDAY,RUQAIYA HASSAN : cohesion in english, longman Group limitied ,1976 , p01.

[5] ينظر: محمد الخطابي، لسانيات النص"مدخل لانسجام الخطاب"، ص237 .

الطائرة / المطار – الرجل/الشارب –القوس/الرمح، وقد مرّ معنا كذلك مفهوم التوارد المعجمي في الدرس النحوي سابقا، وهو المفهوم نفسه الذي يعتمده الكاتبان. وعليه فإنّ كلمة "النص" في اللغات الأوربية تعني «نسيجا من العلاقات اللغوية المركبة التي تتجاوز الجملة بالمعنى النحوي للإفادة ... وهو سلسلة من العلامات المنتظمة في نسق من العلامات تنتج معنى كليا يحمل رسالة»[1]، فالنص بناء على هذه التعريفات منتوج مترابط متماسك تحكمه علاقات نحوية وتراكيب دلالية، ووسائل لغوية، معتمد على معيارين رئيسين هما السبك والحبك [2].

السبك أو الربط أو التضام هو « معيار يهتم بظاهرة النص ودراسة الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرار اللفظي أما الحبك فهو المعيار الثاني الذي يكمل الربط اللفظي الذي أحدثه السبك بين عناصر النص فيهدف إلى الربط المعنوي بينهما »[3] بغض النظر عن بقية المعايير، لأنّ هذين المعيارين هما المختصان بصلب النص، وقلنا سابقا أنه بذلت محاولات كثيرة بغية ترجمة المصطلحين من أصلهما اللغوي. فمنهم من قال بالاتساق والانسجام[4]، أو الاتصال والارتباط[5] ومنهم من قال بالسبك والحبك[6]، أو التماسك الدلالي بدل الحبك[7]، ومنهم من قال بالتماسك والانسجام[8]، ومنهم من قال بالسبك والالتحام[9]، ومنهم من

---

[1] نصر حامد أبو زيد، النص والسلطة والحقيقة، المغرب، لبنان، المركز الثقافي العربي، ط5، 2006م، ص150- 160 .

[2] الشاعر صالح عبد العظيم، النحو وبناء الشعر في ضوء معايير النصية، ص47.

[3] عفيفي أحمد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، دار العلوم، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط1، 2002م، ص90 .

[4] ينظر: محمد الخطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص5،وص96.

[5] ينظر: دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، ص 18إلى جانب أنه قد ترجم كتاب هاليدي ورقية حسن السابق ذكره إلى الاتساق في الانجليزية.

[6] ينظر: سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص25.

[7] ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص36.

[8] ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، ص 15.

[9] ينظر: آلان دي بوجراند، ترجمة: تمام حسان، النص والخطاب والإجراء، ص08 وص103.

قال بالربط النحوي والتماسك الدلالي[1] متفقين بأنهما يشكّلان موضوع اللسانيات النصية ومادتها.

يعتبر التضام من أشهر مبادئ النصية، ويقصد به عندهم الربط أو التماسك أو السبك أو الترابط النصي، وعنه يقولون: «سوف نسمي معيار النصية الأول باسم التضام، وموضوعه ما يقوم بين مكونات ظاهر النص، أو الكلمات الفعلية التي نسمعها أو نبصرها، من ترابط متبادل ضمن تتال لغوي معين، وتعتمد مكونات ظاهر النص بعضها على بعض وفقا بالأعراف والأشكال القائمة في علم القواعد، أي أنّ التّضام يعتمد على التبعيات القواعدية»[2].

فالنّصيون المحدثون يرون أن مصطلح التضام يعني «استلزام عنصرين لغويين أو أكثر استلزاما ضروريا، أو هو الترابط الأفقي الطبيعي ما بين الكلمات، أو رفقة الكلمة أو جيرتها بكلمات أخرى في السياق الطبيعي نحو: (أهلا وسهلا، ولم ينبس ببنت شفه) وقد تطور هذا المفهوم فأصبح يعني دخول الكلمة في سياق مقبول مع الكلمات الأخرى» نحو: «الفعل أطلق يقال أطلق لحيته، أطلق ساقيه للريح، أطلق الحبل على الغارب... ولكن لكل منها معنى سياقي يخالف غيره».[3]

شغلت ظاهرة التماسك النصي العلماء على مر العصور على اختلاف تخصصاتهم واتجاهاتهم، حيث اعتنى بها المفسرون القدامى وجعلوها وجها من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، واعتبرها علماء النص المحدثون من أهم الأسس الفنية في نقد النصوص باعتبارها خاصية يمتاز بها النص اللغوي فهي تمثل العمود الأساسي في علم اللغة النصي بل هي أساس التحليل النصي، ويعد الاتساق مظهرا من مظاهر التماسك النصي وهو موضوع

---

[1] كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنصوص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط01، 1425هـ/2005م، ص28 وص189 .

[2] إلهام أبو غزالة وعلي خليل، مدخل إلى علم لغة النص، ص25.

[3] الخطابي محمد، لسانيات النص، ص25.

أساسي في اللسانيات الحديثة، التي انتقلت من دراسة الجملة كأهم وأكبر وحدة لغوية قابلة للتحليل، إلى دراسة النص باعتباره وحدة كلية متلاحمة لا يمكن الفصل بين أجزائها حيث يتوفر على كل خصائص الاتساق والانسجام، به نفكر نتكلم ونتواصل لذلك أصبح ضرورة ملحّة تقوم عليها الدراسات اللسانية الحديثة والأبحاث المعاصرة، فهو بنية منتظمة متّسقة ومنسجمة تحتكم إلى علاقات معينة بين متتاليتها الجملية في أداء معناها، فالاتّساق آلية ديناميكية وفق ما تناولته الدراسات اللغوية القديمة والأبحاث اللسانية المعاصرة.

التزم علماء التراث وتشددوا في التمسك بأحكام النحو وعدم مخالفتها، ويرجع ذلك إلى أن مخالفة تلك الأحكام –إن لم تكن لأغراض بلاغية – يؤدي بالضرورة إلى التعمية في المعنى وعدم فهمه ووضوحه، ونتيجة الجهود التي قام بها النقاد والبلاغيون تمخضت نظرية النظم على يد عبد القاهر الجرجاني، حيث عدّت تلك النظرية أساس الدرس النحوي وجعلته يقف موازيا مع أحدث النظريات اللغوية في الغرب، وتفوق معظمها في مجال فهم التركيب اللغوي[1].

قدّم عبد القاهر الجرجاني تحليلات مبهرة من خلال الكشف عن العلاقات الداخلية في الخطاب الأدبي حتى أنّه من الممكن أن ندعي أنّه قدم نظرية مكتملة بكل أسسها الفكرية وإجراءاتها التطبيقية دون أن نشعر لحظة بانفصاله عن النص [2].

من المعروف أنّ التضام أو الترابط أو التماسك أو السبك، هو معيار النصية الأوّل عند اللغويين قديما وحديثا، ولذا وجه اللغويون اهتماما خاصا به، خاصة علماء لغة النص فقد أولوه قدرا كبيرا من العناية، ولما كان النص القرآني كلام الله عز وجل هو النموذج المثالي لكل نص ولما كان هو المعين الذي لا ينضب والذي يجد فيه البحث اللغوي مجالا رائعا

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص18 .

[2] المخزومي مهدي، في النحو العربي نقد وتوجيه ، منشورات المكتبة المصرية، لبنان، ط1، 1964،ص31.

ومعجزات لغوية تفوق كل القدرات والمعجزات في كل نصوصه وآياته الكريمة طويلة كانت أم قصيرة.

لمّا كان النظام النحوي هو النظام التركيبي الوحيد في اللغة، وهو المسؤول عن بناء الجملة بحيث تؤدي معنى واحدا وكان ذلك النظام هو صاحب السلطان على سائر الأنظمة في اللغة، ومن ثمّة فإليه يرجع دور الرابط والارتباط بين مكونات الجملة، وإلا تصدع بناء الجملة أو انشطر، وانفصم المعنى الدلالي الواحد أو تعدد، والذي يجب أن تتوفر في الجملة قرائن لفظية، ومعنوية، تعمل على اتساق العلاقات السياقية بين المفردات ويعد (الرابط) من أهم تلك القرائن لكونه يعتمد على ضمير أو أداة لفظية تربط بين عناصر التركيب.

يتميّز الرابط عن سائر القرائن اللفظية بأنّه ينشىء علاقات نحوية سياقية بين مكونات الجملة، أو بين الجمل وليس باستطاعة القرائن اللفظية الأخرى القيام بذلك، وإنما هي وسيلة معينة على إبراز العلاقات النحوية السياقية[1]. وقد ذكر ابن السراج أنّ الحرف لا يخلو من ثمانية مواضع، إما أن يدخل على الاسم وحده (لام التعريف) أو الفعل وحده مثل (سوف، والسين)، أو ليربط اسما باسم أو فعل باسم (مررت بزيد) أو على كلام تام نحو: (أعمرو أخوك، وما قام زيد)، أو ليربط جملة بجملة نحو: (إن يقم زيد يقعد عمرو) أو يكون زائدا نحو قوله تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿159﴾ (سورة آل عمران).

المبحث الثالث: التضام والتركيب القرآني.

ممّا لاشك فيه أنّ التعبير القرآني ورد على أعلى درجات الفصاحة والبيان، وأنّه لا يستطيع الإنس والجن أن يأتوا بمثله لا في نظمه ولا أسلوبه، وعندما أراد النحاة وضع القواعد والأحكام النحوية اعتبروا القرآن الكريم المصدر الأوّل لاستقرائها باعتبار أن لغة

[1] مصطفى حميدة، نظام الربط والارتباط في تركيب الجملة العربية، ص158 .

القرآن الكريم هي اللغة الفصحى قال الله تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿2﴾ (سورة يوسف)، وقال عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿192﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿193﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿194﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿195﴾ (سورة الشعراء)، قال الله تعالى ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿4﴾ (سورة فصلت).

1 - علاقة التضام بالإعجاز التركيبي في القرآن:

ثمّة ارتباط وثيق بين القرآن واللغة العربية فقد نزل القرآن الكريم بنفس الحرف والكلم والصوت فكان الأكثر بيانا وفصاحة مما أعجز قوم العرب جميعا وهم أهل الفصاحة والبيان في الإتيان بمثل كلمه في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿23﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿24﴾ (سورة البقرة) فكانت لغة القرآن اللغة المعجزة للغة العرب مع أنّ اللغتين ناطقتين بالعربية.

وقف القرآن الكريم أمام الفصحاء والبلغاء بمعجزة وحجّة، حيث أنّ سر إعجازه يكمن في نظمه وفصاحته، فهو النموذج الخالد للغة العربية بكل خصائصها « فعلى الرغم من طول مدة تنزيله إلا أنّه بقي مترابطا محكم البناء والتركيب، لا اختلاف فيه أو تفاوت في أسلوبه قوة وضعفا من بدايته إلى نهايته»[1].

أعجز القرآن الكريم العرب ببلاغته، وأعجز بناحيته العلمية في كل مكان وزمان حيث أنبأ عن حقائق علمية كانت مجهولة عند البشر كالزوجية في كل شيء وسَبْح الكواكب في الفضاء وسير الشمس إلى مستقر مجهول معيّن عند الله تعالى لها، وغيرها من أسرار العمران والاجتماع، وما تصلح عليه حياة الإنسان مما تتوالى على تصديقه تجارب العلماء

[1] مصطفة الدباغ، وجوه من الإعجاز القرآني، مكتبة المنار الزرقاء، الأردن، ط1، 1986م، ص27

إلى اليوم وإلى ما بعد اليوم[1]، فكتاب اشتمل على كل هذه الأسرار لا يمكن أن يأتي به مخلوق.

لطالما كان القرآن الكريم المحور الذي دارت حوله العلوم العربية لمعرفة الإعجاز اللغوي، فقد وقفت هذه العلوم على عنايته وخدمته لإبراز جماليته وإعجازه وإبراز تماسكه النصي من خلال الفصل والوصل والحذف... والتضام، فعلاقة التضام منوطة بتسلسل الكلام، وترابط أجزائه، واستمرار فصوله ووحداته، فتضام الكلمات هو الذي ينهض بالتركيب، ويسمو به إلى حدّ النظم والإعجاز، ويتيح للأسلوب خاصية التأليف والرصف، ويشيع فيه الحيوية والحركة في نسيج لغوي محكم.

وعند حديثه عن قصص القرآن وأخباره «ثم هو في سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض، والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها»[2] فإذا كان الفصحاء يعجزون عن الكلام أو الإتيان بمثله ويجبنوا أثناء عرض القصص والأخبار وسرد بعضها إلى بعض فإنّ القرآن لم يتّصف بما يوصفون به البتّة، حيث نرى حسن ارتباط بعضه ببعض وضمّ بعض كلمه إلى بعض، وهذا هو حال القرآن وديدنه في كل تركيب منه.

إنّ روابط الألفاظ والمعاني من الحروف والصّيغ، ثم طريقة النسق والسرد في الجملة ووجه الحذف والإيجاز في القرآن «على أتمّه وليس فيه اضطراب أو التواء، ولا يجوز فيه عذر ولا تسويغ وهو منه بحيث يدعو بعضه ويريد بعضه بعضا، مما ينفي التصنع والتكلف والمحاولة»[3]وهذا الأمر ليس بعيدا عن مفهوم قرينة التضام عند تمام حسان،

---

[1] ينظر: ابن باديس، التفسير الكبير، ج2، ص20.

[2] محمد الخضري، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، مؤسسة الكتب الثقافية، د.ط، 1900، ص272.

[3] الرافعي مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة العربية، مؤسسة المختار، ط01،1423هـ/2003م، ص203.

فكلاهما استدعاء كلمة لأخرى استلزاما وتواردا، تفصح عنه كلمتا " يدعو ويريد " فمن الأولى الاستدعاء ومن الأخرى التوارد ، وزاد الرافعي قوله "مما ينفي عنه التصنع والتكلف والمحاولة " فلم يدع مجالا للشك في شيء، وأنّ القرآن انفرد نظمه عن كلام العرب بروح التركيب إذ تراه ينظر إلى نظم الكلمة وتأليفها، ثمّ إلى تأليف هذا النظم، ومن هنا يتعلّق بعضه على بعض، وخرج في معنى تلك الروح صفة واحدة هي صفة إعجازه في جملة التركيب[1].

سبق وأن أشرنا إلى علاقة التركيب اللغوي بمعاني التضام في جانبها النحوي أكيد وها هي تلتقي مع النظم والتأليف في الاحتمالات نفسها حتى يصعب الفصل بينها وتمييز بعضها عن بعض، وأنّ جهات التضام في القواعد النحوية بين الحروف والكلمات والجمل لتتكرّر في سرّ إعجاز القرآن بالنظم بدءا من الحروف وأصواتها إلى الكلمة وحروفها إلى الجمل وكلماتها ، ممّا أعجز القوم أن يأتوا بمثل هذا النظم والتأليف وأنّ الإنسان « يطمع أن يخرج له ديوان كامل التقسيم والترتيب، جيّد التنسيق، مترابط متماسك في جمله وتفصيله كلمة وحرفا، فتلك أمنية لا يظفر المرء منها إلا بعكس ما تمنّى»[2].

2- أثر التضام في اتساق التركيب القرآني:

هناك صلات قائمة بين النص القرآني في جانبيه اللفظي والمعنوي وما يؤديه من أغراض، أي ما يربط نظام اللغة في تراكيبها وما تؤديه من معاني وأغراض تتعلق بمقصدية النص وفهم المتلقي، حيث يتأثّر هذا الأخير بطبيعة سبك النص وطريقة صوغ الكلام وترديده، فيراعى له الحالات العامة لتلقّيه المثالي، الذي يقوّم الفهم والاستنباط، فبالتّكرار يشدّ ذهنه ويتذكّر وبالتضاد يُبنى فهمه ويثبّت وبالتضام يورد ويقرّر، هذا الجانب من النظام التركيبي للغة يدعى في الدراسات النصية بالربط المعجمي، يعمل على تحقيق ذلك وهو ما ندعوه "بالاتّساق".

---

[1] الرافعي مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة العربية، ص191.

[2] دراز محمد عبد الله، النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، دار القلم، الكويت، د.ط، 1957م، ص153.

يعمل نحو النّص للكشف عن ظاهرة التضام الواقعة بين الجمل والفقرات في النّصوص، من خلال توظيفها للكثير من العلاقات التي تربط بين المفاهيم بمحاولة توسيع نطاقها داخل النص، ذلك إذا علمنا « أنّ المرء يملك مجموعة من المفاهيم في صورة شبكة من العلاقات الدلالية تختلف بالطبع في كمية المخزون وكيفيته نتيجة الفروق الفردية»[1]، إلا أنّ لهذه العلاقات الدلالية أهميّة كبرى سواء عند إنتاج النص أو تلقّيه.

وقد كان المعيار الثاني من المعايير النصية عند "ديبوجراند ودريسلر" هو التضام فهو معيار يختصّ بالاستمرارية المتحقّقة في عالم النص textual world ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم concepts والعلاقات relations الرابطة بين هذه المفاهيم[2].

والتّضام من الظواهر اللغوية التي تندرج ضمن الظواهر المسؤولة عن إحداث اتساق على مستوى اللّفظ النّصي، والتي يدور حولها البحث في هذا المبحث، فالاتساق بواسطة علاقة التضام يتم عبر توارد زوج من الكلمات ترتبط بعلاقات معجمية غير التكرار كالطباق والجزئية والكلية والعموم والخصوص والترتيب والمجاورة وغيرها من العلاقات الممكنة بين مفردات النص ووحداته.

وحسبنا في هذا المقام أن نقف عند قيمة السياق وأثره في عملية التضام باعتبار السياق من القرائن النحوية الكبرى الدالة على المعنى النحوي إلى جانب الإعراب والبنية والرّبط والتضام الواجب مراعاتها في التركيب القرآني[3]، بما أنّ السياق يمثّل دلالة الكلمة مع كلمات أخرى وهو جزء من مدلول التضام، ومن هنا يبرز لدينا نوعان منه «مدلول الكلمة

---

[1] عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص153

[2] سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري (دراسة في قصيدة جاهلية)، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العددان الأول والثاني، 1991م، ج10، ص155.

[3] تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص12، ص212.

المفردة ومدلول السياق وما يضمّه السياق مثل الجملة والتركيب والخطاب والنّص والقصيدة ... إلى غير ذلك من الأشياء التي هي من تحدد بالقرينة والنظم»[1].

لقد تعدّدت تقسيمات المحدثين للسياق يمكن إجمالها في نوعين: سياق لغوي ويشمل السياق الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي والتعبيري والأسلوبي وسياق غير لغوي ويشمل السياق العاطفي والثقافي[2]، وما يهم في هذا الصدد هو السياق اللغوي باعتباره «حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاورة وكلمات أخرى»[3]، فالنظام والمجاورة بين الكلمات التي يفرضها السياق اللغوي هي ما تسنّى تسميته بالتضام أو توارد العناصر المعجمية أو استلزام الكلمات بعضها لبعض.

والسياق اللغوي هو المسؤول عن توضيح العلاقات الدلالية التي تحدث من تضام المفردات والعناصر المعجمية، ويكفي إشارة إلى وعي القدماء بأثر السياق في البنية والدلالة حيث جعلوا دلالة السياق من الأمور التي تعين على توضيح المعنى عند تشاكله، يقول الزركشي « ترشد إلى تبيين الجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوّع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلّم، فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظراته»[4]، لا يمكن أن يتحدّد معنى الكلمة إلا إذا توارد مع مجموعة من الكلمات، وهذا التوارد بين الكلمات لا يوصلنا إلى معنى دقيق إلا إذا تمعّنا في العناصر التي تقع معها في سياق لغوي يقبله أبناء اللغة وبالأخص إذا كان تضام الكلمات ونظمها في كلامه سبحانه وتعالى فمن الواجب أن «تربط الآية بالسياق الذي وردت فيه ولا تقطع عما قبلها وما

[1] جاسم محمد عبد العبود، مصطلحات علم الدلالة العربي، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1428هـ/2007م ص137.

[2] جاسم محمد عبد العبّود، المرجع نفسه، ص141-150

[3] أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص295.

[4] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص200.

بعدها ثم تجرّ جرّا لتفيد معنى أو تؤكد حكما يقصده قاصد»[1] لأنّ القرآن وحدة لا تتجزّأ «وتعاليمه وأحكامه مترابطة متكاملة بين بعضها وبعض، ما يشبه الوحدة العضوية في أعضاء الجسد الواحد، فبعضها يؤثر في بعض ولا يجوز أن يفصل جزء أو أكثر منها عن سائر الأجزاء»[2].

سعيت قدر الإمكان إلى تقديم تصور القدامى لمفهوم التضام، بالوقوف على مدلولات هذا المصطلح اللغوي في بعديه اللغوي والاصطلاحي، وكان هذا السعي مبنيا على ما قدّمه اللغوي تمام حسان في مختلف أعماله ومصنفاته، فلاحظنا أنّ هذه الظاهرة اللغوية تأوي إلى ركن شديد في تراثنا اللغوي حيث لها تمثّلات كثيرة، وأقساما عديدة، وأنّ لجهود تمام حسان فضلا كبيرا في استنطاق التراث العربي وبعث مصطلحات لغوية ونحوية جديرة بالدراسة والبحث.

[1] القرضاوي يوسف، كيف نتعامل مع القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط5، 1427هـ/2006م، ص238.

[2] القرضاوي يوسف، المرجع نفسه، ص446.

الفصل الثالث

دراسة تطبيقية نماذج عن فاعلية التضام في التراكيب القرآنية

المبحث الأول: تعريف النماذج وأسباب اختيارها

1- التعريف بالنماذج:

القرآن ويُسمّى تكريمًا القرآن الكريم، هو كتاب الله المعجز عند المسلمين، يُعَظِّمُونه ويؤمنون بأنّه كلام الله، وبأنه قد أُنزل على محمد بن عبد الله للبيان والإعجاز، وبأنه محفوظ في الصدور والسطور من كل تحريف، وبأنه منقولٌ بالتواتر، وبأنه المتعبد بتلاوته، وبأنه آخر الكتب السماوية بعد صحف إبراهيم والزبور والتوراة والإنجيل.

القرآن هو أقدم الكتب العربية، ويعدّ الأعلى قيمةً لغويًّا، لما يجمعه من البلاغة والبيان والفصاحة، وللقرآن أثرٌ وفضل في توحيد وتطوير اللغة العربية وآدابها وعلومها الصرفية والنحوية ووضع وتوحيد وتثبيت اللّبنات الأساس لقواعد اللغة العربية، إذ يعتبر مرجعًا وأساسًا لكل مساهمات الفطاحلة اللغويين في تطوير اللغة العربية كسيبويه وأبي الأسود الدؤلي والخليل بن أحمد الفراهيدي وغيرهم، سواء عند القدماء أو المحدثين.

يعود الفضل في توحيد لهجات العرب في لغة واحدة إلى نزول القرآن الكريم، حيث لم تكن موحّدة قبل هذا العهد رغم أنها كانت ذات غنًى ومرونة، إلى أن نزل القرآن وتحدى الجموع ببيانه، وأعطى اللغة العربية سيلًا من حسن السبك وعذوبة السّجع ومن البلاغة والبيان ما عجز عنه بلغاء العرب، وقد وحّد القرآن الكريم اللغة العربية توحيدًا كاملًا وحفظها من التلاشي والانقراض، كما حدث مع العديد من اللغات السّامية الأخرى، التي أضحت لغات بائدة واندثرت مع الزمن، أو لغات طالها الضعف والانحطاط، وبالتالي عدم القدرة على مسايرة التغييرات والتجاذبات التي تعرفها الحضارة وشعوب العالم القديم والحديث.

يحتوي القرآن على 114 سورة تصنّف إلى مكّية ومدنية وفقًا لمكان وزمان نزول الوحي بها، ويؤمن المسلمون أنّ القرآن أنزله الله على لسان الملَك جبريل إلى النّبي محمد ﷺ على مدى 23 سنة تقريبًا، بعد أن بلغ النبي محمد ﷺ سن الأربعين، وحتى وفاته عام 11 هـ/632م، كما

يؤمن المسلمون بأنّ القرآن حُفظ بدقّة على يد الصحابة، بعد أن نزل الوحي على النبي محمد ﷺ فحفظه وقرأه على صحابته، وأن آياته محكمات مفصلات، وأنه يخاطب الأجيال كافة في كل القرون، ويتضمن كل المناسبات ويحيط بكل الأحوال.

بعد وفاة النبي محمد ﷺ جُمع القرآن في مصحف واحد بأمر من الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفقًا لاقتراح من الصحابي عمر بن الخطاب، وبعد وفاة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، ظلّت تلك النسخة محفوظة لدى أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها، إلى أن رأى الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه اختلاف المسلمين في القراءات لاختلاف لهجاتهم، فسأل حفصة بأن تسمح له باستخدام المصحف الذي بحوزتها والمكتوب بلهجة قريش لتكون اللهجة القياسية، وأمر عثمان بنسخ عدة نسخ من المصحف لتوحيد القراءة، وإعدام ما يخالف ذلك المصحف، وتوزيع تلك النسخ على الأمصار، واحتفظ لنفسه بنسخة منه، تُعرف هذه النسخ إلى الآن بالمصحف العثماني. لذا يؤكد معظم العلماء أن النسخ الحالية للقرآن تحتوي على نفس النص المنسوخ من النسخة الأصلية التي جمعها أبو بكر الصديق.

يؤمن المسلمون أنّ القرآن معجزة النبي محمد ﷺ للعالمين، وأنّ آياته تتحدى العالمين بأن يأتوا بمثله أو بسورة مثله، كما يعتبرونه دليلًا على نبوته، وتتويجًا لسلسلة من الرسالات السماوية التي بدأت، وفقًا لعقيدة المسلمين، مع صحف آدم مرورًا بصحف إبراهيم، وتوراة موسى، وزبور داود، وصولًا إلى إنجيل عيسى.

القرآن الكريم كتاب اللغة العربية الخالد فقد حفظ هذه اللغة من الاندثار والانقراض ووصل ماضي هذه الأمة بحاضرها حيث يستطيع العربي أن يفهم ما كتبه أجداده وهذه مزية لهذه الأمة بفضل هذا الكتاب الكريم على غيرها من الأمم كما عمل على نشرها في مناطق واسعة من العالم فلا يوجد قطر في كافة أرجاء المعمورة إلا وفيه من يتكلم العربية لغة الدين والحضارة الإسلامية، كما أغناها بالعبارات والمصطلحات الجديدة كالصوم والصلاة

وغيرها، والأهم من كل ذلك أنه وحدّ لهجاتها في لهجة واحدة فأصبحت لغة العالم والدين والتفاهم بين الناس.

2- سبب اختيارها:

النص القرآني نص لغوي منسوج من جنس لسان العرب، وهو معجز بكل المقاييس؛ يراه الأديبُ معجزاً، ويراه اللغوي معجزاً، ويراه أرباب القانون والتشريع معجزاً، ويراه علماء الاقتصاد معجزاً، ويراه المربون معجزاً، ويراه علماء النفس معجزاً، ويراه علماء الاجتماع معجزاً، ويراه المصلحون معجزاً، ويراه كل راسخ في علمه معجزا، وسيبقى النص القرآني أرقى نص لغوي عرفته البشرية، أعجز العرب والإنسانية جمعاء عن الإتيان بمثله بدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿88﴾ (سورة الإسراء/ 88).

من هنا سحر القرآن العرب بكماله وبهرهم بروعته وحسن بيانه وتركيبه؛ لأنّه أحدث هزة عنيفة في العبقرية العربية[1]، وهذه المزايا التي أعطاها القرآن لهذه اللغة جعلتها تساهم في فهم هذا الكتاب الكريم.

3- **الاستشهاد على القضايا النحوية:**

تناول ابن باديس تراكيب قوله تعالى في سورة الإسراء ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿37﴾ (سورة الإسراء/37) بالتحليل الجامع بين البيان والاستشهاد فقال نصب "مرحا" بـ (تمش) لأنه متضمّن له تضمّن الكل لجزأيه، إذ المرح جزء من جزئيات المشي، فكأنه قال لا تمرح مرحا ونظيره قول الشاعر:

يعجبه السخون والبرود والتمر **حبا** ما له مزيد*

[1] محمد حسين علي الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن بين النظرية والتطبيق، دار المؤرخ العرب، بيروت، ط1، 1420هـ/2000م، ص139-140

فنصب حبا بـ (يعجب) لأن الإعجاب متضمن للحب، أو نصب على أنه حال "كجاءني زيد ركضا" ونصب "طولا" على أنه تمييز أي من جهة الطول[1] فذهب إلى بيان نصب (مرحا) على أحد الاحتمالين بالفعل (تمش) مع أنهما مختلفان في مادة الجذر، ولكنه قارب بينهما بدافع التضمّن، واتّخذ ذلك مخرجه إلى الاستشهاد بالبيت ووجه الجمع بين الشاهد والآية محل التفسير، أن المشي متضمن للمرح بين (مرح مرحا، وأعجب إعجابا)

ومن نماذج تخريج ابن باديس لمثل ذلك في تفسير قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿74﴾ (سورة الفرقان/74)، فيقول " قرة أعين: تركيب كنائي، فإذا كان القرة من القر، فهو كناية عن السرور لأنّ العين في حالة السرور باردة، وفي حال الحزن تكون ساخنة بسبب ثورة النفس وآلامها التي تثير الحرارة، فإذا سالت منها دموع الحزن كانت سخنة « فيورد المعنى الأوّل للتركيب من القر ويوجّه دلالته ويستشهد لذلك بقوله ومما يقال على هذا: أقر الله عين المحق، وأسخن عين المبطل»[2]، وهو استشهاد بكلام عربي متداول لمعنى غير ما يحمله التركيب لفظا.

ثم يخلص إلى معنى التركيب على التخريج الأول فيقول « فقرّة أعينهم على هذا، كناية عن سرورهم بأزواجهم وذريتهم بما يرونه عليه من الخير والكمال وإعانتهم لهم عليهما».[3]

[1] ابن باديس، استثناء التائبين من المذنبين "مجلة الشهاب"، الجزائر، شوال، 1351هـ، فيفري 1932م، س8، مج8، ج12، ص676

[2] ابن باديس، القرآن يصف عباد الرحمن، الصفة الثانية عشرة، مجلة الشهاب، 1352هـ /1933م، س9، مج9، ج6، 251.

[3] ابن باديس، القرآن يصف عباد الرحمن، الصفة الثانية عشرة، ، ص251.

المبحث الثاني: نماذج التضام في التركيب القرآني

1- حضور التضام في الأبواب النحوية:

للتضام أثر بالغ الأهمية في انسجام العناصر النحوية، إذ أنّ هذه القرينة « تحدد وظائفها وما تشير إليه في السياق النحوي»[1] وفي صدد البحث في بعض الأبواب النحوية في ضوء قرينة التضام، سنتّخذ النماذج القرآنية نموذجا لدراسة التضام.

أولا- باب الجملة:

1- الاسم من حيث التضام:

تتضام الأسماء مع أدوات النداء وواو المعية وإلا في الاستثناء وواو القسم، ومن تضامها أيضا وقوعها دون غيرها من أقسام الكلم مضافا[2]، وافتقار المبهات (الأقسام المبهمة تشمل، الأعداد والموازين والمكاييل والجهات والأوقات والمقاييس)[3]، منها إلى ضميمة الإضافة أو التمييز أو الوصف حيث يقول عبد القاهر الجرجاني « إنّ الأعداد لمّا كانت مبهمة كالمقادير افتقرت إلى ما يبيّنها، والتّبيين يكون على ضربين أحدهما أن يكون بالإضافة والثاني أن يكون بالمنصوب»[4]، وأما الصفات والضمائر وإن كانت تشارك الأسماء في بعض تضامها فإنها تتميز عنها في الإضافة مع الصفات ، وأن النداء معها لا يكون إلا على تقدير مخاطب أو مشار إليه، أما الصفات بعد النداء فتكون على تقدير موصوف محذوف نحو: يا ضاربا، إذا قصد بها الإبهام والشيوع.[5]

---

[1] أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص331.

[2] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص94

[3] ينظر: الساقي مصطفى، أقسام الكلام العربي، ص197.

[4] عبد القاهر الجرجاني، المقتصد في شرح الإيضاح، مج02، ص729.

[5] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 94

ومن أمثلة ذلك قال الله تعالى ﴿ الرَّحْمَٰنُ ﴿1﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿2﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿3﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿4﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿5﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿6﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿7﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿8﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿9﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿10﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿11﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿12﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿13﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿14﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴿15﴾ (سورة الرحمن).

أوّل ما يلاحظ على العناصر ذات الظهور المشترك هو أنّها مرتبطة برابط الاسم الذي يجمعها وهو لفظ الجلالة " الرحمن " مبتدء السورة بجملة اسمية، تستشرف أذن المتلقي لما سيرد من خبر (ثابت بدلالات الجملة الاسمية) المناسب لهذا الوصف، فجاء الخبر في شكل مجموعة من الجمل المتتالية تحتوي على العناصر (علّم – خلق- علّم – رفع- وضع) وهي أفعال صيغتها (فعّل- فعل) وزمنها الماضي مسندة إلى لفظ الجلالة.

فالألفاظ الأولى (علّم- خلق – علّم) غير متعاطفة لمجيئها على نمط التعديد في مقام الامتنان، ويدخل في هذا المعنى لفظ "بحسبان" ثم تليها أربعة أخرى (يسجدان –رفعها – وضع – وضعها) متعاطفة بحرف العطف، وجيء بالمسند فيها فعلا مؤخرا عن المسند إليه لأجل التخصيص.

فعدم العطف بين العناصر الأولى فيه حجج دامغة للمنكرين، الذين لا ينازعون الله تعالى في هذه الصفات، لكنهم لما أعرضوا عن موجبها وهو توحيده « سيق لهم الخبر بها على أسلوب التعديد بدون عطف، كالذي يعدّ للمخاطب كثرة أخطائه وغفلته وهذا تبكيت»[1]، وهذا الأسلوب يمكن إدراجه في قائمة الوقائع التي يتقدّمها العمل، وفي كل آية يدل على نفس الصنف لزيادة تقوّي الحكم.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص232.

ويبدأ العطف بين العناصر الأربعة الثانية لخروج الأسلوب من التعداد إلى إيفاد الدلالة لما في سجود النجم والشجر ورفع السماء ووضع الأرض من عبرة بمعرفة عظيم قدرة الله تعالى على الخلق فهي للاتعاظ وليست للتوبيخ.

وبما أنّ هذه السورة بنيت على نظام المزدوجات، فإنّه روعي فيها تقديم الأهم على المهم من ألفاظ دالة على العمل (بمصطلح النحو الوظيفي) الموافق لقيام الحجة وبيان السبيل، بما تقتضيه درجة الإنكار وطريقة الإقناع، وهذا الظهور المشترك للعناصر المتوافقة في العمل « دالة على تصرفات الله ليعلمهم أنّ الاسم الذي استنكروه هو اسم الله وأنّ المسمى واحد»[1]، وهذا هو الحقل الذي يجمع بين العناصر (علَم – خلق – رفع – وضع) لاشتراكها في موضوع الخلق الذي يعود عن لفظ الجلالة في بداية السورة، فيمثّل بذلك بؤرة تدور حولها كل معاني الجمل الامتنانية بعدها مما يتبين اجتماع المعجم اللغوي للآيات لأداء مهمة الربط التي تفضي إلى الاتساق.

2- الفعل من حيث التضام:

تختصّ الأفعال بقبول التضام مع (قد، سوف، لم، لن، لا الناهية) وهي أدوات قرّر النّحاة أنّها تختص بالدخول على الأفعال كالأدوات المستعملة في الجملة الشرطية، وحين يكون الفعل لازما يصل إلى ضميمته بواسطة حرف خاص من حروف الجر يحدد معنى السياق[2]، على أنّ الأفعال تشارك الصفات في أنّ كلا منهما يضام المرفوعات والمنصوبات في حالتي الإسناد والتعدية، فمن المعلوم أنّ لكل فعل فاعلا، وقد يتعدّى الفعل مفعولا واحدا أو مفعولين أو ثلاثة، إذا اقتضى المعنى والسياق، وتتضام الأفعال مع

[1] محمد الطاهر بن عاشور، المرجع نفسه، ص 232

[2] مصطفى الساقي، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، ص197.

حروف الجزم (لمَا، لا في النهي، اللام في الأمر وإن ولو الشرط والجزاء)[1]، وتتضام مع أن ولن وكي وإذن، ومن ذلك أيضا تضامها مع مفعولها بواسطة الهمزة والتضعيف.[2]

ومن أمثلة ذلك قال الله تعالى ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿35﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿36﴾ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿37﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿38﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿39﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿40﴾ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿41﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿42﴾ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿43﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿44﴾ (سورة الرحمن).

الأفعال الواردة في الآيات الثلاث الأولى أفعال مضارعة مبنية للمجهول، تدل على الأمور الغيبية، ووقوعها في الزمن المستقبل بدلالة الآية السابقة سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿31﴾ وهو تحذير للمكذبين بما سيقع يوم القيامة من أنواع العذاب، فإرسال الشواظ والأخذ بالنواصي والأقدام من طرف ملائكة العذاب الموكلون بذلك، هي الصورة التي أراد القرآن الكريم نقل أذهان الناس إليها، والتركيز على هذا الفعل بلفظ المضارع الدال على العمل، فيه وعيد شديد بأنّ الجزاء من جنس العمل، وهو مستمر ما استمر تكذيب الناس بفضائل الله عليهم، وفي هذه الأفعال بيان على عدم الإفلات من العقاب يوم القيامة.

وهو استئناف بياني لتوضيح أنّ ذلك اليوم هو يوم حساب وعقاب يتوقف فيه عمل الإنسان لذلك جاء الخطاب بعدم سؤالهم عن ذنوبهم، فقط سماهم وعلاماتهم التي في أجسادهم هي الدالة على أعمالهم، ثم يستمر التهويل والتسفيه لهم، وبيان حالهم بالمضارع الدال على التردد والإكثار منه والتردد هنا ليس كتردد الدنيا، فالتردد في الدنيا: هو عدم قبولهم الحق والشك فيه، والتردد في الآخرة: هو مشيهم بين مكان النار وبين الحميم.

[1] الجرجاني عبد القاهر، المقتصد، مج2، ص1091.

[2] تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ص76.

وفي السياق ذاته نتحدث عن التلازم التركيبي المتمثّل في مصاحبة بعض الأفعال مع ملازمات اسمية، حيث تتراكب تلك الجمل وتتردّد في سياقات مختلفة ونستدلّ على ذلك بالفعل " قام وأتى "، والاسم " الصلاة والزكاة " من الذكر الحكيم، فنلحظ التلازم بين الجملتين: أقام الصلاة وآتى الزكاة، بصورة الماضي والمضارع والأمر.

أما الماضي ورد الفعلان في الآيات الآتية: قال سبحانه وتعالى مرة ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿177﴾ (البقرة /177).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿277﴾ (البقرة/ 277)، وفي قوله تعالى:﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿5﴾ (التوبة/ 5)، وفي قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿11﴾ (سورة التوبة /11).

قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿18﴾(التوبة/ 18)، وفي قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿41﴾ (الحج/ 41)، ومرة في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿22﴾ (سورة الرعد/ 22).

وفي قوله تعالى ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿18﴾ (فاطر/ 18)، وفي قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴿29﴾ (فاطر/ 29)

﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿38﴾

(سورة الشورى /38).

تلازم الفعلان " يقيم ويؤتي " في الآيات التالية: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿55﴾ (سورة المائدة/55)، وفي قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿71﴾ (سورة التوبة/71).

قال الله تعالى ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿3﴾ (سورة النمل/3)، قال الله تعالى ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿4﴾ (سورة لقمان/4)، وفي قوله تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿5﴾ (سورة البينة/5)

وتلازم الفعلان في صورة الأمر في الآيات الآتية: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿43﴾ (سورة البقرة)، وفي قوله ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴿83﴾ (سورة البقرة)، وقوله ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿110﴾ (سورة البقرة).

قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿77﴾ (سورة النساء)، وفي قوله ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿78﴾ (سورة الحج).

قال الله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿56﴾ (سورة النور)، وفي قوله تعالى ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿13﴾ (سورة المجادلة)، وفي قوله ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿20﴾ (سورة المزمل).

يتضح مما سبق أن حالة التلازم في المضي بلغت 6 مرات ومع المضارع 3 مرات ومع الأمر 8 مرات.

ثانيا- الافتقار المتأصل:

1- **المبتدأ والخبر**[1]**:** المبتدأ هو الاسم المرفوع المجرد عن العوامل اللفظية أي لا يسبقه عامل لفظي يسبب رفعه وإنما رُفع المبتدأ بالابتداء وهو عامل معنوي للرفع كما يكون المبتدأ صريحاً وقد يكون مؤولاً بالصريح، الخبر هو الاسم المرفوع الذي تتم الفائدة به بعد ذكر المبتدأ وقد يكون الخبر مفرداً أو جملة فعلية أو جملة اسمية أو شبه جملة، ويجوز تعدد الخبر المستقل دون عطف على الأصح، مع كون المبتدأ واحدا لأنّ الخبر حكم، ولا يمتنع أن يحكم على الواحد بأحكام متعددة حيث ورد في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿14﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿15﴾ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿16﴾ (من سورة البروج) فالضمير "هو" مبتدأ والبواقي أخباره (الغفور، ذو، المجيد، فعّال)[2]، الأصل أن يتقارب طرفا الإسناد ولكن قد تتوفر قرائن المعنى لتبرر البعد بينهما كالفصل بالمفردات أو توسط الجملة الاعتراضية.

قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿2﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿3﴾ (آل عمران 3/2) المبتدأ لفظ جلالة والخبر " نزل عليك الكتاب بالحق" حيث فصل بينهما بجملة اعتراضية " لا إله إلا هو" وصفتين هما "الحيّ القيّوم" النظرة المتأنيّة إلى النص تبيّن أنّ مناط القول هو أنّ الله سبحانه يمنّ على رسوله بأنّه نزّل عليه الكتاب بالحق، والقرينة الدالة[3] على ذلك قوله تعالى: ﴿ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿4﴾ (آل عمران/ 4).

قال الله تعالى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿18﴾ (سورة البقرة /الآية 18) (صم) خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم (بكم) خبر ثان مرفوع (عمي) خبر ثالث مرفوع الفاء عاطفة، (هم) ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (لا) نافية يرجعون مضارع مرفوع والواو فاعل، "

---

[1] ينظر: الفاكهي عبد الله بن أحمد، الفواكه الجنية على متممة الآجرومية، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 1436هـ/2015م، ص79.

[2] الفاكهي عبد الله بن أحمد، الفواكه الجنية على متممة الأجرومية، ص84.

[3] تمام حسان، خواطر من تأمل لغة القرآن، ص13.

هم صم " جملة اسمية ابتدائية لا محل لها من الإعراب معطوفة على الاستئنافية وترتبط معها برابط السببية، " لا يرجعون " جملة في محل رفع خبر المبتدأ (هم)، يقول الطاهر بن عاشور « صم بكم عمي هي أخبار لمبتدأ محذوف هو ضمير يعود إلى ما عاد إليه ضمير "مثلهم" ولا يصح أن يكون عائد الذي استوقد لأنه لا يلتئم به أول التشبيه وآخره، لأنّ قوله ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿17﴾ (سورة البقرة/17).

وحذف المسند إليه في هذا المقام استعمال شائع عند العرب إذا ذكروا موصوفا بأوصاف أو أخبار جعلوه كأنه قد عرف للسامع فيقولون: فلان أو فتى أو رجل أو نحو ذلك على تقدير هو فلان ومنه قوله تعالى ﴿ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿36﴾ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿37﴾ (سورة النبأ/37) التقدير (هو رب السماوات) عدل عن جعل رب بدلا من ربك»[1] شأنهم شأن الإخبار الوارد بصيغة الجمع بعد مبتدأ، المعنى أنّ كل واحد منهم كالأصم والأبكم والأعمى ليس المعنى على التوزيع فلا يفهم أنّ بعضهم كالأصم وبعضهم كالأبكم وبعضهم كالأعمى، والصم والبكم والعمى جمع أصم أبكم أعمى وهم من اتّصفوا بالصم والبكم والعمى، ومن اعترته هذه الصفات انعدم منه الفهم والإفهام وتعذّر طمع رجوعه إلى الرشد والصواب والرجوع انصراف من مكان حلول ثان إلى مكان حلول أوّل وهو هنا مجاز في الإقلاع عن الكفر، ويقول الزمخشري « ليس لقائل أن يقول: طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدأ فانساق بذلك إلى تسميته استعارة لأنه في حكم المنطوق به» [2].

قال تعالى ﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿263﴾ (سورة البقرة)، قولٌ : مبتدأ مرفوع بالضمة، معروفٌ : صفة مرفوعة بالضمة، ومغفرة : الواو حرف عطف ، مغفرة معطوفة على قول مرفوعة بالضمة، خير : خبر مرفوع

[1] الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص313

[2] الزمخشري، الكشاف، ج1، ص52

بالضمة، من صدقة : جار ومجرور متعلقان بخير، يتبعها : فعل مضارع مرفوع بالضمة ، والهاء ضمير متصل مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، أذى : فاعل مرفوع بالضمة، وجملة (يتبعها) في محل جر صفة لصدقة، قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل إذا وجد منه ما يثقل على المسؤول، أو نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل، أو عفو من جهة السائل، لأنّه إذا ردّه ردا جميلا عذره، "خير من صدقة يتبعها أذى" وصح الإخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه بالصفة، والله غني لا حاجة به إلى منفق يمن ويؤذي.[1]

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴿26﴾ (سورة البقرة/ 26) يقول الزمخشري « فإن رفعت بعوضة فهي موصولة صلة الجملة لأنّ التقدير: (هو بعوضة) فحذف صدر الجملة كما حذف في (تماما على الذي أحسن) ووجه آخر (حسن جميل)، وهو أن تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل لأصنامهم بالمحقرات قال: إنّ الله لا يستحي أن يضرب للأنداد ما شاء من الأشياء المحقرة مثلا بعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار ولا ديناران...وقراءة الرفع تعزى إلى رؤبة ابن العجاج، وهو أمضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة، وكانوا يشبّهون به الحسن وما أظنّه ذهب في هذه القراءة إلا لهذا الوجه وهو المطابق لفصاحته».[2]

2- **الجار والمجرور:** أما المخفوض بالحرف وهو ما يخفض (بمن، إلى، عن، على، في، الباء، اللام، الكاف، حتى، الواو) التي للقسم، ورب – بضم الراء- ومذ ومنذ، تسمى حروف الجر إما لجرها معنى الفعل إلى الاسم أو لأنّ عملها الجر فأضيفت إلى الإعراب الذي هو أثرها، واستظهر هذا الرضي حيث قال « كما سميت بعض الحروف حروف الجزم وحروف النصب».[3]

---

[1] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج3، ص150.

[2] الزمخشري، المرجع نفسه، ج1، ص264.

[3] عبد الله بن أحمد الفاكهي، الفواكه الجنية على متممة الأجرومية، ص 137.

وتناوب حروف الجر من موضوعات تعدية الأفعال اللازمة بحروف الجر، ويشير التناوب إلى نيابة حرف جر عن آخر أو بدل حرف جر من آخر أو استعمال الحروف بعضها مكان بعض، ومن ذلك –على سبيل المثال- نيابة حرف "اللام" عن حرف "إلى" في قوله تعالى ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (سورة يس/38) وقوله ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ (سورة الرعد/2)، وقوله سبحانه ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة الأعراف/43) فحرف اللام المتعدى به إلى الأفعال هنا لا تأتي في مكانها كما لا تؤدي معناها الحقيقي وإنما تنوب عن حرف "إلى "وتؤدي معناها فتعني تلك التعدية "تجري إلى مستقر لها"، و"يجري إلى أجل مسمى"، و "هدانا إلى هذا" .

ولم يكن هنالك مصطلح محدد يمكن الاعتماد عليه في الإشارة إلى هذه الظاهرة النحوية في اللغة العربية، فمن العلماء من يسمونها بالتناوب ومنهم من يسمونها بالتعاقب والإنابة[1] والميل إلى تسميتها بالتناوب إذ أنّ في هذه الظاهرة نوعا من التفاعل بين الحروف كما يتّضح من قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (سورة الشورى/ 25)، وقوله ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة يوسف/87)، إنّ الحرف "عن" في الآية الأولى ينوب عن حرف "من" (أي يقبل التوبة من عباده) في حين تنوب حرف "من" في الآية الأخيرة عن حرف "عن" (أي فتحسسوا عن يوسف) ليتضح من ذلك تناوب بين حرفي "من" و"عن" إحداهما عن الأخرى.

[1] ينظر: هادي عطية مطر الهلالي، نظرية الحروف والعاملة ومبناها وطبيعة استعمالها القرآني بلاغيا، عالم الكتب، 1986م، ط1، ص 182.

2- الصفة والموصوف: هي إحدى الوظائف النحوية التي تندرج تحت باب التوابع، فهي تأخذ حكم متبوعها من حيث الحكم النحوي والصفة تتبع الموصوف في التذكير والتأنيث والتعريف والتنكير، والجمع والإفراد، والأصل في الصفة أن تلي الموصوف مباشرة إلا أنّه يستثنى من ذلك بعض الحالات.

أ- الفصل بين الصفة والموصوف: يكون الفاصل أحد أركان الجملة الاسمية المبتدأ أو الخبر، فعن الفصل بالمبتدأ ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ **شَكٌّ** فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ (سورة ابراهيم/10) فالألف استفهام إنكاري، "في" حرف جر لا محل له من الإعراب، "الله" لفظ جلالة اسم مجرور بفي وعلامة جره الكسرة وشبه الجملة في محل رفع خبر مقدم، "شكٌّ" مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة، "فاطر" صفة مجرورة وعلامة جرها الكسرة، أما الفصل بالخبرفجاء في قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ (سورة البقرة/255).[1]

ب ـ الاعتراض بين الصفة والموصوف: ورد في قوله تعالى فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿75﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ **لَوْ تَعْلَمُونَ** عَظِيمٌ ﴿76 إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿77﴾ (الواقعة/75-77)" لو تعلمون" جملة معترضة بين الصفة " قسم " والموصوف " عظيم "، والغرض منها تعظيم شأن ما أقسم به من مواقع النجوم وتأكيد إجلاله بالنفوس، وقيل أن مواقع النجوم أوقات وقوع نجوم القرآن أي أوقات نزولها وهو من الإعجاز العلمي، أما قوله وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿76﴾ (سورة الواقعة /76) هي جملة اعتراضية بين القسم وجوابه (المقسم عليه) اعتراض فيه اعتراض فالجملة الكبرى اعتراض بين القسم وجوابه واعترض بـ " لو تعلمون" بين الموصوف وصفته هذا ما يراه الزمخشري[2].

[1]. تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص390 .391

[2] الزمخشري، الكشاف، ج4، ص58

وقع الاعتراض لغرض ومعان تظهر من خلال النص كالتأكيد مثلا، فالجملة المعترضة وإن كانت مستقلة من الناحية النحوية عما قبلها وما بعد فإنها متصلة بالكلام الذي وقعت في ثناياه من ناحية المعنى، لأنّ المتكلم قد أراد بها تقوية كلامه، فالصفة والموصوف إذا من المتضامين والاعتراض من وسائل الفصل بينهما رغم أنه ليس له وظيفة نحوية داخل التركيب إلا أنه يلعب دورا بارزا داخل السياق الذي وقعت فيه فهي تقوي المعنى وتأكده خاصة في التركيب القرآني حيث تعتبر من المباحث الإعجازية في القرآن الكريم.

ج- حذف الموصوف: قال الرضي في شرح الكافية « اعلم أن الموصوف يحذف كثيرا إن علم، ولم يوصف بظرف أو جملة كقوله تعالى ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴾ (سورة الصافات /48)، فإن وصف بأحدهما جاز كثيرا أيضا بالشرط المذكور بعد، لكن لا كالأول في الكثرة لأن القائم مقام الشيء ينبغي أن يكون مثله، والجملة مخالفة للمفرد الذي هو الموصوف، وكذا الظرف والجار، لكونهما مقدرين بالجملة على الأصح، وإنما يكثر حذف موصوفهما، بشرط أن يكون الموصوف بعض ما قبله المجرور بمن أو في.

قال سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾ (سورة الصافات/164) أي ما من ملائكتنا إلا ملك له مقام معلوم[1]، يقوم النعت مقام المنعوت كثيرا إن علم جنسه، ونعت بغير ظرف أو جملة أو بأحدهما بشرط كون المنعوت بعض ما قبله مجرور" بمن أو في"، ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة البقرة/221) ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم أي من حرة مشركة.

قال الله تعالى ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ

[1] تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص183، نقلا عن التسهيل، ص170، سيبويه، ج1، ص136 و273، الرضي، ج1، ص293، المقرب، ج1، ص257

يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة البقرة /266) أي رزق من كل الثمرات، أو ثمرات من كل الثمرات"، قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (سورة فاطر/38) الأصل عليم بالمضمرات ذوات الصدور، ثم حذف الموصوف وغلبت إقامة الصفة مقامه "واغضض من صوتك" أي شيئا من صوتك وعلى مذهب الأخفش تكون من زائدة.

د- **حذف الصفة:** فيما يخص حذف الصفة وإقامة الموصوف مقامها فإنه أقل وجودا ولا يكاد يقع في الكلام إلا نادرا ومن ذلك ما حكاه سيبويه من قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون ليل طويل، حذفت الصفة في هذا الموضع لما دلّ من الحال عليه، ذلك أنّه يحسن في كلام القائل لذلك من التصريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل، وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته وهو أن يكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول: كان والله رجلا أي رجلا فاضلا، أو شجاعا أو كريما أو ما جرى مجرى هذه الصفات، فعلى هذا ونحوه تحذف الصفة هذا إن تحققت الدلالة من لفظ تقدمها أو تأخر عنها أو فهم ذلك من شيء خارج عنها أما غير ذلك فإن حذفها لا يجوز.

فمن أمثلة الصفة التي تقدمها ما يدل عليها قوله تعالى: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ (سورة الكهف/79) أي كان يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا، ويدلّ على المحذوف قوله "فأردت أن أعيبها" فإنّ عيبه إيّاها لم يخرجها عن كونها سفينة، وإنما المأخوذ هو الصحيح دون المعيب[1] فحذفت الصفة هنا لأنّه تقدمها ما يدلّ عليها، ورد أيضا في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (سورة المائدة/68) أي لستم على شيء نافع أو ذي قيمة.

هـ- **إضافة الموصوف إلى الصفة:** استعمل السياق القرآني التركيب الإضافي عوض استعمال التركيب الوصفي جاء في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ

[1] القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد، تفسير القرطبي " الجامع لأحكام البيان"، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ/1964م، ج11، ص34.

لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (سورة التوبة/33) استعمل في هذه الآية التركيب الإضافي " دين الحق" بدل التركيب الوصفي "الدين الحق"، إنّ تحوّل التركيب الوصفي إلى تركيب إضافي له بعده الدلالي العظيم ذلك أن التركيب الوصفي يتكون من عنصرين يجوز الفصل بينهما وهما الصفة والموصوف أما التركيب الإضافي يتكون من عنصرين لا يجوز الفصل بينهما إلا لضرورة وهما المضاف والمضاف إليه، ومن ثم فإن تحول التركيب الوصفي إلى تركيب إضافي يهدف إلى إكساب هذا التركيب الوصفي ضربا من التلاحم بين الموصوف والصفة، فلا يجوز الفصل بينهما في هذه الحالة مثلما لا يجوز الفصل بين المضاف والمضاف إليه.

ومنه فإنّ هذا التحوّل التركيبي يترتب عليه تحول دلالي يتمثّل في الارتقاء بدلالة التركيب من مجرد إفادة ارتباط الموصوف بالصفة برابط التبعية إلى إفادة تلاحم الموصوف بالصفة بلحام الإضافة، أو بصيغة أخرى يترتب عليه ارتقاء البعد الدلالي للتركيب من مجرد تبيين الموصوف بالصفة في النمط الوصفي إلى إفادة تأكيد ملازمة الموصوف للصفة فلا ينفصل عنها أبدا في التركيب الإضافي، فالتركيب الوصفي الآتي "الدين الحق" يعني الدين الموصوف بصفة الحق وصفا طارئا يمكن أن يزول عنه في وقت ما، أما التركيب الإضافي "دين الحق" يعني الدين الموصوف أبدا بصفة الحق فلا يمكن أن ينفصل عنها بأي حال من الأحوال.

وهناك عدّة تراكيب مماثلة في السياق القرآني مثل وعد الحق في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿22﴾ (سورة إبراهيم،/22)، قول الحق في قوله سبحانه ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ (سورة مريم/34).

و- ربط الصفة والموصوف برابط الجر: النمط المشهور في النحو هو ذكر الموصوف تليه الصفة تابعة له[1]، ولكن قد يذكر الموصوف ثم تذكر الصفة بعده مسبوقة بحرف الجر من فيكون هو الرابط بينهما، ويفيد ملازمة الموصوف للصفة ومن ذلك قوله سبحانه "فأتوا بسورة من مثله" فالأصل: فأتوا بسورة مثله، وقوله ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (سورة الإنسان/21) أي أساور فضة وبالتالي الموصوف هنا هو محور اهتمام السياق.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (سورة العنكبوت/25) أشبع العلماء هذه الآية الكريمة بحثا وتوضيحا، من بينهم مكي بن أبي طالب فقد بحث وتقصى المعاني المستفادة منها فقال إذا جعلت قوله: بينكم صفة لمودة كان متعلقا بمحذوف وفيه ضمير كان في المحذوف الذي هو صفة على الحقيقة فيكون (في الحياة الدنيا) في موضع حال من ذلك الضمير في (بينكم) ، والعامل في الظرف وهو (بينكم) وفي الظرف وهو (في الحياة الدنيا) ضمير يعود على ذي الحال والصفة لابد أن يكون فيها عائد على الموصوف[2].

وقد يكون (في الحياة الدنيا) صفة لـ (مودة) و (بينكم) صفة أيضا فلابد أن يكون في كل واحد منهما ضمير يعود على (المودة) والعامل فيها المحذوف الذي هو صفة على الحقيقة وفيه كان الضمير فلما قام الظرف مقامه انتقل إلى الظرف، كما ينتقل إلى الظروف إذا كانت إخبارا للمبتدأ وتقدير المحذوف كأنّه قال:" إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة **مستقرة** بينكم **ثابتة** في الحياة الدنيا" ثم حذفت (مستقرة) وفيها ضمير، و(ثابتة) وفيها ضمير والضميران يعودان على (المودة) وقام (بينكم) مقام مستقرة التي هي صفة.

---

[1] الفاكهي عبد الله بن أحمد، الفواكه الجنية على متممة الأجرومية، ص155.

[2] مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، ص5617.

فصار الضمير الذي كان فيها يعود على الموصوف في (بينكم) وصارت صفة للمودة، لأنّها خلف عن الصفة، وكذلك حذفت (ثابتة) وفيها ضمير وأقمت (في الحياة الدنيا) مقامها فصار الضمير في قولك: في الحياة الدنيا فذلك المحذوف هو العامل في الظرفين وقام مقام المحذوفين الصفتين فصارا صفتين فيهما ضميران يعودان على الموصوف، وعلى هذا يقاس كل ما شابهه فافهم هذه المسألة فقد كشفت لك فيها سرائر النحو وغرائبه.[1]

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ **أُمَّةً وَسَطًا** لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (سورة البقرة/143)، « وصفت الأمّة بوسط بصيغة المذكر لأنّه اسم جامد فهو لجموده يستوي فيه التذكير والتأنيث مثل الوصف بالمصدر في الجمود والإشعار بالوصفية بخلاف نحو "رأيت الزيدين هذين" فإنّه وصف باسم مطابق لعدم دلالته على صفة بل هو إشارة محضة لا تشعر بصفة في الذات ».[2]

قال تعالى ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿68﴾ (سورة المائدة/68) ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم "أمة وسطا" خياران وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء، ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض.

4- المعطوف والمعطوف عليه :

أ- أمثلة على العطف من القرآن الكريم:

[1] مكي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، ج2، ص552-555.

[2] الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير، ج2، ص18.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (سورة البقرة/173)، قد توالت المعطوفات في الآية الكريمة: 1)- الميتة 2)- الدم 3)- لحم الخنزير 4)- الموصول وصلته "ما أهل به لغير الله" إنّها طريقة من طرق الرصف في تعدد المعطوف كما في قوله تعالى ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿58﴾ (سورة الكهف/58)، بدأ النعت بالمفرد ثم تلاه المركب الإضافي ثم جاء بعدهما الخبر .....[1] هو الأسلوب الأشهر والأخف على اللسان.

قال الله عز وجل ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (سورة الرعد/16)، البصير معطوف على الأعمى، النور معطوف على الظلمات.

استفهام توبيخ (قل هل يستوي الأعمى والبصير) أي الكافر والمؤمن، (أم هل تستوي الظلمات والنور) الكفر والإيمان لا يستويان، قل لهم أيها الرسول هل يستوي عندكم الكافر وهو كالأعمى والمؤمن وهو كالبصير؟ أم هل يستوي عندكم الكفر وهو كالظلمات والإيمان وهو كالنور؟.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا من دون الله الذي بيده نفعهم وضرهم ما لا ينفع ولا يضر: هل يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئا، ولا يهتدي لمحجة يسلكها إلا بأن يهدى، والبصير الذي يهدي الأعمى لمحجة الطريق الذي لا يبصر؟ إنهما لا شك غير مستويين يقول: فكذلك لا يستوي المؤمن الذي يبصر الحق فيتبعه، ويعرف الهدي فيسلكه، وأنتم أيها المشركون الذين لا تعرفون حقا، ولا تبصرون رشدا.

[1] تمام حسان، خواطر من تأمل لغة القرآن، ص25

وقوله (أم هل تستوي الظلمات والنور) يقول تعالى ذكره وهل تستوي الظلمات التي لا ترى فيها المحجة فتسلك ولا يرى فيها السبيل فيركب، والنور الذي يبصر به الأشياء ويجلو ضوءه الظلام؟ يقول: إنّ هذين لاشك لغير مستويين فكذلك الكفر بالله، إنما صاحبه منه في حيرة يضرب أبدا في غمرة لا يرجع منه إلى حقيقة، والإيمان بالله صاحبه منه في ضياء يعلم على علم بربّه ومعرفة منه بأنّ له مثيبا يثيبه على إحسانه ومعاقبا يعاقبه على إساءته ورازقا يرزقه، ونافعا ينفعه.

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (سورة غافر/67) يخرجكم معطوفة على خلقكم وليست معطوفة على علقة أو تراب أو نطفة ولا يمكن أن تكون معطوفة عليها.

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿255﴾ (سورة البقرة/255)، "لا نوم" معطوفة على "سنة"، "وما في الأرض" معطوفة على "السماوات"، "ما خلفهم" معطوفة على "مابين أيديهم"، "الأرض" على "السماوات"، بينما "ولا يئوده حفظهما" معطوفة على "لا تأخذه سنة ولا نوم" في أول السورة.

قال الله تعالى ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ **زَعَمْتُمْ** مِنْ دُونِهِ **فَلَا يَمْلِكُونَ** كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (سورة الإسراء/56) والمعنى أنّهم « أمروا بالدعاء لتوقيفهم على خيبتهم فيه بظهور عجز من يدعون وحذف مفعولا زعم والتقدير زعمتموهم آلهة، للعلم بهما لأنّهم ما دعوهم إلا لكونهم آلهة في زعمهم، "فلا يملكون" وقع بعد الفاء ولم يجزم في جواب الأمر، لأنّه خبر لمبتدأ محذوف تقديره فهم لا يملكون، وهذا لأنّ الفاء قصد بها العطف ولم يقصد بها

السببية، ولا يصحّ أن تقصد بها السببية لأنّ ذلك يقتضي أن يكون عدم ملكهم متسبّبا عن الدعاء»[1]، مثلها في قول الشاعر:

رَبّ وَفّقْني فَلَا أَعْدلُ عَنْ سُنَن السَّاعينَ في خَيْر سُنَن [2]

فإنّ عدم العدول متسبّب عن التوفيق، وليس كذلك الأمر في هذه الآية فإنّ عدم ملكهم متحقق سواء دعوا أم لم يدعوا، فلذلك امتنع النصب ووجب الرفع على التقدير المتقدم، هذه « بعض اللطائف والدقائق التي لا وجود لها في كتب النحو أحيانا، أو التي يعزو الاهتداء إليها في كتبه الخاصة أحيانا أخرى»[3].

ب- **عطف جملة على جملة:**

يشير الزمخشري أثناء تفسيره للآية 25 من سورة البقرة إلى أنّ في قوله تعالى ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ما الذي عطف هذا الأمر ولم يسبقه أمر ولا نهي يصح عطفه عليه يقول « الذي اعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين (...) وذلك أن تقول هو معطوف على قوله ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (سورة البقرة/ 24)، يفهم من كلامه أنَ العطف سوغته الجهة الجامعة بين محتوى الوصفين وهي التضاد فالأول عقاب الكافرين والثاني ثواب المؤمنين».[4]

---

[1] ابن باديس، مجالس التذكير، ج1، ص295.

[2] البيت بلا نسبة كما في شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ج2، ص333.

[3] عباس حسن، اللغة والنحو بين القديم والحديث، 208-209

[4] الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص 350

وفي نفس الآية يقول بن عاشور « وجعل جملة – وبشّر– معطوفة على مجموع الجمل المسوقة لبيان وصف عقاب الكافرين، يعني جميع الذي فصل في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿23﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿24﴾ (سورة البقرة) من "وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا " إلى قوله "أعدّت للكافرين" فعطفت مجموع أخبار عن ثواب المؤمنين على مجموع أخبار عن عقاب الكافرين والمناسبة واضحة مسوغة لعطف المجموع على المجموع، وليس هو عطفا لجملة معينة على جملة معينة الذي يطلب معه التناسب بين الجملتين في الخبرية والإنشائية.

فالجرجاني جعل لهذا النوع من العطف لقب عطف القصة على القصة، لأنّ المعطوف ليس جملة على جملة بل طائفة من الجمل على طائفة أخرى»[1]، ونجده يوافق رأي الزمخشري الذي عبّر عنه « وبشّر معطوفة على قوله "فاتقوا" الذي هو جواب الشرط فيكون له حكم الجواب أيضا وذلك لأنّ الشرط هو فإن (لم تفعلوا) سبب لهما، لأنّهم إذا عجزوا عن المعارضة ظهر صدق النبي فحُقَّ اتقاء النار وهو الإنذار لمن دام على كفره وحُقَّت البشارة للذين آمنوا.

سيقت الآية مساق خطاب للكافرين على لسان النّبي فلما أُريد ترتب الإنذار لهم والبشارة للمؤمنين جعل الجواب خطابا لهم مباشرة لأنّهم المُبتدَأ بخطابهم وخطابا للنّبيّ ليخاطب المؤمنين إذ ليس للمؤمنين ذكر في هذا الخطاب فلم يكن طريق لخطابهم إلَا الإرسال إليهم»[2]، إلا أنَ هناك إضافة تكمن في أنَ المعطوف عليه لا يقف عند قوله " فاتقوا " وإنما يتجاوزه إلى مجموع الأخبار الواردة في الآيتين 23 و24 عن عقاب الكافرين الناشئ في اصطلاح ابن عاشور عن التحدي والعجز عن رفعه مما ترتب عنه العقاب الشديد وقد عزَز رأيه برأي الجرجاني متبنيا مصطلحه " عطف القصة على القصة ".

---

[1] الطاهر ابن عاشور، المرجع نفسه ، ص351.

[2] الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص351.

5- الصلة والموصول:

أوّلا- الصلة والموصول:

لغة: هو اسم مفعول من الفعل وصل يصل.

اصطلاحا: الاسم الموصول هو الاسم الذي توصل به لفظا بآخر أو ألفاظا بأخرى أو هو ما افتقر في بيان مسماه إلى "صلة وعائد" مشتملة عليه تلك الصفة غالبا، وهو اسم مبني يدل على معين بواسطة جملة تذكر بعده تسمى صلة الموصول مشتملة على ضميره[1].

قال الله تعالى ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ (سورة الإسراء/57)، أولئك إشارة إلى المعبودين الذين وصفهم، ويدعون ضميره للداعين وأصله يدعونهم يبتغون خير أولئك، وأيهم اسم موصول مضاف إلى ضمير المبتغين وهو بدل بعض من كل من الواو في يبتغون، وأقرب خبر مبتدأ محذوف تقديره هو، والجملة صلة الموصول ويحتمل أن يكون أيهم استفهاما للمبتدأ وأقرب خبر وتقدير الكلام ينظرون أيهم أقرب.[2]

قال الله تعالى ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة النور/45)، حيث استخدمت من كاسم موصول لغير العاقل وإذا كان اسم الموصول عائدا على الله مثل قوله في سورة الملك: أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (سورة الملك/14) اسم موصول للعالم وليس العاقل.

وكذلك في قوله تعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ (سورة الكهف/1)، وقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ (سورة المعارج/23). وقوله تعالى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ

[1] عبد الله بن أحمد الفاكهي، الفواكه الجنية على متممة الأجرومية، ص62.

[2] ابن باديس، مجالس التذكير، ج1، ص301.

الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (سورة النساء/23).

تفتقر الموصولات الاسمية كلها نصها ومشتركها إلى صلة معهودة للمخاطب في اعتقاد المتكلم متأخرة عنها وجوبا، لأنّ الموصول ناقص لا يتمّ معناه إلا بصلتهن فهي معرفة ومبيّنة له ومنزلة منه منزلة جزئه المتأخر فلا يجوز تقدمها ولا شيء منها عليه، وكما لا تتقدم الصلة لا يتقدم معمولها عليه، وأما ﴿ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ (سورة يوسف/20)، فالظرف متعلق بمحذوف دلّ عليه صله أل، والتقدير: وكانوا زاهدين فيه من الزاهدين، (و) إلى (عائد) وهو ضمير يعود من الصلة إلى الموصول ليحصل الربط بينهما وإلا لكانت الصلة أجنبية عنه، لأنّها مستقلة بنفسها لولا الربط الذي فيها[1]

ثالثا- الافتقار غير المتأصّل: لا يخص الكلمة فالكلمة غير مفتقرة بحسب أصل الوضع إنما يخص الباب النحوي الذي تقع فيه.

1-الفاعل والمفعول به: قال الله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ (سورة الفرقان/20) نزلت الآية ردا على المشركين بأن هذا حال جميع المرسلين من قبل النبي ﷺ، أما الإرسال فهو البعث لتبليغ شيء أو قضائه وفي لسان الشرع هو إنزال الله تعالى الوحي على من اصطفاه من خلقه لينذر به من أمره بإنذاره من قوله ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿192﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿193﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿ 194﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿195﴾ (سورة الشعراء/ 192-195) فالرسالة وحي مع أمر بالتبليغ.

[1] الفاكهي عبد الله بن أحمد، الفواكه الجنية على متممة الأجرومية، ص65.

أما التركيب فمفعول أرسلنا محذوف تقديره "رجالا" وعليه عاد الضمير في "إنهم" وهو صاحب الحال، والحال هي الجملة التي بعد إلا، والجملة الثانية حال بالعطف على الأولى والاستثناء مفرغ من الأحوال، وتقدير الكلام وما أرسلنا قبلك رجالا من المرسلين إلا حالة أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق أي ما أرسلناهم في حالة من الأحوال إلا في هذه الحال، إنَ واللام والحصر بما وإلا كل هذا لتأكيد المعنى الذي سيق إليه الكلام وهو إثبات أن رسول البشر لا يكون إلا بشرا، ردا على منكري ذلك من المشركين وعبَر بالمضارع في " يأكلون ويشربون" لان ذلك من ضروريات بشريتهم فهو يتجدد ويتكرر منهم أما أكل الطعام والمشي في الأسواق كناية عن البشرية لأنهما وصفان لازمان لها.[1]

ورد في قوله تعالى ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة يوسف/36) من اللافت للنظر في التعبير القرآني المعجز {انبثاق} المفعول به عن الفاعل، فمن المعلوم اختلاف الفاعل عن المفعول به ، لأن الفاعل هو الذي قام بالفعل، والمفعول به هو الذي وقع عليه الفعل ، ففي قوله تعالى مثلاً: (أقيموا الصلاة)، المؤمنون هم الذي يؤدون الصلاة، ولذلك أسند الفعل إليهم، و (الصلاة) هي الناتجة عن الفعل، ولهذا جاءت مفعولاً به .. وهذا هو الأصل في الفعل والفاعل والمفعول به، في اللغة العربية وفي القرآن.

لكن القرآن المعجز (يوحد) بين الفاعل والمفعول به أحيانا ، فتكاد ترى أنَ الفاعل هو المفعول به في الظاهر ، وذلك بأن (يجرّد) المفعول به عن الفاعل ، ويجعل المفعول به (منبثقاً) عن الفاعل ، أو (متولداً) عنه .. وهذا من روائع التجريد والتعبير، وفي هذه الصورة يتجسد التضام بين الفاعل والمفعول.

[1] ابن باديس، التفسير الكبير، ج2، ص22.

من الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة يوسف/36)، رأى كل واحد من الفتيين رؤيا، وطلبا من السجين يوسف أن يعبَرها لهما وقال كل واحد منهما: (إنّي أراني) وعندما ننظر في فعل (أراني) الذي هو جملة فعلية في محل رفع خبر (إن) فإننا نرى شبه اتحاد بين الفاعل والمفعول به، أو انبثاق المفعول به عن الفاعل، (أرى): فعل مضارع، والفاعل: ضمير مستتر تقديره (أنا)، والنون للوقاية ، والياء في محل نصب مفعول به، وياء المتكلم هذه تعود على الفاعل (أنا) أي: هذا الفتى رأى نفسه. وهذا معنى قولهم: الفاعل هو المفعول به، أو انبثاق المفعول به عن الفاعل والحكمة في ذلك أن الذي يرى رؤيا وهو نائم، إنما يرى شخصاً آخر في المنام يفعل كذا وكذا، فهذا الشخص الآخر قد يكون هو الرائي نفسه في الحقيقة، لكنه في الرؤيا يكون منبثقاً عنه، فهما شخصان في الرؤيا، لكنهما شخص واحد في الحقيقة، فالفاعل الرائي هو نفسه المفعول به المرئي فالشخص الواحد تجرد عنه شخص آخر .

ومن روائع انبثاق المفعول به عن الفاعل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (سورة البقرة/23) أي: الذي يخالف أحكام الله في الطلاق والعدة يظلم نفسه، فاعل (ظلم) تقديره : (هو) و (نفسه) : مفعول به، ونفس الإنسان ليست شخصاً مستقلاً عنه ، وإنما هي هو بالضبط ، ولكن الآية جردت النفس عنه وفصلتها عنه وجعلتها شخصاً آخر، يقع ظلم هذا الظالم عليه ، فهما شخصان في الخيال وشخص واحد في الحقيقة .

2- المضاف والمضاف إليه:

لغة: هي مصدر للفعل " أضاف" يقال: أضاف ظهره للحائط: أماله، وأضاف الأمر إليه: أسنده أو نسبه. وأضاف المال إليه: ضمه، وأضاف فلانا: أنزله ضيفا عنده وقربّه أو أغاثه أو

أجازه، وأضاف فلانا إلى كذا: ألجأه إليه، ومنه المضاف في الحرب: وهو الذي أحيط به، وأضاف إليه صوته: استأنس به وأراد أن يدنو منه، وأضاف على الشيء: أشرف، وأضاف عنه: عدل وانحرف، وأضاف من الأمر: وأشفق وخاف وحَذرَ، وأضاف إليه: مال ودنا. وأضاف الرجل: خاف وأضاف فلان: عدا وأسرع وفر.[1]

اصطلاحا: الإضافة المقصودة هي إضافة الاسم إلى الاسم إضافة توجب جر الثاني، ويعرف النحاة هذه الإضافة تعريفات مختلفة [2] يقول ابن يعيش " اعلم انّ إضافة الاسم إلى الاسم إيصاله إليه من غير فصل، وجعل الثاني من تمام الأول يتنزل من منزلة التنوين" [3] وقسم الإضافة إلى قسمين: [4]

أ)- إضافة معنوية: " حقيقية محضة "[5] الغرض منها: تعريف المضاف إذا كان المضاف إليه معرفة، نحو: كتاب محمد، أو تخصيصه إذا كان نكرة، نحو: سيّارة رجل.

ب)- إضافة لفظية: " مجازية غير محضة " [6] الغرض منها: تخفيف اللفظ بحذف التنوين أو النون من المضاف، نحو: قائل الحق شجاع، كاتبا الخبر فصيحان، وفاعلو الخير كرماء.

وقد يكون الغرض من الإضافة اللفظية إلى جانب تخفيف اللفظ وتحسينه رفع القبح عنه، فإذا قلت: مررت بالرجل الحسن الوجه، برفع "الوجه" على أنه فاعل للصفة المشبهة كان فيه قبح خلو الصفة من ضمير الموصوف لفظا، وإذا نصبته تشبيها له بالمفعول به، كان

---

[1] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص549 وما بعدها، مادة ضيف، وتاح العروس 59/24 ومابعدها.

[2] ينظر: همع الهوامع، ج4، ص 264، والتصريح، ج2، ص23-24، النحو الوافي، ج3، ص2 (هامش الصفحة)، ومعاني النحو، ج3، ص102.

[3] ابن يعيش، شرح المفصل، ج2، ص118.

[4] ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج2، ص118، والإرشاد إلى علم الإعراب، ص147

[5] عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص24.

[6] عباس حسن، المرجع نفسه، ج3، ص33-34.

فيه قبح إجراء وصف القاصر مجرى المتعدي، وفي إضافة الصفة المشتبهة تخلص من القبحين[1].

قال تعالى: وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿63﴾ (سورة الفرقان/ 63)، وعباد الرحمن "مبتدأ خبره في آخر السورة أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿75﴾ كأنه قيل: وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم (الهون، السلام، الكرام، السكينة، الوقار، التواضع، الحق،....) أولئك يجزون الغرفة، ويجوز أن يكون خبره الذين يمشون وأضاف "عباد" إلى الرحمن تخصيصا وتفضيلا ..."[2] ومعنى الهون أنهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم إشرا وبطرا.

عباد: جمع عبد بمعنى المملوك الذليل الخاضع، أو جمع عابد كصاحب وصحاب، وتاجر وتجار بمعنى المطيع والقائم بما يرضي ربه، والأول منه أظهر.

الرحمن: المنعم الذي تتجدد نعمه في كل آن، يمشون في الأرض ويتنقلون عليها.

هونا: هان الأمر يهون هونا بمعنى سهل ومنه " هو عليّ هيّن " أي سهل، وهين على وزن فعل أي سهل، ويقال هين بالتخفيف.[3]

ومن صفات المؤمن أنه هين لين، من الهون السهولة في أخلاقه ومعاملته وفسر الهون في الآية بالحلم والوقار والسكينة والتواضع والطاعة، وكلما ترجع إلى السهولة واللين، وفسر بعدم الفساد في الأرض وعدم التجبر والتكبر، لأنها أضداد للسهولة واللين "خاطبهم" كلهم "الجاهلون" السفهاء قليلو الأدب سيئو الأخلاق، والجهل ضد العلم، ويطلق بمعنى السفه والطيش، لأنهما عنه ينشآن، يقول الشاعر:

---

[1] ابن هشام، شرح التصريح على التوضيح ، ج2، ص29.

[2] الزمخشري، الكشاف، ص751.

[3] ابن باديس، تفسير بن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص 193.

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا[1]

هونا منصوب على أنه مفعول مطلق والتقدير مشيا هونا أو على أنه حال من فاعل يمشون أي "هينين" ومجيء المصدر حالا كثير، ولمصدريته أفراد والموصوف جمع، "ويمشون على الأرض هونا" تركيب كنائي.

كانت الصلة بالمضارع "يمشون" ليفيد التجدد، فإنّ المشي هو في الأرض ضروري للإنسان، وكان المعطوف على الصلة بصورة الشرط " وإذا خاطبهم..." لأن خطاب الجاهلين لهم ليس مما يكون دائما وكان التعليق بإذا لأنّ مخاطبة الجاهلين لهم بالسوء أمر محقّق فمتى سلم أهل العلم والدين من الجاهلين؟[2]، لم يذكر ما يخاطبهم به الجاهلون علما أن خطاب الجاهل أي السفيه لا يكون إلا سوءا بما يمليه عليه جهله وسفهه.

لفظ سلاما "السلام" كالسلامة التعري من الآفات والمكروهات، توصل بما قبلها بالواو لاشتراكهما في القصد وهو التعريف بالرحمن وبعباده، أضاف العباد للرحمن تخصيصا لهم وتفصيلا وتقريبا، وفيه تعريض بأولئك المتجاهلين المتكبرين المبعدين، نصب "سلاما" على أنه مفعول مطلق والتقدير قالوا قولا سلاما أي ذا سلام فيشمل كل قول فيه سلامة من الأذى والمكروه: كسلام عليكم، ويغفر الله لكم، وسامحكم الله ونحو ذلك، أو نصب على أنّه مفعول به، أي قالوا هذا اللفظ سلاما نفسه.[3]

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (سورة محمد/ 24) فسّروا إضافة الأقفال إلى القلوب على الإضافة بمعنى لأمر الاختصاص، قال « وأما إضافة الأقفال فلأنّه يريد الأقفال المختصة بها، هي أقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح».[4]

---

[1] من معلقة عمرو بن كلثوم، ط الدار العالمية، ص40، فنهلكه فنعاقبه بما هو أعظم من جهله.

[2] ابن باديس، المرجع السابق ، ص194.

[3] ابن باديس، تفسير بن باديس في مجالس التذكير، ص195.

[4] الزمخشري، الكشاف، ج5، ص/526

3- الشرط وجوابه:

هناك نوع من العطف يشتبه على كثير من الناس أمره، وذلك كقوله تعالى في سورة الصافات ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿102﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿103﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿104﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿105﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿106﴾ (سورة الصافات/102-106) قال الزمخشري يقال سلم لأمر الله وأسلم واستسلم بمعنى واحد ومعناه أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة ...

فإن قلت: أين جواب لماّ؟ قلت: هو محذوف تقديره: فلمّا أسلما وتلّه للجبين وَنادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا كان ما كان مما تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما، وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما، من دفع البلاء العظيم بعد حلوله، وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الأنفس عليه من الثواب والأعواض ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب.[1]

فالذي قاله الزمخشري لم يزد على أن ملأ ما يُتوهم فيه من فراغ، وجعل الكلام تاما حسب قواعد النحو،حيث قدّر فيه جواب الشرط، ولكن هذا التقدير طمس ما في الآية من روعة وجمال، وجرّدها مما تتميز به من بلاغة عالية سامقة، فالواقع أنه ليس هناك حذف جواب الشرط، وإنما دخل واو العطف على جواب الشرط، وهو قوله تعالى: (وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ) فالمعروف في الشرط وجوابه أن الشرط يسبق جواب الشرط، حيث يتحقق الشرط أولا، ثم يتبعه جوابه، ولكن قد ينتقض هذا العرف، حيث يقع الشرط وجوابه معاً، ولا يفصلهما أيّ فاصل زمني. وهذا الذي حدث في هذا الحدث العظيم، فلم يكن هناك أيّ فاصل زمنيّ بين إسلام سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل، وتلّ إبراهيم لإسماعيل للجبين، وبين نداء ربهما لإبراهيم.

[1] الزمخشري، الكشاف ، ج4، ص55

فالواو الذي دخل على جواب الشرط، وهو قوله تعالى: (وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ) يدل على هذا الاتصال الزمني بين الشرط وجوابه، ولو لم يكن هذا الاتصال الكامل بين الشرط وجوابه لعملت الشفرة عملها، قال الطاهر بن عاشور " جواب " فلما أسلما " محذوف دل عليه قوله " وناديناه" وجيء به في صورة العطف إيثارا لما في ذلك من معنى القصة على أن يكون جوابا لان الدلالة على الجواب تحصل بعطف بعض القصة دون العكس، وحذف الجواب في مثل هذا كثير في القرآن وهو من أساليبه[1] ومثله قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿15﴾ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿16﴾ (سورة يوسف/15-16).

ويوجد في القرآن أشباه ونظائر لهذا الأسلوب وهو من الإيجاز الخاص بالقرآن الكريم فهو تقليل للفظ لظهور المعنى، منها قوله تعالى في سورة يوسف ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (سورة يوسف/15).

قال أبو حيان في تأويل الآية: « واختلفوا في جواب لمّا أهو مثبت؟ أم محذوف؟ فمن قال: مثبت، قال: هو قولهم قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق أي: لما كان كيت وكيت، قالوا وهو تخريج حسن. وقيل : و أوحينا ، والواو زائدة ، وعلى هذا مذهب الكوفيين يزاد عندهم بعد لما ، وحتى ، وإذا. وعلى ذلك خرجوا قوله : فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أي : ناديناه وقوله : حتى إذا جاؤوها وفتحت أي : فتحت. وقول امرئ القيس : فلما أحربا ساحة الحي وانتحى .أي : انتحى. ومن قال : هو محذوف ، وهو رأي البصريين ، فقدره الزمخشري : فعلوا به ما فعلوا من الأذى ، وحكى الحكاية الطويلة فيما فعلوا به ، وما حاوروه وحاورهم

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص155، ج23، ص155

به. قدره بعضهم : فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب عظمت فتنتهم ، وقدّره بعضهم جعلوه فيها، وهذا أولى إذ يدل عليه قوله: وأجمعوا أن يجعلوه».[1]

قال الشوكاني: فَلَمَا ذَهَبُواْ بِهِ من عند يعقوب وَأَجْمَعُواْ أمرهم أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الجب وجواب« لما » محذوف لظهوره ودلالة المقام عليه، والتقدير: فعلوا به ما فعلوا، وقيل: جوابه قَالُواْ يأَبَانَا إِنَا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وقيل: الجواب المقدّر جعلوه فيها. وقيل: الجواب أوحينا والواو مقحمة، ومثله قوله تعالى: فَلَمَا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وناديناه أي: ناديناه. (فتح القدير)، هذا ما ذكره المفسرون في تأويل الآية، وقد فصلناها آنفا في قصة سيدنا إبراهيم و سيدنا إسماعيل الواو على جواب الشرط دلالةً على رعاية الله لسيدنا يوسف رعايةً حاضرةً ساهرةً، ودخل دلالةً على الاتصال الزمني بين الشرط وجوابه، فلم يكن هناك أيّ فاصل زمني بين ذهابهم بيوسف، وإجماعهم أن يجعلوه في غيابة الجب، وبين إيحاء الله إلى يوسف بما أوحى إليه، إذهابا لهمّه، وتطمينا لقلبه.

وجاء على نفس الأسلوب قوله تعالى ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿71﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿72﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿73﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿74﴾ (سورة الزمر/71-74).

واضح أنّ الجملة: (وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) في قوله تعالى: (حَتَى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) وقعت جوابا للشرط بدليل قوله تعالى في حال الكفار: (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَمَ زُمَرًا حَتَى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا)، وإنما دخل الواو على جواب الشرط في ذكر المتقين

[1] الأندلسي أثير الدين أبو حيان ، البحر المحيط، ج6، ص248

بيانا لما اختص الله به المتقين من حفاوة حارة، وكرامة بالغة، حيث تفتح لهم أبواب الجنة، مع وصولهم إليها، وكأن الجنة كانت لهم بانتظار! فلا يكون هناك أيّ فاصل زمني بين وقوع الشرط وجوابه، بل يقع الشرط والجواب معا، خلاف ما هو معهود في الشرط وجواب الشرط، حيث يقع الشرط ، ثم يتبعه الجزاء[1]، ويقاربه قوله تعالى في سورة ص: ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿49﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿50﴾ (سورة ص/49-50).

4- الحال وصاحبه:

قال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴾ (سورة الإسراء/39)، لما كانت هذه الآيات في أصول الهداية، وأساس الهداية وشرطها هو التوحيد، ختمت السورة بالنهي عن الشرك كما بدئت به، أما ما يتعلق بمفردات وتراكيب هذه الآية فالإلقاء هو الطرح، والملوم هو الذي يقال له لم فعلت القبيح؟ وما حملك عليه؟ ... والمدحور المبعد، فانتصبا "ملوما مدحورا" على الحال. ومعنى الآية أن الله تعالى نهى عن الشرك وأن يعبد معه سواه، فالعبادة بالقلب واللسان والجوارح لا تكون إلا له، فحذر في هذه الآية بمآل المشرك في آخرته، بإلقائه في جهنم ملوما على ما قدم، مطرودا مبعدا في دركات الجحيم.[2]

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ (سورة الإسراء/37)، قال الله تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿3﴾ " إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون "، قال الله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴾ (سورة الكهف/35)، قال الله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ (سورة هود/117)، قال الله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

[1] محي الدين غازي، عميد كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية، الهند، له عدد من المشاركات العلمية، أسلوب خاص للعطف في القرآن، ملتقى أهل التفسير، 8:02، 2011/07/23م، https//vb.tafsirnet/forum/

[2] ابن باديس، مجالس التذكير، ج1، ص284.

الْفَاسِقِينَ ﴾ (سورة الصف/5)، قال الله تعالى أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿214﴾ (سورة البقرة/214).

قال الله تعالى: ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (سورة يس/30)، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (سورة الأنعام/112)، عدوا مفعول به لجعلنا الأول، لكل نبي مفعول ثان لجعلنا وقدم على المفعول الأول للاهتمام به، فالمقصود إعلام بأن هذه سنة الله في أنبياءه كلهم، فيحصل بذلك التأسي والقدوة والتسلية، ولأن في تقديمه تنبيها على أنه خبر، وليس متعلقا بقوله "عدوا" كيلا يخال السامع أن قوله " شياطين الإنس " مفعول لأنه يحول الكلام إلى قصد الإخبار عن أحوال الشياطين أو عن تعيين العدو للأنبياء من هو، وذلك ينافي بلاغة الكلام.[1]

شياطين: بدل من " عدوا " وإنما صيغ التركيب هكذا، لأن المقصود الأول هو الإخبار بأن المشركين أعداء للرسول ﷺ فمن أعرب "شياطين" مفعولا به ل "جعل" و " لكل نبي " ظرفا متعلقا ب "عدوا" فقد أفسد المعنى [2]، جملة "يوحي" في موضع الحال، يتقيد بها الجعل المأخوذ من "جعلنا " فهذا الوحي من تمام المجعول[3].

5-المستثنى والمستثنى منه:

عرّف الإستثناء بأنه من ثنو أو ثني، و أنه لا تعارض بين المعنى الاصطلاحي و المعنى اللغوي، هناك جملة من التعريفات النحوية للاستثناء و رجحنا منها تعريفين هما تعريفا الشريف الرضي و ابن مالك و جمعناهما في تعريف واحد (إن الاستثناء هو المذكور بعد

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج8، ص8

[2] الطاهر بن عاشور، المرجع نفسه ، ص9

[3] الطاهر بن عاشور، المرجع نفسه، ص10

[إلا] أو إحدى أخواتها المخرج مما قبلها بعضا من كل تحقيقا أو تقديرا متصلا أو منقطعا محكوما عليه بنقيض ما حكم به أولا، سواء كان من جنس المستثنى أم من غير جنسه بشرط الإفادة).

بدأنا إعراب الآيات الواردة فيها إلا الاستثنائية بالمرفوعات ثم المنصوبات فجاء في المرفوعات بالمبتدأ و الخبر و الفاعل و نائب الفاعل، و اسم كان، و خبر إن، و الفعل المضارع. و جاء في المنصوبات بالمفعول به و المفعول لأجله و المفعول المطلق و المفعول فيه و الحال و المستثنى و المستثنى منه .ثم جاء بالتوابع و ذكر منها البدل و العطف.

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (سورة البقرة/249) "فشربوا منه أي كرعوا فيه "إلا قليلا منهم" لما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه، كأنه قيل: فلم يطيعوه إلا قليل منهم.[1]

قال الله تعالى ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿57﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿58﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (سورة الحجر/59)، فإن قلت إلا آل لوط استثناء متصل أم منقطع؟ قلت: لا يخلو من أن يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا، لأن القوم موصوفون بالإجرام فاختلف لذلك الجنسان وأن يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كأنه قيل: إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط وحدهم كما قال "فما وجدنا"، قال تعالى ﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ (الحجر/ 56)، وقوله تعالى ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (سورة الذاريات/36)، هل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين؟ نعم فآل لوط مخرجون في الاستثناء المنقطع من حكم الإرسال، وعلى أنهم

[1] الزمخشري، الكشاف، ص 143

أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا إلى آل لوط أصلا، ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين كإرسال الحجر أو السهم إلى المرمى في أنه في معنى التعذيب والإهلاك كأنه قيل إنا أهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط أنجيناهم وأما في المتصل فهم داخلون في حكم الإرسال، وعلى أن الملائكة أرسلوا إليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الإرسال مخلصا بمعنى الإهلاك والتعذيب كما في الوجه الأول[1].

قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ ما فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ (سورة النساء /66)، قال الله تعالى ﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (سورة هود/81)، قال الله تعالى ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران/144).

قال تعالى ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (سورة النساء/171) فالحق منصوب على المفعولية بـ "تقولوا".

6- النداء: كثر في كتاب الله النداء ما لم يكثر في غيره قال الزمخشري « لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة، لأنَ كل ما نادى به الله عباده من أوامره ونواهيه، وعظاته وزواجره، ووعده ووعيده واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم وغير ذلك مما

[1] الزمخشري، المرجع نفسه، ص562

أنطق به كتابه أمور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ »[1].

قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (سورة البقرة/21) خطاب لمشركي مكة، و"يا" حرف وضع في أصله لنداء البعيد، صوت يهتف به الرجل بمن يناديه، وأما نداء القريب فله أي والهمزة، ثم استعمل في مناداة من سها وغفل، وإن قرب تنزيلا له منزلة من العد فإذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بأنَ الخطاب الذي يتلوه معني به جدا، أي وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام، كما أن ذو والذي وصلتان على الوصف بأسماء الأجناس ووصف المعارف بالجمل، وهم اسم مبهم مفتقر إلى ما يوضحه ويزيل إبهامه، فلابد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء[2].

المقصود بالنداء من قوله "يا أيها الناس" « الإقبال على موعظة نبذ الشرك وذلك هو غالب اصطلاح القرآن في الخطاب " بأيها الناس " وافتتح الخطاب بالنداء تنويها به ويا حرف للنداء وهو أكثر حروف النداء استعمالا فهو أصل حروف النداء لذلك لا يصلح غيره لنداء القريب والبعيد كما في القاموس »[3].

جاء في قوله تعالى على لسان النملة ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿18﴾ (سورة النمل/18) والتقدير: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم ليحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون " في هذه الآية يا: للنداء، وأيها: للتنبيه، النمل: للتعيين، ادخلوا: للأمر، مساكنكم: للنص، ليحطمنكم:

[1] الزمخشري، الكشاف، ص56

[2] الزمخشري، المرجع نفسه، ص56

[3] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص324

التحذير، سليمان" التخصيص، جنوده: التعميم، لا يشعرون: التبرير، يتجلى في هذه الآية الإيجاز في وصف المشهد.

الخاتمة

لم ينل كتاب في الدنيا دراسات فيه وحوله مثلما نال القرآن الكريم، بيد أنّه رغم استبحار ووفرة الدراسات القرآنية، إلا أنّ القرآن الكريم لا يزال يستنهض الباحثين لمزيد من البحث في آفاقه الممتدة التي لا تتوقّف عند نهاية، وكل باحث حسبما تيسّر له من أدوات بحثه يكشف الله له جانبا من أسرار الكتاب ومع ذلك لا تنفذ الأسرار ولا تنقضي العجائب.

تعدّ ظاهرة التضام شهادة تفوق وجدارة للفكر اللغوي العربي، إذ كشفت عن أنّ النحاة واللغويين العرب لم يغفلوا مطلقا جانب المستوى الاستعمالي للألفاظ في التقعيد اللغوي، بل راعوه وحضي بخصوصية النظر والتقعيد وهم في ذلك سلف " عبد القاهر الجرجاني" لما يُنادَى به – حديثا- "تمام حسان" في الغرب أو الشرق.

يدور البحث بفصوله ومباحثه مبرزا وجها من وجوه الإعجاز في التركيب القرآني ألا وهو التضام، فهو مظهر من مظاهر العلاقات التركيبية الأفقيّة التتابعيّة، وهو تصاحب بين كلمتين ليس بإمكاننا استبدال كلمة بأخرى أو إضافة شيء آخر إلى هاتين الكلمتين المرتبطتين...، ينقسم إلى قسمين رئيسيين هما التضام الإيجابي والتضام السلبي، يتمثّل التضام الإيجابي في ثلاث ظواهر تركيبية هي الاختصاص، الافتقار، الاستغناء، أمّا السّلبي فيتمثّل في ظاهرة التنافي أو التنافر وهو قسيم التّلازم.

لا تقتصر وظائف التضام على الربط داخل الموضوع الواحد فقط بل تتعداه إلى الربط بين المواضيع المتشكلة للنص كما يشكل كل موضوع حلقة من حلقات هذا النص، فعلاقة التضام منوطة بتسلسل الكلام وترابط أجزائه، واستمرار فصوله ووحداته، فتضام الكلمات هو الذي ينهض بالتركيب ويسمو به إلى حد الإعجاز.

التضام أداة فاعلة في اتَساق النص بفعل ضمانه استمرارية المعنى وتكوينه شبكة دلالية تكمل ترابط أجزاء النَص وتلاحمها، لا ترتبط وسيلة التضام بقدرة اللغة على التنويع في استخدام هذه الوسائل بل تشير إلى دورها في بناء النمط الذي تمتاز به السور، وذلك من خلال تواصل الآيات في ذكر نعم الله وآلائه في الكون، والاعتماد على الوصف المتتالي

لمظاهر الجزاء الأخروي، مما يسهم في اتساق البناء العام للنص وسهولة تعلقه بذهن القارئ، من خلال ارتباط عناصره بنفس الموضوع.

ثم إنّ اعتماد البنية النصية للسور على التضام في سياقات مختلفة أسهم في اتساق النص وتكامل مقاطعه الوصفيّة والحواريّة والحجاجيّة ، ذلك بوصفه طريقا مفتوحا بالنسبة إلى القارئ يحاور نصّه ويؤوّله انطلاقا من معرفته الخلفية ورؤيته للعالم، كما ساهمت عناصر التضام مساهمة كبيرة في تماسك النص، بالإضافة إلى الدور المعنوي الذي لعبته تلك العلاقات المتنوعة التي حققتها عناصر التضام المرصودة.

استخدم القرآن الكريم ظاهرة التضام استخداما يظهر حيوية العربية وقدرتها وكفايتها على الوفاء بمتطلبات التعبير في التركيب، حيث أثر القرآن الكريم من خلال التضام في نفسية المتلقين من خلال تناوله الجانب المادي تعدادا وتوصيفا وقد كشفت عن ذلك الألفاظ التي اتسمت بنسبة عالية من الشيوع في المادي الدنيوي (بدائع خلق الله في السماوات والأرض....) والأخروي (جزاء الجنة والنار)، عكست مدى نجاح الوصف في تحقيق الوظيفة الإيهامية التي تجعل من الموصوف مطابق للواقع، كما يبرز في هذا الوصف أسماء الأصناف وأفعال الجوارح وأفعال الحالة والجمل الاسمية والنعوت. ثم إنّ أي تغيير تركيبي وراءه حكمة، مما يدلَ على الإتقان في تركيب المفردات في القرآن الكريم.

الجار والمجرور، المضاف والمضاف إليه، الفعل والفاعل، الصفة والموصوف، الصلة والموصول ...، كلها متلازمات متضامة وما يميّزها أنّها بمنزلة شيء واحد، لا يقعان منفصلين في التركيب ولا يوجد فاصل بينهما، حتّى أنّ المصطلح اللغوي الذي يطلق عليهما مأخوذ من مادة لغوية واحدة وهذا دليل على تضامهما، وأدرجوا تحت باب الافتقار.

أثبت اللغويون أنّه يجوز انفصال المتضامين فيتباعدان في الشكل التركيبي، مع عدم التأثير في تحقق علاقة التضام بينهما، للارتباط النحوي والدلالي بينهما ويتحقق في علاقة الفاعل بمفعوله، وعلاقة المبتدأ بخبره، فهي وإن كانت علاقة تضام لكنها انفصالية، وهذا ما يندرج تحت باب الافتقار غير المتأصّل.

تمتدّ فاعلية التضام لتكشف عن بعد آخر في نظام الجملة، ليس فقط في طريقة توزيع المفردات بداخلها وإنما يقيس حاجة المفردة إلى مفردات أخرى، تتراصّ معها لتشكّل هذا البناء المحكم المسمّى بالجملة، لا استقلالية للتركيب النحوي عن المعنى هنا تكمن الفاعلية.

حرصت طيلة هذه الدراسة على تحري الدّقة في البحث، وانتقاء العبارة للتعبير، واتّزان الموقف في المناقشة، ولكن لا أزعم أني بلغت في ذلك مبلغه وحسبي أنّي قدّمت النّية الصالحة، وأردفتها جهدا يؤكّد صدقها قدر طاقتي، ويبقى في صدور الكرام دوما سعة لقبول عذر المعتذر، لما جُبل عليه الإنسان من قصور، وفي ختام هذا البحث نسأل الله الذي وفقنا أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه تعالى ، وكل ذلك مصحوب بتوفيق الله –جل في علاه- والله الموفق إلى كل خير، والهادي إلى كل نعمة، والحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: ﴿ **وَاللَّـهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ (سورة البقرة/ 213).

التوصيات:

1- التأمّل في دقائق معاني الآيات في كتاب الله والأحاديث النبويّة الشريفة المتعلّقة بالإعجاز اللغوي في القرآن الكريم وخاصة الإعجاز التركيبي في ضوء أصول التفسير ووجوه الدلالة اللغوية.
2- إعداد باحثين لدراسة المسائل اللغوية في ضوء ما ثبت في القرآن والسنة.
3- تنسيق الجهود المبذولة في العالم في مجال برمجة الدراسات القرآنية لتصبح هذه البرامج وسيلة من وسائل الدعوة والتعاون مع المؤسسات والمراكز ذات الاختصاص.
4- حث الجامعات على إتاحة الفرص والتشجيع على التسجيل في الدراسات العليا في تخصصات الدراسات القرآنية، وتقديم المنح الدراسية في هذا المجال.

القائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم: رواية حفص عن عاصم.

المصادر والمراجع:

1. ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، دار القلم العربي، حلب، سورية، ط1، 1418هـ/1997م.

2. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت

3. إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، ط07، 1985م.

4. إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، مدار الأفاق العربية، القاهرة، د.ط، 1423 هـ/ 2003م.

5. الإبراهيمي خولة طالب، مبادئ اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، د.ط، 2000م.

6. ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 1414هـ/1993م.

7. ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة، القاهرة، د.ط، 1386هـ/ 1967م.

8. ابن السراج، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، 1405هـ/ 1985م.

9. ابن النديم، الفهرست، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د.ط، 1348هـ.

10. ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، د.ط، 1427 هـ/ 2006 م.

11. ابن جني، المنصف في شرح كتاب التصريف للمازني، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، القاهرة، د.ط، 1995م.

12. ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، تحقيق عبد الله بن محمد الدرويش، دار العرب، ط1، 1424هـ/2004م.

13. ابن دريد، أبو بكر محمد الحسن البصري، جمهرة اللغة، تحقيق: داوود عبده، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

14. ابن عاشور محمد الطاهر، أليس الصبح بقريب، التعليم العربي الإسلامي، دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، دار السلام، القاهرة، ط1، 2006م.

15. ابن عاشور محمد الطاهر، موجز البلاغة، تونس، ط1، د.ت.

16. ابن فارس أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، د.ط، 1979م.

17. ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار الفكر، مصر، د.ط، 1407هـ/1986م.

18. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل القرشي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مصطفى السّيد محمد وآخرون، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ط1، 1421هـ/2000م.

19. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط6، 1417هـ/1997م.

20. ابن هشام، رسالة الشيخ عبد القادر القصاب الدير عطاني في مدح النحو في مقدمة كتاب شرح قطر الندى، مكتبة دار الفجر، دمشق، ط4، د.ت.

21. ابن يعيش بن علي، شرح المفصل للزمخشري، قدّم له: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422 هـ/2001 م.

22. أبو زيد نصر حامد، النص والسلطة والحقيقة، المغرب، لبنان، المركز الثقافي العربي، ط5، 2006م.

23. إحسان عباس، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط3، د.ت

24. أحمد بدوي أحمد، من بلاغة القرآن، نهضة مصر، القاهرة، د.ط، 2005م.

25. أحمد محمد فارس، النداء في اللغة والقرآن، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1409هـ/1989م.

26. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط2، 1419هـ/1999م.

27. الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993م.

28. الأشبيلي، شرح جمل الزجاجي، تحقيق: صاحب أبو جناح، العراق، ج1، 1400هـ/1980م.

29. الأشموني أبو الحسن (ت929هـ)، شرح الأشموني على ألفية بن مالك في النحو والصرف، ضمن حاشية الصبان على شرح العلامة، المطبعة الخيرية، مصر، د.ط، 1305هـ.

30. آلان دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1418هـ/1998م.

31. إيميل بديع يعقوب، شرح المفصل، تحقيق: أيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2001م.

32. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة، الجامع الصحيح، طبعة دار الحديث.

33. البخاري، في الجامع الصحيح، عن عبادة بن الصامت، ج1، حديث رقم: 756.

34. البطاشي خليل بن ياسر، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير، عمان، ط1، 2001م.

35. البغا مصطفى، محي الدين مستو، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب، دمشق، ط2، 1998م.

36. بلاسي محمد السيد علي، المدخل إلى البحث اللغوي، المطبعة العصرية، بيروت، ط1، 1419هـ/1998م.

37. بودرع عبد الرحمن، الخطاب القرآني، مركز الدراسات القرآنية، الرابطة المحمدية للعلماء، ط1، 1434هـ/2013م.

38. تمام حسان، الخلاصة النحوية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1420/2000م.

39. تمام حسان، اللغة العربية بين المعيارية والوصفية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، د.ط، 1958م.

40. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994م.

41. تمام حسان، خواطر من تأمل لغة القرآن، دار عالم الكتب، القاهرة، د.ط، 2006م.

42. الجارم علي ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، مؤسسة الكتب الثقافية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2008م.

43. جاسم محمد عبد العبّود، مصطلحات علم الدلالة العربي، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1428هـ/2007م.

44. الجرجاني السيد الشريف، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د.ط، د.ت.

45. الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد علي زينو، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط01، 1426هـ/2005م.

46. الجرجاني عبد القاهر، شرح رسالة الرماني في إعجاز القرآن، تحقيق: زكريا سعيد علي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1997م.

47. الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: عطار أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990م.

48. الحديثي خديجة، المدارس النحوية، دار الأمل، إربد، الأردن، ط3، 1422هـ/2001م.

49. حسن حمد عبد الوهاب، النظام النحوي في القرآن الكريم "دلائل النظام النحوي"، دار صفاء للنشر، عمان، ط1، 1431هـ/2010م.

50. حسين رفعت، الموقعية في النحو العربي، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2005م.

51. حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة "مدخل لدراسة المعنى النحوي- الدلالي"، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1420هـ/2000م.

52. الحموي شهاب الدين ياقوت، معجم الأدباء "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، تحقيق: محمد السقا، دار المأمون، القاهرة، 1936م.

53. الخالدي كريم حسين ناصح، الخطاب النفسي في القرآن "دراسة دلالية أسلوبية"، دار صفاء، عمان (الأردن)، 2007م.

54. الخالدي كريم حسين ناصح، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء، عمان (الأردن)، ط1، 1426هـ/2006م.

55. الخطابي محمد، لسانيات النص "مدخل لانسجام الخطاب"، المركز الثقافي العربي، ط1، 1991م.

56. خليفة راشد، دور الحرف في أداء معنى الجملة، جامعة قار يونس، بنغازي (تونس)، د.ط، 1996م.

57. الداني أبو عمرو، المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: الدكتور عزة حسن، دار الفكر، دمشق (سوريا)، ط1، 1379هـ/ 1960م.

58. الدباغ مصطفى، وجوه من الإعجاز القرآني، مكتبة المنار الزرقاء، الأردن، ط1، 1986م.

59. دراز محمد عبد الله، النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، دار القلم، الكويت، د.ط، 1957م.

60. الرازي أبو حاتم، كتاب الزينة، تحقيق: حسين بن فضل الله الهمداني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء (اليمن)، ط1، 1415هـ/1995م.

61. الرافعي مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة العربية، مؤسسة المختار، ط01، 1423هـ/2003م.

62. الرافعي مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة القرآنية، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط8، 1965م.

63. الرماني وآخرون ذخائر العرب، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، الرماني، الخطابي، الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط 3، د.ت.

64. رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة (مصر)، ط6، 1420هـ/1999م.

65. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي بشري، د.ت.

66. الزجاجي أبو القاسم، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن مبارك، دار النفائس، بيروت، ط03، 1399هـ/1979م.

67. الزركشي بدر الدين (794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط 01، 1376هـ/1957م.

68. الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود، الكشاف، توثيق: أبي عبد الله الداني، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، 2008م.

69. الزمخشري جار الله، أساس البلاغة، تعليق محمد أحمد قاسم، المكتبة العصرية، لبنان، ط1، 2003م.

70. الساقي فاضل مصطفى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، تقديم تمام حسان، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، 1398هـ/1977م.

71. سامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار، سوريا، ط1، 1983م.

72. السامرائي إبراهيم، فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين، بيروت، د.ط، 1987م.

73. السعدي عبد الرحمن بن ناصر، تفسير السعدي، تحقيق: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، ط1، 1422هـ.

74. السعدي عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار السلام، الرياض، ط2، 1422هـ/2002م.

75. السليطي طبية سعيد، تدريس النحو العربي في ضوء الاتجاهات الحديثة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1423 هـ/ 2002م.

76. السهيلي، الأمالي، ط السعادة، القاهرة، د.ط، 1970م.

77. سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د.ن، ط1، د.ت.

78. سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1977م.

79. السيرافي الحسن بن عبد الله، الرواية في أخبار النحويين البصريين، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني، د.ن، د،ط، 1373هـ/1966م.

80. السيوطي جلال الدين (ت911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: عناية خالد العطار، دار الفكر، بيروت (لبنان)، ط01، 1423هـ/2003م.

81. السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (مصر)، 1394هـ/1974م.

82. السيوطي جلال الدين، بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة المصرية، بيروت، د.ط، د.ت.

83. السيوطي، الأشباه والنظائر، مراجعة طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، الناشر الكليات الأزهرية، د.ط، 1388هـ/1975م.

84. الشاطبي، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة، ط1، ج1، 1428هـ/2007م.

85. الشاعر صالح عبد العظيم، النحو وبناء الشعر في ضوء معايير النصية "شعر الجواهري نموذجا"، دار الحكمة، مصر، ط1، 1434هـ/2013م.

86. شكري عياد، النقد والبلاغة، دار المعارف، تونس، د.ط، د.ت.

87. شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، مصر، ط2، 2009م.

88. صالح بلعيد ، نظرية النظم، دار هومه، الجزائر، د.ط، 2001م.

89. صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 1994م.

90. الصغير محمد حسين علي، المبادئ العامة لتفسير القرآن بين النظرية والتطبيق، دار المؤرخ العرب، بيروت، ط1، 1420هـ/2000م.

91. الطرابلسي محمد الهادي، تحاليل أسلوبية، دار الجنوب، تونس، د.ط، 1992م.

92. عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية، بنية الجملة العربية، التراكيب النحوية والتداولية، علم النحو وعلم المعاني، دار الحامد للنشر، عمان، ط01، 1424هـ/2004م.

93. عبد المنعم عبد الجليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، د.ن، د.ط، د.ت .

94. عفيفي أحمد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، دار العلوم، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط1، 2002م.

95. العوادي مشكور كاظم، البحث الدلالي في تفسير الميزان، المكتبة المركزية، بيروت (لبنان)، ط1، 2003م.

96. الغريسي محمد، اللسانيات العربية والإضمار دراسة تركيبية دلالية (تفاصيل حول قيمة الحذف والتقدير في التفسير اللساني، عالم الكتب الحديث، عمان (الأردن)، د.ط، د.ت

97. الفاكهي عبد الله بن أحمد، الفواكه الجنية على متممة الأجرومية، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 1436هـ/2015م.

98. الفقي صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق "دراسة تطبيقية على السور المكية"، دار قباء، ط1، 1421هـ/2000م.

99. الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب مجد الدين، قاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، 1426هـ/2005م.

100. القرضاوي يوسف، كيف نتعامل مع القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة (مصر)، ط5، 1427هـ/2006م.

101. القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد، تفسير القرطبي" الجامع لأحكام القرآن"، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ/1964م.

102. القطان منّاع ، مباحث في علوم القرآن، مكتبة القاهرة، ط1، 2000م.

103. القطان منّاع، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط10، 1417هـ/1997م.

104. القيسي مكّي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت (لبنان)، ط2، 1405هـ/1984م.

105. الكفوي أبو البقاء، كتاب الكليات، تقديم محمود فهمي حجازي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1423هـ/2002م.

106. لاشين عبد الفتاح، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ، الرياض، د.ط، د.ت.

107. اللّبدي محمد سمير نجيب، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت (لبنان)، ط1، 1405هـ/1985م.

108. مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر ،(د. ت)، د.ط.

109. مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط1، 1423هـ/ 2002م.

110. المثنى محمود عبد الفتاح، نظرية السياق القرآني، دار وائل، الأردن، ط1، 2008م.

111. محمد صلاح الدين مصطفى، النحو الوصفي في القرآن الكريم، مؤسسة علي جراح الصباح، د.ط، د.ت.

112. محمد الخضري، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، مؤسسة الكتب الثقافية، د.ط، 1900م.

113. محمد عبد العزيز عبد الدايم، النظرية اللغوية في التراث العربي، دار السلام، القاهرة، ط 01، 1427هـ/2006م.

114. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (مصر)، د.ط، 1984م.

115. محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 2002م.

116. محمود نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية، بيروت (لبنان)، 1988م.

117. المخزومي مهدي، الدرس النحوي في بغداد، دار الرائد العربي، بيروت، ط3، 1986م.

118. المخزومي مهدي، النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط02، 1406هـ/1986م.

119. مخيمر فؤاد علي، فلسفة عبد القاهر الجرجاني النحوية في دلائل الإعجاز، دار الثقافة للنشر، القاهرة، د.ط، 1983م.

120. مداس أحمد، لسانيات النص، نحو منهج تحليل الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2007م.

121. مرتاض عبد الجليل، في رحاب اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط01، 2004م.

122. المسدي عبد السلام، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، 1986م.

123. المسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح المسلم (ت256ه)، طبعة استنبول، د.ط، د.ت .

124. مصطفى حميدة، نظام الربط والارتباط في تركيب الجملة العربية، مكتبة لبنان، بيروت (لبنان)، ط1، 1997م.

125. مصلوح سعد عبد العزيز، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة، مجلس النشر العلمي، الكويت، د.ط، 2003م.

126. معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة، إسطمبول (تركيا)، ط2، 1989م.

127. الموصلي عبد العزيز، شرح الألفية ابن معطي، تحقيق: علي موسى الشوملي، مكتبة الخريجي، الرياض، د.ط، 1990م.

128. الميداني عبد الرحمن حسن حبنكة، قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل، دار القلم، بيروت، ط1، 1400هـ/1980م.

129. نهاد موسى، الصورة والصيرورة، بصائر في أحوال الظاهرة النحوية ونظرية النحو العربي، دار الشروق، عمان، ط1، 2003م.

130. نهاد موسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، دار البشير للثقافة والعلوم، 1987م.

131. النيلي السيد عالم سبيط، النظام القرآني مقدمة في المنهج اللفظي، مكتبة بلوتو، بغداد (العراق)، ط2، 1424هـ/ 2003م.

132. هلال عبد الغفار حامد ، علم اللغة بين القديم والحديث، مطبعة الجرلوى، القاهرة (مصر)، ط2، 1406هـ/1986م.

133. الهلالي هادي عطية مطر، نظرية الحروف العاملة ومبناها وطبيعة استعمالها القرآني بلاغيا، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1986م.

134. الوافي علي عبد الواحد، علم اللغة، دار نهضة مصر، القاهرة، ط9، 2004م.

الكتب الأجنبية المترجمة:

1. دانيال تشاندلر ، معجم المصطلحات الأساسية في علم العلاقات، ترجمة: شاكر عبد الحميد، أكاديمية الفنون، مصر، 2002م.
2. دومينيك مانغونو، ترجمة: محمد يحياتن، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب الجزائر، منشورات الاختلاف، بيروت، الدار العربية للعلوم، ط1، 1428هـ/2008م.
3. دي سوسير فرديناند ، محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة عبد القادر القنيني، إفريقيا الشرق، 1987م.
4. كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنصوص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط01، 1425هـ/2005م.
5. نولدكه (مستشرق ألماني)، اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، القاهرة، 1963م.

<u>الكتب الأجنبية:</u>

1. M.A.K.HALLIDAY,RUQAIYA HASSAN : cohesion in english, longman Group limitied ,1976

الرسائل الجامعية والمقالات:

1. أحمد عمر أبو شوفة، كتاب المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة.

2. ابن باديس، القرآن يصف عباد الرحمن، الصفة الثانية عشرة، مجلة الشهاب، محرم 1352هـ/ ماي1933م، السنة9، المجلد9، الجزء6.

3. ابن باديس، استثناء التائبين من المذنبين، مجلة الشهاب، الجزائر، شوال1351هـ/ فيفري 1932م، السنة8، المجلد8، الجزء12.

4. أسامة عبد العزيز جاب الله، من مصطلحات اللسانيات النصية، مقاربة تحليلية، كلية الآداب، جامعة كفر الشيخ، منتدى معمري للعلوم، الأربعاء أكتوبر/ 2010/20م، 3:24 pm.

5. إكيدر عبد الرحمن، دور التعليق في تحديد السياق النصي عند الجرجاني، مجلة جيل للدراسات الفكرية والأدبية، مركز جيل البحث العلمي الجزائر- فرع لبنان، مجلد5، عدد 38، 2018م.

6. بلاسي، محمد السيد علي، بحوث ومقالات في فقه العربية، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الإعلام العمانية، ط2، العدد 218، 1997م.

7. بن فطة، عبد القادر، أهمية النحو في فهم لغة القرآن، حوليات الآداب، المسيلة، الجزائر، مجلد5، عدد10، 2018م.

8. الثوري، عبد الله علي علي، خصائص تراكيب اللغة العربية، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية، جامعة الأندلس للعلوم والتقنية، اليمن، المجلد3، العدد9، 2016م.

9. حامد موسى، المستويات اللغوية، المحاضرة الأولى، 2015م.

10. ديدوح عمر، الأدوات العاملة في التراكيب العربية، دراسة لسانية صورية، مخطوط رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2003م/2004م.

11. الرباكي، سعدون أحمد علي، تطبيقات إعرابية على شواهد قرآنية في موضوع المبتدأ والخبر، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، 2017/3/2م، توقيت 04 :04: 12.

12. رحماني، زهر الدين، الدلالة التركيبية في كتابي (معاني القرآن لأبي جعفر النحاس، ومعاني القرآن للفراء)، أطروحة دكتوراه علوم في المعجمية وقضايا الدلالة، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، 2014-2015م.

13. روبحي لخضر، أهمية الشاهد النحوي في تفسير القرآن الكريم تفسير (جامع البيان لابن جرير الطبري نموذجا)، مجلة الآداب واللغات في جامعة قاصدي مرباح، العدد 6.

14. الشطاب الطيب، نظرية النظم عند الجرجاني وأثرها في تفسير القرآن الكريم، بحث ضمن المؤتمر العالمي الثالث للباحثين في القرآن وعلومه.

15. عبد المطلب محمد، النحو بين عبد القاهر وتشومسكي، مجلة فصول، مجلة النقد العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مجلد 05، العدد01، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، 1984م.

16. العزب محمد عطا الله، أثر السياق القرآني في الترجيح عند المفسرين، كلية الدراسات الإسلامية الشرقية، الديدامون.

17. عيسى تومي، مذكرة ماجستير في الآداب واللغة العربية، الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني، سورة البقرة أنموذجا-، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 1435هـ/1436هـ، 2019-2020م.

18. غازي محي الدين، أسلوب خاص للعطف في القرآن الكريم، ملتقى أهل التفسيرhttps://vb.tafsir.net/forum/23/07/2011, 08:02 pm

19. مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، جزء 68، 1411هـ/ 1991م.

20. مسيس رياض، لسانيات النص، حول بعض المفاهيم، المرجعيات، والأبعاد، مجلة المبرز، عدد خاص بالملتقى الوطني حول دور اللسانيات في العلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، 2002م.

21. مصلوح سعد، نحو أجرومية للنص الشعري (دراسة في قصيدة جاهلية)، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العددان 1-2، ج10، 1991م.

22. نادية رمضان النجار، التضام والتعاقب في الفكر النحوي، مقال منشور، مجلة علوم اللغة، دار غريب، القاهرة، مجلد3، عدد4، 1420هـ/ 2000م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات :

إهداء

شكر

مقدمة ..... أ-ج

مدخل: الدراسات اللغوية للقرآن الكريم 08

المبحث الأوّل: الدراسات اللغوية للقرآن الكريم 14

نشأة الدراسات اللغوية للقرآن الكريم 14

مناهج الدراسات اللغوية للقرآن الكريم 17

أهداف الدراسات اللغوية للقرآن الكريم 19

المبحث الثاني: فاعلية النحو، البلاغة والتداولية في التركيب القرآني..... 20

فاعلية النحو في التركيب القرآني 21

فاعلية البلاغة في التركيب القرآني 30

فاعلية التداولية في التركيب القرآني 36

الفصل الأوّل: التركيب القرآني وأهمية النحو فيه 42

المبحث الأوّل: ماهية التركيب والقرآن الكريم 43

التركيب لغة واصطلاحا 43

أنواع التركيب 48

المبحث الثاني: خصائص التركيب القرآني وأثره 55

خصائص التركيب القرآني 55

أثر التركيب القرآني 66

المبحث الثالث: أهمية النحو في التركيب القرآني 75

أهمية النحو في فهم التركيب القرآني 75

خصوصية النحو في التركيب القرآني..... 76

الفصل الثاني: التضام أصوله وامتداداته 88

المبحث الأوّل: التضام في النحو العربي..... 90

مفهوم التضام 91

أقسام التضام وأنواعه (الاختصاص، الافتقار) 101

المبحث الثاني: التضام بين الدراسات النحوية والنصية 109

التضام في الدراسات النحوية 109

التضام في الدراسات اللسانية النصية..... 119

المبحث الثالث: التضام والتركيب القرآني..... 125

علاقة التضام بالإعجاز التركيبي في القرآن 125

أثر التضام في اتساق التركيب القرآني..... 128

الفصل الثالث: دراسة لنماذج عن فاعلية التضام في التراكيب القرآنية.....131

المبحث الأول: تعريف النماذج و أسباب اختيارها 131

التعريف بالنماذج 132

سبب اختيارها 134

المبحث الثاني: نماذج التضام في التركيب القرآني 135

- حضور التضام في الأبواب النحوية.....136

أولا- باب الجملة 136

ثانيا- الافتقار المتأصل.......... 142

ثالثا- الافتقار غير المتأصل..... 158

خاتمة 174

قائمة مصادر ومراجع 178

فهرس الموضوعات 195

ملخص

ملخص

رفع القرآن الكريم من قيمة الدرس النحوي وأكسبه أهمية في التعامل مع لغته خاصة التراكيب التي تعدّ وشيجة من وشائج الإعجاز اللغوي، تهذّب الظواهر اللغوية وتخضعها للغة القرآن الكريم ومنها ظاهرة التضام التي تعتبر من معالم المستوى النحوي في القرآن الكريم، حيث تختص اللغة العربية بنظام تركيبي خاص حاول لغويونا منذ القديم الكشف عن قوانينه بوضع جملة من القواعد التي تضبط أواخر الكلم وتجنّب المتكلم الوقوع في الخطأ.

حاولت من خلال الرسالة خوض غمار البحث في التضام بأنواعه بدءا بالاختصاص والتوارد وصولا إلى الافتقار محاولة التمييز بينها وذلك بإسقاطها على النص القرآني، لإدراك فاعليتها في التركيب القرآني، ولذلك كان لزاما علينا توضيح بعض المباحث النظرية التي تمهّد لنا طريق البحث وتنور لنا درب التحليل والاستقراء والاستنباط، وكان دأبنا في البحث الانطلاق من لغة القرآن الكريم كأنموذج لغوي معصوم ومعجز يحمل بين طياته دلالات دقيقة ومعاني مقصودة وتراكيب جزلة لا يمكن مضاهاتها أو التشكيك في بلاغتها وإعجازها.

قرينة التضام تعتمد على افتقار كلمة لأخرى بعدها (مثل الموصول لصلة، الجار لمجرور، المضاف لمضاف إليه ...) ما يعين فهم المعنى دون البحث عن العلامة الإعرابية التي عدّها القدماء أهم قرينة لتحديد المعنى النحوي، فقد كان النحو في نظر الدارسين تحليلا إعرابيا فحسب، ولهذه النظرية الجديدة أهمية كبرى لا يمكن تَبيُّنها إلا حين تقرأ تطبيقاتها على فهم وتفسير القرآن الكريم؛ وهو ما أنجزه تمام حسان في كتابه الرائع "البيان في روائع القرآن" والذي هو تطبيق عملي لنظريته القائمة على ظاهرة التضام، فقد تبيّن أنّ السياق اللغوي هو المسؤول عن توضيح العلاقات الدلالية التي تحدث من تضام المفردات في آي القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: فاعلية – النحو العربي – التركيب القرآني – ظاهرة التضام.

ABSTRACT:

The Quran has evolved the grammatical course and given it an importance in its interaction with the language, especially with regard to syntax, which is considered one of the essential elements of the linguistic miracle, in the sense that it refines linguistic phenomena, subordinating them to the language of the Koran.

Among these phenomena, collocation which is considered as a marker of the grammatical level in the Holy Quran, knowing that the Arabic language is characterized by a specific syntactic system that linguists, for a long time, have tried to reveal its laws by putting a set of rules governing the end of sentences and thus avoid the speaker getting entangled in mistakes.

Through this study, we explore the different kinds of collocation, trying to distinguish them by projecting on the Koranic text and thus extrapolating its effects on Koranic syntax.

In this view we were forced to clarify some theories on which we relied to be able to analyze, to induce and to extrapolate, always having as source the language of the Koran as an infallible and miraculous linguistic model, with precise connotations, voluntary meanings and a rich and incomparable syntax, of which we cannot doubt the extent of his eloquence and miracle.

Collocation is based on the lack of the word preceding the word to which it is related (example of the relative proposition, the

complement of object, etc.), which is necessary to understand the meaning without looking after the grammatical sign or abstracting from it.

This new theory has a grandiose importance that can only be demonstrated in its applications in the understanding and interpretation of the Qur'an, as accomplished by ‘Tamam Hassan’ in his marvellous book ‘The Eloquence in Chiefs-of the Qur'an, using the phenomenon of collocation to demonstrate that the linguistic context is responsible for clarifying the semantic relationships resulting from collocation in the verses of the Qur'an.

Keywords: Effectiveness – Arabic grammar – Koranic syntax – Collocation phenomenon.

Résumé:

Le Coran a fait évoluer le cours grammatical et lui a insufflé une importance dans son interaction avec la langue, notamment en ce qui concerne la syntaxe qui est considérée comme l’un des éléments essentiels du miracle linguistique, dans le sens qu’elle affine les phénomènes linguistiques, les subordonnant à la langue du Coran.

Parmi ces phénomènes, la collocation qui est considérée comme un repère du niveau grammatical dans le saint Coran, sachant que la langue arabe est caractérisée par un système syntaxique spécifique que les linguistes, depuis fort longtemps, ont tenté de dévoiler ses lois en

mettant une série de règles régissant la fin des phrases et éviter ainsi au locuteur de s'empêtrer dans les erreurs.

A travers cette étude, on explore les différents genres de collocation, en essayant de les distinguer en faisant la projection sur le texte coranique et ainsi extrapoler ses effets sur la syntaxe coranique.

Dans ce sens on était contraint de clarifier quelques théories sur lesquelles on s'est reposé pour pouvoir analyser, induire et extrapoler, ayant en vue toujours comme source la langue du Coran en tant que modèle linguistique infaillible et miraculeux, comportant en son sein des connotations précises, des sens volontaires et une syntaxe riche et incomparable et dont on ne peut douter de l'étendue de son éloquence et de son miracle.

La collocation est basée sur le fait de l'absence du mot précédent le mot auquel il est relié (exemple de la proposition relative, le complement d'objet…) ,ce qui convient de comprendre le sens sans chercher après le signe grammatical ou en y faisant abstraction.

Cette nouvelle théorie a une importance grandiose qui ne peut être démontrée que dans ses applications dans la compréhension et l'interprétation du Coran, comme accompli par 'Tamam Hassan' dans son merveilleux livre 'l'éloquence dans les chefs-d'œuvre du Coran' , usant du phénomène de la collocation pour démontrer que le contexte langagier est responsable pour clarifier les relations sémantiques résultant de la collocation dans les versets du saint Coran.

Mots clés : Efficacité – Grammaire arabe – Syntaxe coranique – Phénomène de la collocation.